شاعر العروبة والإسلام

أحمد محرم



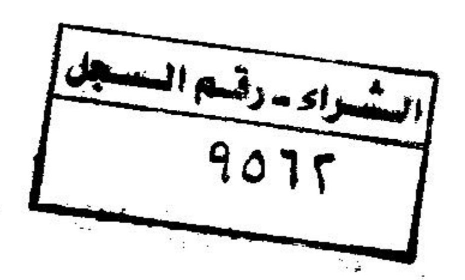
السياسيات

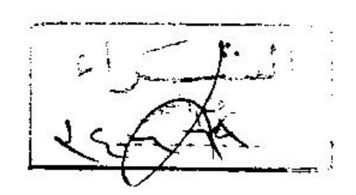
٢








الشراء - رقم السجل
٩٥٦٣



ديوان محرم

(السياسيات) الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الأول
(٢)

ديوان محرم

(السياسيات)

من عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٤٥

نظم

شاعر العروبة والإسلام
أحمد محرم

جمعه وحققه وشرحه

محمود أحمد محرم

مكتبة الفلاح - الكويت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

مكتبة الفلاح - الكويت

شارع بيروت مقابل بريد حولي

ص . ب ٤٨٤٨ تلفون : ٢٥٤٧٧٨٤

برقياً : لفاتكو

تقديم

ظهر بحمد الله المجلّد الأول من الجزء الأول من ديوان أحمد محرم مشتملاً على الشعر السياسي في الفترة من عام ١٨٩٢ حتى عام ١٩٢١ ، ويسرّنا أن نقدّم الى قراء العربية المجلّد الثاني لنستكمل به هذا الغرض من أغراض الشعر .

والشعر السياسي عند محرم يجول في مجالات الإسلام والعروبة والوطنية ؛ والإسلام عنده ينبثق من تلك العاطفة الدينية القوية التي غرسها والده في نفسه منذ نشأته ، وربّاها حتى نبتت وأينعت وأصبحت شجرة وارفة الظلال ، غزيرة الثمار ، ولهذا نجد شاعرنا لا يكفّ عن دعوة أمته الإسلامية الى التمسك بالدين الاسلامي الحنيف ، وتطبيق مبادئه السمحة ، ونبذ الأفكار والمعتقدات الواردة من الغرب ، وهو لا يدع مناسبة إسلامية تمرّ دون أن يعرض على المسلمين صوراً حيّة من مجد الإسلام وعظمته بقصد إيقاظ شعورهم الديني، وتوحيد كلمتهم ، ولمّ شملهم . ومن هذا المنطلق نجده يتفانى في الدفاع عن الخلافة الإسلامية ، ويرى فيها الحصن الحصين ضد هجمات الصليبيين الذين يهدفون الى تحطيم الإسلام وتفتيت وحدة المسلمين والقضاء عليهم .

إستمع إليه وهو يتحدث عن انتصار تركيا على اليونان :

أفي معقل الإسلامِ تطمع أمّةٌ ... تبيت منـاياها حيارى تُراقبُهْ ؟
إذا لمحت إيماءةً منه أجلبت ... على القوم حتّى يسأم الشرَّ جالبُهْ
كتائبُ من قومنا (خالديّةٌ) ... وما الحربُ إلاّ (خالدٌ) وكتائبُهْ
مشت تأخذُ الأعداءَ ، واللهُ قائمٌ ... عليها ، ودين الله يعتزُّ غالبُهْ
إذا لمست حصناً هوت شرُفاتُه ... وإن لمحت طوداً تداعت مناكبُهْ

إلى أن يقول :

لنا من (بني عُثمانَ) سيفٌ إذا انتمى ... تسامت به أعراقُهُ ومناسبُهْ
(لحمزةَ) حدٌّ منه غيرُ مُكذّبٍ ... وحدٌّ (لسيفِ اللهِ) شتّى مناقبُهْ
إذا ما دعا الشُّمَّ الأباةَ لغارةٍ ... دعا (البيتُ) فيه، واستجابت أخاشبُهْ
قضيتُ لهم في اللهِ واجبَ حقِّهِ ... وكيف بحقّ اللهِ إن ضاع واجبُهْ ؟ (1)

وعندما تهجّم « جبرائيل هانوتو » الوزير والمؤرخ الفرنسي على الإسلام وزعم أنّه لا دواء للتعصب الاسلامي سوى نسف قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم ووضع أنقاضه في متحف اللوفر بباريس ، تصدّى له شاعرنا بقوله :

أوكلّما هاج التعصُّبَ أهلُهُ ... صاح الغويُّ بنا ، وضجّ المُرجِفُ ؟
في كل يومٍ للتعصُّب غارةٌ ... يدعو بها داعي الصَّليبِ ويهتفُ
. . . . . .
. . . .

(1) ديوان محرم : الجزء الأول.

أيهـمُّ (هانوتو) بقبر (محمَّدٍ) ... و (يسوعُ) حوليه يطوف ويعكفُ ؟
أيقولُ تلك ، فلا تميدُ بأهلها ... (باريسُ) من فزعٍ ، ويهوى (المُتحَفُ)؟
ويجي على الإسلام، هان وزلزلَتْ ... أيدي الخطوب شعوبه فاستُضعِفُوا(1)

ويقول من قصيدة بعنوان « حكم الله » :

الملك أجمع والجلالُ لواحدٍ ... صَمَدٍ ، تبارك وحده وتسامى
إنّا لعمرك ما نطيعُ لغيرهِ ... حُكماً ، ولا نُعطي سواه زماما
نعصي الملوك إذا عتَوْا عن أمرهِ ... ونهين في مرضاتِهِ الحكّاما
ونُجِلُّ شيعته ، ونكرم حزبه ... ونصون بعد نبيّه الإسلاما
نأتمُّ بالنور المبين ، وحسبنا ... بالبيّنات من الكتابِ إماما
ملأ الزمان هُدًى ، وأشرق حكمةً ... للعالمين ، ورحمةً وسلاما

ثم يقول في المجاهدين في سبيل الله :

جنّاتُ عدنٍ في ظلال سيوفهم ... يرضونها نُزلاً لهم ومُقاما
يتسابقون إلى منازلها العُلى ... يتفيّأون الخير والإنعاما
تتأجّجُ النّيرانُ خلف صفوفهم ... ويرون جنّات النّعيم أماما
لا يملكون إذا الكُماةُ تدافعتْ ... في غمرةٍ خَوَراً ولا استسلاما
يرجون رضوان الإلهِ لأنفسٍ ... يحملن أعباءَ الجهادِ جساما
رفعوا بحدّ السيف دين هدايةٍ ... لولا جليل صنيعهم ما قاما (2)

(1) ديوان محرم : الجزء الأول .
(2) ديوان محرم : الجزء الأول.

وحينما يهاجم اللورد كرومر الإسلام في كتابه يردّ عليه شاعرنا :

سل الأحياء والموتى جميعاً ... أكنّا أمّةً مُستضعفينا ؟
ليالي يبعث الإسلام منّا ... عزائم تخضِعُ المتغطرسينا
نشلُّ عروش جبّارين غُلْباً ... ونجتثّ الممالك فاتحينا
تركنا الدّهر ينتفض انتفاضاً ... وغادرنا الخلائق ذاهلينا
ببأسٍ لا كفاء له وعلمٍ ... جلا الغمراتِ ، واكتسح الدُّجونا
سننّا الرُّشدَ للغاوين طُرّاً ... ولولا الدّين لم نك راشدينا (١)

ويقول في مناسبة صدور الدستور العثماني الذي سوّى بين شعوب المسلمين عام ١٩٠٨ :

يا آلَ عثمانَ من تُركٍ ومن عربٍ ... وأيّ شعبٍ يُساوي التّرك والعربا
سوسوا الخلافة بالشُّورى ، ولا تدعوا ... لفتنةٍ في نواحي الملك مضطربا
صونوا الهلال ، وزيدوا مجده علماً ... لا مجد من بعده إن ضاع أو ذهبا (٢)

وفي ٢٩/ ٩/ ١٩١١ تعلن إيطاليا الحرب على تركيا ، ويهاجم الجيش الايطالي طرابلس الغرب في ٦/ ١٠/ ١٩١١ يقول :

هل الحربُ إلاّ أن تطير الجماجمُ ؟ ... أم البأسُ إلاّ ما تجيءُ الضراغمُ ؟
بأيّ سلاح يطلب النّصرَ هالكٌ ... سلاح المنايا قاصفٌ منه قاصمُ

(١) ديوان محرم : الجزء الأول .
(٢) ديوان محرم : الجزء الأول.

رويداً (بني روما) فللحرب فتيةٌ ... تهيج الظُّبى أطرابهم واللّهاذمُ

وبعد أن يشيد بأبطال الخلافة من عرب وترك ، وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام ، يذكر أولئك الذين أعمتهم مطامعهم الشخصية ، فتخلّوا عن الخلافة ، وناصروا المستعمرين بقوله :

ألا إنّ من شقّ العصا لَمذمَّمٌ ... وإنّ الذي يبغي الفسادَ لآثِمُ
ومَن كان يأبى أن يُوالي إمامه ... طواعيةً ، والاه والأنفُ راغمُ
سيعلم من خان الخليفةَ أنّه ... مُواقِعُ أمرٍ شرُّه مُتفاقِمُ
أيطلب ملكاً ؟ أم يريد خلافةً ... تُقامُ لها في المشعرين المواسمُ ؟(١)

ويشتد فزع شاعرنا حينما تتواتر الأنباء بقسوة المعارك ، فيجرّد قلمه لاستنهاض الهمم ، وبعث العزائم :

كيف القرار ، ونار الحرب تستعرُ؟ ... والهولُ مضطرمُ الأحشاءِ مُنفجرُ ؟
ويح العيون ، أيغشاها النُّعاس وقد ... شفَّ (الهلالَ) عليها الحزنُ والسَّهرُ ؟
رِيعَ (الحطيمُ) فأمسى وهو مُنتفضٌ ... وأقلقت (يثربَ) الأحزان والذّكر
أين ابن عمِّ رسولِ اللهِ يُطفئها ... حرباً على كبدي من نارها شَرَرُ ؟
أين اللّواءُ ، وخيلُ اللهِ يبعثُها ... (عمروٌ)ويصرخُ في آثارها(عُمَرُ) ؟
أين المقاديمُ من (فِهرٍ) ومن (مُضَرَ) ... ومن (قُريشٍ) ؟ وأين السّادة الغُرَرُ ؟
أين الملائكةُ الأبرارُ يقدمهم ... (جبريلُ) يستبق الهيجا ويبتدرُ ؟
أين الوقائعُ تهتزّ العروش لها ... رُعباً ، وتنتفض التّيجانُ والسُّررُ ؟

(١) ديوان محرم : الجزء الأول.

أين القياصرُ مقهورين ، لا صَلَفٌ   ينأى بجانبهم عنّا ، ولا صَغَرُ ؟
أين الحماةُ ، وقد ضاعت محارمنا ؟   أين الكُفاةُ ، وأين الذّادةُ الغُيُرُ ؟
أين النُّفوسُ ترامى غير هائبةٍ ؟   أين العزائمُ تمضي ما بها خَوَرُ ؟

ثم يتوجه إلى الإيطاليين الذين أوقدوا نيران الحرب دون ما سبب :

حربٌ بلا سببٍ ماجت فيالقُها   فالبرّ يرجفُ ، والدّأماءُ تستعرُ
يا مُوقِدَ الحربِ ، بغياً في (طرابلس)   بأيّ عُذرٍ إلى التّاريخ تَعتذِرُ ؟
أذاك والعصرُ عصرُ النُّورِ عندكُم ؟   فما يكون إذا ما اسودّت العُصرُ ؟
أين الألى زعموا الإنصاف شرعتهم   وقام قائمهم بالعدل يفتخرُ ؟
يا أكثر النّاس إنصافاً ومعدلةً   العدلُ يُصعَقُ ، والإنصافُ يحتضرُ
نعم الشّريعةُ ما سنّت حضارتكم   الحقُّ يُخذَلُ ، والعدوانُ ينتصرُ (1)

وعندما تنشر الصحف أنباء المعارك ، وحاجة الجرحى إلى الإسعاف السريع ينشد محرم قصيدة بعنوان « أنين الجريح » ؟

فزع الدُّجى لأنينهِ المتردِّدِ   وبدا الصُّبح له بوجهٍ أربدِ
مُلقًى على عاري الصَّعيد مُلَحَّبٌ   في الحرب يلتحف النَّجيع ويرتدي
عكفت عليه الطيرُ تحسب أنَّما   طاحت به أيدي الرّدي وكأن قدِ
باتت مناسرُها تُمزِّقُ لحمه   حيًّا ، وبات يقول : هل من مُنجدِ ؟ (2)

ولما وصلت الأنباء بهزيمة الأسطول البريطاني في موقعة غاليبولي وغرقه في

(1) ديوان محرم : الجزء الأول.
(2) ديوان محرم : الجزء الأول.

الدردنيل في ٨/ ١/ ١٩١٦ قال :

طرب الحطيمُ ، وكبَّر الحرمانِ   واعتزّ دينُ اللهِ بعد هوانِ
قامت سيوف الفاتحين بنصرهِ   والنّصرُ بين مُهنَّدٍ وسنانِ

ويشير الى المعركة قائلاً :

البحر يفتح للبوارج جوفه   فتغور من مثنى ومن وحدان
والبرُّ ملتهبُ الجوانحِ مُضمِرٌ   حَنَقَ المغيظِ ، ولوعةَ الحرّانِ
مَدَّ الشرّاك الى العدوّ وبينها   طرب المشوق ، وهزّة الجذلانِ
ظمئت إلى وِرد الأسودِ نفوسُهم   والموت ينقع غُلَّةَ الظّمآنِ
شربوا المنايا الحمر ، يسطع موجُها   بين المروج الخُضرِ والغدرانِ
ترمي بها لُجَجٌ ، يظلّ شواظُها   مُتدفّقاً كتدفّق الطُّوفانِ

ثم يتحدث عن شريف مكّة ، وتمرّده على الخلافة ، وانضمامه للانجليز بعد أن خدعوه بوعودهم الكاذبة :

نُبِّئتُ ما زعم (الشّريف) وقومه   فسمعتُ ما لم تسمع الأذنانِ
خدعوه إذ ضاق السّبيلُ بمكرهم   ورموا بآمالٍ إليه حِسانِ
فأباح ما منعت (فوارسُ هاشمٍ)   وحمت ولاةُ البيت من (عدنانِ)

ويتمثّل شاعرنا ضياع الأندلس بسبب جهالة ملوكها الذين أخذوا يُديرون الشّقاق فيما بينهم غير مُبالين بالعدو الصّليبي الذي يتحيّنُ الفرص للانقضاض عليهم ، وطردهم :

عصفت (بأندلس) رياحُ جهالةٍ   مادت لها الدُّنيا من الرَّجَفانِ

صدعت قوى الإسلام بين ملوكها   ورمت بنيه بأبرح الأشجانِ
راحوا يُديرون الشّقاق ، وحولهم   عينُ المغير تدور كالثُّعبانِ
يتنازعون رداء مُلكٍ مُونقٍ   خَضِلِ الحواشي ، مُذهَبِ الأردانِ
لَبِسَ العدوُّ ظِلالَه ، وتكشّفوا   لبني الزّمانِ تكشُّفَ العريانِ
صَدَّ (النّبيُّ) من الحياءِ بوجهه   ولوت (أُميّةُ) صفحة الخزيانِ
وأهلٌ (موسى) في القبور و (طارقٌ)   يتفجّعانِ معاً وينتحبانِ
خطبٌ تباعد حينُهُ ، وإخالُه   أدنى الخطوبِ ، وأقربَ الأحيانِ
أبكي ، ورزءُ المسلمين وما لقوا   في العالمين أشدُّ ما أبكاني
أبكي لدامية الجوانح هاجها   ما هاجني من دائها وشجاني (1)

ومن قصيدة بعنوان « الحزم السياسي » يقول :

أودى بدين الحقّ دين غوايةٍ   كانت ملوك الشّرق من أصنامِهِ
الشّرقُ يعلم أنّ معضل دائِهِ   من صُنْعِ سادته ، ومن حكّامِهِ
نشروا لواء الجهل بين شُعوبِهِ   وقضوا بغير الحقّ في أقوامِهِ
هدموا من الإسلامِ ركناً عالياً   نهض النبيُّ وآلُهُ بمقامِهِ (2)

وفي رثاء الزعيم محمد فريد عام ١٩١٩ يذكر الحضارة الغربية وما جنت على الإنسانية من ظلم :

قل للحضارة بعد حكم دُعاتِها   بُرِئَتْ دُعاتُكِ منكِ إن لم تظلمي

(1) ديوان محرم : الجزء الأول .
(2) ديوان محرم : الجزء الأول .

هل تملكين من الحياةِ عُلالةً ؟   أم تأخذين من الحفاظ بميسمِ ؟
كوني كعهدكِ بين قومكِ ، إنّهم   تركوكِ غرقى في الحديد وفي الدّمِ

ثم يتطرق إلى الحضارة الاسلامية التي نشرت العدل والمساواة بقوله :

مَضَتِ الحضارةُ في جلال حُماتِها   ومضوا بأبّهةِ الزّمانِ الأقدمِ
الرّافعين من الممالك شأوها   البالغين بها مكان الأنجمِ
المتّقين اللهَ في ضعفائها   المانعين حمى الذّليل المسلمِ
الجامعين على الهداية أهلها   الصّادعين غياهبَ الزّمنِ العمي
الممطرين الأرضَ عدلاً كلّها   المنبتين بها كبار الأنعمِ
في دولةٍ لله عاليةِ الذُّرى   دعمت بآيات الكتابِ المحكمِ (1)

وعندما مرّ الملك فيصل بن الشريف حسين بمصر بعد أن زال ملكه وأمر بالجلاء عن الشام من القائد الفرنسي قال :

نزيلَ النّيلِ ، أين تركت مُلكاً   ألَمّ ببابك العالي نزيلا ؟
وأين التاجُ يرفع في دمشقٍ   فيصدع هامةَ الجوزاءِ طولا ؟
وأين الجندُ حولك تزدهيهِ   مواكبُ تحمل الخطر الجَليلا ؟
وأين الفتح تُنميه المواضي   وجُرد الخيل تبعثها فحولا ؟ (2)

وتنتشر الدعوات الهدّامة بين الشباب ، وتهبّ موجات الكفر والإلحاد من الغرب تحت ستار العلم ، فيُفتَنُ بها المثقّفون ، فيفزع محرم ، ويتجّه إلى

(1) ديوان محرم : الجزء الأول .
(2) ديوان محرم : الجزء الأول .

شباب المسلمين ليقفوا ضد هذا التّيار الجارف ، قبل أن يتمكن من المجتمع ، ويجرفه إلى الهاوية :

ذَهب العصرُ الذي شيّبنا ... وأتى عصرُ الشّبابِ المُلحدينْ
عيرّونا أن عبدنا ربّنا ... وحفظنا عهده في الحافظينْ
نَسخَ الأخلاقَ في شرعتهم ... أنهّا من تُرّهات الجامدينْ
إن نقل دينٌ ، يقولوا : فتنةٌ ... هاجها في مصر بعض المفسدينْ
فسد الأمرُ ، فهل من مُصلحٍ ؟ ... أصلحوه يا شباب المسلمين !

ويُحيِّي العام الهجري ١٣٥٦ بقوله :

أقبل عليك من الشُّعوب سلامُ ... فزع الصّليب إليك والإسلامُ
(عيسى) يُناجي فيك سيفَ (مُحمّدٍ) ... والدّمعُ سيلٌ ، والهموم ركامُ
الأرض وهي ، والمهالك رُجّفٌ ... والنّاسُ حربٌ ، والزّمانُ خصامُ
دنيا تموج بها الشّرورُ ، وعالمٌ ... تطغى على جنباتِه الآثامُ
أقبل كعهدك هادياً ومُنبّهاً ... فالنّاس ضُلاّلٌ ، وأنت إمامُ
هذا كتابٌ للحياةِ مُفصّلٌ ... وضحت به الآياتُ والأحكامُ
مَضَتِ الدُّهور وما يزال كأنّه ... بمكانِه، ما فُضّ عنه ختِامُ
غمت المهالك في ظلالك ، واجتلت ... أُممُ الزّمان سناك والأقوامُ

وفي ١١/٥/١٩٤٢ تنشر جريدة الصدق قصيدة عن القرآن الكريم ، وانصراف قومه عنه ،مع أنّه السرّ الذي يُحيي النّفوس ، وهو الحمى الذي يعصمنا من أحداث الزمان ، والمعقل الذي نلجأ إليه في أوقات الشدّة :

يا قومنا ، هل تعرفون كتابكم ؟ ... أم ليس فيكم مؤمنٌ يتذكّرُ؟
عُذراً ، فقد عظم البلاء فهاجني ... حتّى لأحسب مهجتي تتفجّرُ
وكأنّ في كبدي ، وبين جوانحي ... ناراً مُؤجّجةً تجيش وتهدرُ
إن تجهلوه ، فإنّه السّرُّ الذي ... يُحيي النُّفوسَ إذا تموت وتُقبرُ
وهو الحمى المأمول يعصمنا إذا ... جرتِ الأمورُ بما نخاف ونحذرُ
ماذا نخاف ، وكل حرفٍ معقل ؟ ... ولمن ندين ، وكلّ سطرٍ عسكرُ؟
هو قوّةُ الإسلام ، ما من قوّةٍ ... تُرمَى بها إلاّ تُردُّ وتُقهَرُ

ويستقبل ذكرى المولد النبوي عام١٣٦٢ بقلبٍ يئنّ من ضياع المسلمين وضعفهم ، ومن إنتشار الفساد والشرّوالفوضى بينهم بعد أن فرّطوا في دينهم ، فهانوا على أعدائهم :

قُمْ يا رسولَ اللهِ وانظر هل ترى ... إلاّ شعوباً غاب عنها المرشدُ ؟
نامت سيوفك بعد طول سهادها ... فاستيقظ الغاوي وهبّ المفسدُ
عمّ الفسادُ فلا صلاحٌ يُرتجى ... للعالمين ، ولا فلاح يُنشَدُ
الأمر فوضى ، والحياة ذميمةٌ ... والشرُّ لا يفنى ولا هو ينفدُ
دنيا الهوى ترمي الشّعوبَ من الأذى ... ومن العذاب بعاصفٍ لا يركدُ
أسفي على الإسلام هان عرينُه ... وعدا عليه الفاتك المستأسدُ
إنّ الذي جمعت سيوفُ (محمّدٍ) ... أمسى بأيدي المسلمين يُبدّدُ

ونكتفي بهذا القدر من الشعر الاسلامي ، لنتناول شعر العروبة ، فنقول إن شاعرنا دعا إلى الوحدة العربية على أن تكون لبنة في صرح الوحدة الإسلامية الكبرى ، خاصة بعد أن نجح الاستعمار الصليبي في تحقيق أمله في القضاء على

الجامعة الاسلامية ، وتفتيت وحدة العرب ، وتقسيم الدول العربية الى دويلات صغيرة ، تتناحر فيما بينها ، فعندما دارت المعارك بين الوطنيين العرب وبين المستعمرين الفرنسيين والانجليز بالشام والعراق عام ١٩٢٠ نجد شاعرنا يُسارع الى شحذ قلمه ، فينظم قصيدة بعنوان « مصر والشام والعراق » يذكر فيها أساه على ما يجري من أحداث في كل من مصر والشام ، فهمّه متّقد ، ودمعه لا ينقطع :

يا غادياً ببريد الشّام ينتحبُ — ماذا دهَاك ؟ وماذا أنت مُحتقِبُ ؟
أفرغ غليل الأسى ناراً على كبدي — وخلّ قلبي لأخرى فيه تلتهبُ
هذي (لمصر) تؤدّي الحقّ ناحيةً — وتلك (للشام) تقضي منه ما يجبُ
همّان في كلّ جنبٍ منهما ضرَمٌ — عالٍ ، وفي كلّ عينٍ واكفٌ سَرِبُ

ثم يصوّر الخراب والدّمار الذي حلّ بربوع الشام :

يا أمّةً في ربوع الشام يُوحشُها — عيشٌ جديبٌ ، وربعٌ للمنى خَرِبُ
طاحت بآمالها الخضرِ اللّدانِ يَدٌ — خُضْرُ الحدائق في إعصارها حطبُ
عسراءُ سوداءُ يجري من أناملها — حتفُ الشّعوب، ويهمي الويلُ والحَرَبُ
لا تلمسِ الأرضَ إلاّ اسودّ جانبُها — بعد الضياءِ ، وجفّ الماءُ والعُشُبُ

ثم يذكر العراق وما ينتابه من اضطراب وفوضى وانقسام ، وتقفز إلى مُخيّلته صورة المجد العربي التليد في عصر بغداد الذهبي :

إن يُفزعِ النّيلَ والأردنَّ ما بهما — فبالفراتِ وشَطّيْ دجلةَ العجبُ
ويحَ العراقِ ، وقوم بالعراق علا — ضَجيجُهم ، وتمادى منهمُ الصّخَبُ
طاش الرّجاءُ بهم ، فالأمر مضطربٌ — فوضى بأرجائه ، والصّدعُ مُنشعِبُ

(بغدادُ) تنظرُ ، والأحشاء خافقةٌ — والعينُ دافقةٌ ، والقلبُ مُرتعِبُ
أين (الرشيدُ) وأيّامٌ له سلفت ؟ — أين الحياةُ ؟ وأين الفتيةُ النُّجُبُ ؟
(دارَ السّلامِ) أهزّتكِ الخطوبُ أسًى — لمّا فُجِعْتِ بهم أم هزّكِ الطّرَبُ ؟
أين الحضارةُ يحميها ويرفعُها — للبأسِ والعدلِ منهم مَعقلٌ أشِبُ ؟[1]

وفي ٢٤/ ٢/ ١٩٢٧ ينشد قصيدة عن الشام مطلعها :

يا بريدَ النّيل إن جئت الشّآما — فاقضِ للأهلين عن مصر الذّماما
نحن في القطرين إخوانُ الهوى — نَرِدُ النّهرين شهداً وسماما
ألبستنا الضّادُ في عليائها — من سَنَى الأنسابِ ما يجلو الظلاما
فطلعنا في بني الدّنيا هُدىً — وسطعنا في نواحيها سلاما
نحن سُسنا الأمرَ سلماً ووغىً — وملكنا الدّهر شيخاً وغلاما
أمّةٌ للخُلدِ تستعصي على — عِزّةِ الموتِ ، وتأبى أن تضاما

ويبدأ السرطان الصهيوني في الإنقضاض على فلسطين العربية بمساندة الاستعمار الصليبيّ ، ممثّلاً في انجلترا دولة الانتداب ، فيحسّ شاعرنا بالخطر الدّاهم ، وتطلع علينا جريدة البلاغ في ١٣/ ١١/ ١٩٣٣ بقصيدة للشاعر بعنوان « نكبة فلسطين » يقول فيها :

في حمى الحقّ ومن حوْلِ (الحرَمْ) — أمّةٌ تُؤذى ، وشعبٌ يُهتضَمْ
فزع (القُدسُ) ، وضجّت (مكّةْ) — وبكت (يثرب) من فرط الألَمْ

وبعد أن يصوّر حزنه وألمه للدماء التي تراق ، والأرواح التي تزهق ، ويُهيب

(١) ديوان محرم : الجزء الأول .

بالعرب أن يهبّوا لصدّ هذا العدوان الغاشم ، والحفاظ على تراثهم ، يتوجّه إلى شعب إسرائيل بقوله :

(شعبَ إسرائيلَ) ما بالُ الأُلَى   حفظـوا العهـدَ ، وبـرّوا بالقَسَمْ
ذكروكم ، ونسـوا ما عقدوا   لسـواكم من عهـودٍ وذِمَمْ ؟
أذكروا (بلفـورَ) في (تلمودكم)   واغفـروا اليوم (لعيسى) مـا اجْتَرَمْ
واسألـوا (مـوسى) أطابـت نفسه   أم أبـي ما كان منـكم فَنَقِمْ ؟
هدم (التيهُ) قديمـاً مُلككم   فبنـى (بلفـورُ) منـه ما هَدَمْ

وفي ٢٩/ ٣/ ١٩٣٥ ينشد قصيدة بدار رابطة الشباب العربي بالقاهرة في رثاء الملك على بن الحسين يخاطب فيها العرب بقوله :

(بنـي يَعـربٍ) مُدّوا السّواعـدَ إنّني   عَييتُ بأقـوامٍ تمـدُّ الخناجرا
أعيدوا (بني العبّاسِ) غضًّا زمانهم   وردُّوه عصراً من (أُميّةَ) زاهرا
(بنـي يعـربٍ) ردّوا على الشرقِ عِزّةً   ولا تدعـوه واهـن العـزم حائرا
هو اللّيثُ خانته المخالبُ ، فاجعلوا   مـن العلـم أنيابـًا له وأظافرا
صلُوا بشياطـين العُبـابِ حبالكم   وزوروا على السُّحب النّسورَ الكواسرا
رِدُوهـا حياةً للمهالكِ غضّةً   وخلّـوا لِهُـلاّكِ الشُّعـوب المقابرا
ذخائـركم يا قومُ شتّـى حِسانها   فثوبوا إلى الحسنى ، وصونوا الذّخائرا

وفي مارس ١٩٣٦ يُحيِّي نخبة من الضيوف العراقيين بقوله :

صلـوا إخوانـكم واقضـوا الذّماما   وبُلّـوا من جوانحنـا الأواما
رُويداً بالقلـوب بنـي أبينا   أمـا تسقونهـا إلاّ ضراما ؟

لعمـر (الرّافـديْنِ) لقـد لبثنا   نُعلَّلُ بالمنـى عامـاً فعاما
نُذادُ عن الحياض ونحـن هيمٌ   فما نرد النِّطـافَ ولا الجِماما
رُويداً قومنـا إنّـا وجدنا   قطيعـةَ قومنـا داءً عُقاما
عهدنـاكم على الأحـداثِ أهلاً   ذوي حَسَـبٍ ، وإخوانًـا كراما
فزوروا أرضنـا ، أو فاجعلوها   وإن غضـب (العـراقُ) لكم مُقاما
أيغضـب أن يحُـبَّ أخٌ أخاهُ ؟   وهـل يأبـى لشملهما التئاما ؟

وتمرّ مئة يوم على جهاد فلسطين للذود عن الذّمار والدفاع عنه فيقول عام ١٩٣٦ :

صُوني (فلسطـينُ) الذّمار وجاهدي   مـا للحياةِ سوى الجهـادِ عمادُ
صُوني ذِمـاركِ ، إنّـه لك موقفٌ   فصـلٌ ، ويومٌ منـك ليس يُعادُ
هو آخـر الأيّام ، إمّـا مطلعٌ   عـالٍ ، وإمّـا مصرعٌ وحدادُ

ثم يستنهض الهمم ويحضّ على الجهاد بقوله :

نعـم الجهـاد لمن يَضـنُّ بحقّه   لـو كان للشّعـبِ المُجاهـدِ زادُ
فـي نُصرةِ الأجـامِ يحتَمـلُ الأذى   ولهـا تجـوع وتشبـع الأسادُ
همـم النّسـور النّاهضـين دوائبٌ   ومخالـبُ الأُسـد الغضـاب حِدادُ
عربٌ إذا غضبـوا لأمـرٍ طارقٍ   غضبـت على بيض الظُّبـي الأغمادُ
واهتاجـت الجُـرْدُ العِتـاقُ ، وأقبلت   صُـوَرُ المنـايا ما لهـنّ عِدادُ
وجـرى الـدّم المسفـوحُ يشهـد أنهّم   سئلـوا الجـزيل من الفـداء فجادوا
جودوا (حمُاةَ القـدسِ) ما بكرامكم   بخـلٌ ، ولا للمكرمـات نفادُ

ذودوا العدوّ عن البلاد ، وناضلوا   إنّ العدوّ عن البلاد يُذادُ

اللهُ أكبرُ يا خلائفَ (يعربٍ)   أتضيع أوطانٌ لكم وبلادُ ؟

وبعد شهور قليلة يستشهد القائد السوري محمد سعيد بن العاص في معركة ضد الانجليز داخل أرض فلسطين استمرت ثلاث ليال بين ستين من المجاهدين العرب وبين ألفي جندي بريطاني بأسلحتهم ودباباتهم وطائراتهم فيقول محرم في رثائه :

نظم المجد لأبطالِ الحِمى   ونظمتُ الشّعر ناراً ودما

بطلٌ أبصرتُ مجرى دمِه   في جبينِ الشرّق لمّا وجما

رفع السّيف على هام السُّهَى   أفلا أرفع فيه القلما ؟

و في ٣/ ١١/ ١٩٣٧ يقول في ذكرى وعد بلفور :

إيهٍ شعوبَ المسلمين ، تنبّهوا   وتداركوا أسبابكم أن تُجذَما

اللهَ في إخوانكم وبلادكم   أفما ترون الخطب كيف تهجّما ؟

حفظوا التُّراثَ لكم، وصانوا عرضكم   أفتكرهون لعرضكم أن يسلما ؟

لا تخذلوهم والملائك شُهَّدٌ   بالمسجدين ، كفى بذلك مأثما

إنّي وفيتُ لهم ، ولست بمسلمٍ   إن خُنتُ في دنياي شعباً مسلما

أتبيتُ أولى القبلتين حزينةً   وأبيتُ وَسنانَ الجفونِ مُنعَّما ؟

وفي يناير ١٩٣٨ يلقى قصيدة في أربعين الشهيد الفلسطيني فرحان يختتمها بقوله :

أودى بأهل التّيه من أوهامِه[١]   تيهٌ عواقبه أضرُّ وأشأمُ

(١) الضمير عائد على بلفور .

نثرتهمُ الأقدار شرًّا شائعاً   أمسى على يده يُضَمُّ ويُنظَمُ

يُحيي مطامعهم ، ويلأم صدعهم   والقوم هلكى ، صدعهم لا يُلأَمُ

كالدّاءِ منتشراً تجمّع كلُّه   في موضعٍ يُجتثُّ منه ويُحسَمُ

ويلقي في المؤتمر النيابي العالمي لقضية فلسطين بالقاهرة في ١٣ شعبان ١٣٥٧ قصيدة يقول فيها :

من ذا يرى دمه أعزّ مكانةً   من أن يخضّب من فلسطين الرُّبى

وَطنٌ يُعذَّبُ في الجحيمِ ، وأمّةٌ   أعزِزْ علينا أن تُصابَ وتُنكبا

بقلوبنا الحرّى ، وفي أحشائنا   ما شبّ من أشجانها وتلهّبا

نتجرّعُ البلوى ، ونَدرّعُ الأسى   نرعى لإخوتنا الذِمامَ الأقربا

ثم يذكر أحلام الصهيونية في احتلال الوطن العربي من الخليج إلى المحيط :

إنّا لنعلم أنّ آكل لحمهم   سيخوض منّا في الدّماء ليشربا

ويتوجّه إلى المؤتمرين قائلا :

يا آل يعربَ مَن يُريني خالداً   يُزجي الخميس ، ويستحثّ المِقنبا؟

من شاء منكم فليكنه ، ولا يَقُلْ   ذهب القديمُ ، فإنّه لن يذهبا

وفي قصيدة نشرت في ١١/ ١٢/ ١٩٣٨ يقول :

أيُمسي (عبيدُ العجلِ) للنّاسِ سادةً   وما عرفوا منهم على الدّهرِ سيّدا ؟

لهم من فلسطين القبور ، ولم يكن   ثراها لأهل الرّجس مثوىً ومرقدا

وفي ١٩٤٢/٢/٢٤ يدعو إلى الوحدة العربية قائلا :

أُممَ العروبةِ جاء يومك فاعلمي ... وإلى مكانك فانهضي وتقدّمي
لك في فم الأحداثِ دعوة صارخٍ ... ينفي القرار عن الشّعوب النُّوَّمِ
فَدَعي المضاجعَ وانْفُضي عنكِ الكرى ... وخذي السَّبيل إلى المقام الأعظمِ
ضُمِّي القُوَى ، وتجمّعي في وحدةٍ ... عربيّةٍ تحمي اللّواء وتحتمي
هذا السَّبيل لكل شعبٍ ماجدٍ ... عالي اللّواء ، إلى العروبةِ ينتمي

وفي ١٩٤٤/١٢/١٢ يعقد المؤتمر النسائي العربي بالقاهرة لنصرة فلسطين ، يقول :

هو يا (فلسطينُ) النّضالُ ، وهل نجا ... من حتفهِ وَطنٌ بغير نضالِ ؟
قولي (لروزفلتَ) المؤمّل عدلُه ... (رُوزفلتُ) ما للظّالمين ومالي ؟
أعليَّ إيواءُ (الشّريد) ؟ ومن دمي ... يُسْقَى ويُطعَمُ بعد قتل عيالي ؟
شرُّ القُضاةِ سجيّةً وأضرُّهم ... قاضٍ يرى الإنصافَ غير حلالِ

أمّا شعر محرم الوطني فهو نابع من حبّه لمصر ، ذلك الحب الذي ملك عليه كل حواسه ، واستأثر بعواطفه منذ صباه ، ويحدّثنا شاعرنا في مقدمة الجزء الأول من ديوانه الذي طبع عام ١٩٠٨ عن دوره في هذا المجال فيقول « . . . وكان الشعر في مصر إلى عهد قريب بعيداً عن أصول الأخلاق ، بعده عن سنن الحياة ، فكان صبري في صارفٍ من منصبه ، وشوقي رضيٌّ بالمدحة ينظمها لمولاه ، وحافظ في همّ مذيب من إغترابه في السودان ، يستجيش الأستاذ الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ لإنقاذه ، وكان الرافعي غير ناضج الملكة يومئذ ، فلم يسمع له صوت ، ولقد كان الكاشف يلهو بأمانيه كلّ اللهو ، فضننت به ألا يكون عوني في ذلك الفتح الأدبي

الذي بدأته بنظم قصيدة سياسية وطنية ، أثارت في نفسه ثائرة الحماسة ، وصرفت قلمه الجزئي إلى قرض هذا النوع من الشعر ، حتى لقد أخذ بني عثمان وهو بمكانه منهم بأشدّ القوارص والمحفظات ، وكان يعييني لمعاتبتي إيّاه في شأنهم ، وما برحت هذه الحركة تشتدّ وتعظم حتى اجتذبت إليها أبطال الشعر في مصر ، ولو شاء الأمير أن يحسن إلى الشعر لَمَنّ بإطلاق شوقي من ذلك الوثاق ، إذن لاهتزّ عالم الأدب واعتزّ ، وهلّل وكبّر » .

ونحن نلمس شعوره الوطني الفيّاض ، والتزامه برسالته الوطنية من إهدائه الجزء الأول من الديوان إلى النّيل بقوله :

« ولقد جرى أكثر الكتّاب والشعراء على أن يهدوا مؤلفّاتهم إلى من شاءوا من ذوي الثروة والجاه ، تعرّضاً لمؤازرتهم ، والانتفاع بهم وسط هذا الكساد الآخذ بأكظام الأدب في بلادنا ، ولكنني انصرفت بشعري عن تلك المواقف ، وبرئت إلى نفسي أن آخذ بهذه الأسباب ، على ما أعلم من وعورة مسلكي ، وضيق مضطربي ،وما كنت في ذلك إلاّ جارياً على سنّتي في سياسة نفسي ، وتصريف ما آتى وأَدَع من أمور الحياة ، فما استظهرتُ بغير أخ حفيّ ، أو صديق صفيّ ، ولا آثرت أن أهدي ديواني إلى غير النيل ، ذلك الأب الأبرّ الذي وهبني نعمة الحياة ، وأفاض عليّ هذه المنح والصّلات » .

فيا نيلُ أنت المنى والحياة ... وأنت الأمير ، وأنت الأبُ
ويا نيلُ أنت الصّديق الوفيُّ ... وأنت الأخ الأصدق الأطيبُ
وأنت القريض الذي أقتفي ... فيزهى به الشرّقُ والمغربُ

وكم تغنّى محرم بحبّ مصر الذي يجري في دمه ويملك عليه فؤاده :

فإن يسألوا: ما حبّ مصر؟ فإنّه … دمي ، وفؤادي ، والجوانح والصّدرُ

لِنفسي وفائي، إن وفيتُ بعهدها … وبي ، لا بها ، إن خُنتُ حُرمتها الغدرُ

أخاف ، وأرجو ، وهي جهد مخافتي … ومرمى رجائي ، لا خفاءٌ ولا نكرُ

هي العيش ، والموت المبغّضُ والغنى … لأبنائها ، والفقر ، والأمن ، والذُّعرُ

هي القدر الجاري، هي السّخط والرّضى … هي الدّين والدّنيا، هي النّاس والدّهر[1]

وهو يهيب بأمته أن تستيقظ من رقادها ، وتهبّ للدفاع عن محارمها :

يا أمّة خاط الكرى أجفانها … هُبّي ، فقد أودت بك الأحلامُ

هُبّي ، فما يحمي المحارم راقدٌ … والمرءُ يُظلَمُ غافلاً ويُضامُ

هبّي ، فما يُغني رقادكِ والعدى … حول الحمى مستيقظون قيامُ

شيئان يذهب بالشّعوب كلاهما … نومٌ عن الأوطان واستسلامُ[2]

ويدعو شعب الكنانة إلى نبذ التفرّق والتحزّب :

ليس الشّقاءُ بزائلٍ عن أمّةٍ … حتّى يزولَ تفرّقٌ وتحزّبُ

وعندما يخضع الخديو عباس للإنجليز وينصاع لأوامرهم يقول :

إذا غوتِ الهداةُ ، فلا رشيدٌ … وإن خان الرُّعاةُ ، فلا أمينُ

أعجبُ ما أرى شعبٌ نحيفٌ … يسوس قطيعه راعٍ بدينُ[3]

ويتساءل عن سبب انصرافه عن مؤازرة الوطنيين ، وخيانته لمصر :

(١) ديوان محرم : الجزء الأول.

(٢) ديوان محرم : الجزء الأول.

(٣) ديوان محرم : الجزء الأول .

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنا … أفأصبحت حربُ الغُزاةِ سلاما ؟

أتخون مصر ، وما تحوّل نيلُها … سُمّاً ، وما انقلب الضّياء ظلاما ؟[1]

وفي ١٣ يونيو ١٩٠٦ يقصد خمسة من الضباط الانجليز الى بلدة دنشواي بمركز تلا منوفيه بمصر لصيد الحمام، وهناك أصيب بعض الأهلين ، فاصطدموا بالانجليز وأصيب بعض الضباط بإصابات ، فاندفع أحدهم يجري تحت وهج الشمس حتّى صرعته ضربة منها ، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية ، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمة الأهلين ، وقضت باعدام أربعة ، وجلد وحبس ثمانية ، وفي ٢٨ يونيو نُفّذ الإعدام والجلد في نفس البلدة على مرأى ومسمع من أهلها ، وكان في هذا الحكم وتنفيذه من القسوة ما أثار نفوس المواطنين ، فتضطرب البلاد وتفور للحكم الجائر ، ونبحث عن دور الشعر في هذه النكبة ، فنجد الشاعر أحمد شوقي يلفّه الصّمت إزاء هذا الحادث الضخّم ، ولا يستطيع النطق إلاّ بعد أن يسمح له الأمير بعد عام كامل ، فينظم قصيدة بإيعاز من الأمير ليطلب العفو عن المسجونين :

يا دنشواي على رباك سلامُ … ذهبت بأنس ربوعك الأيّامُ

أمّا حافظ ابراهيم فنجده يخاطب الإنجليز في ذلٍّ وخشوع :

أيّها القائمون بالأمر فينا … هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟

خفّضوا جيشكم ، وناموا هنيئاً … وابتغوا صيدكم ، وجوبوا البلادا

ونقرأ في نفس الوقت قصيدة لشاعرنا محرم يصبّ فيها صواعقه وحممه على

(١) ديوان محرم : الجزء الأول.

رؤوس المحتلين ، لا يُداري ولا يُوارب ويبدأ القصيدة بوصف النكبات والأهوال التي حلّت بأهالي دنشواي ، وقسوة الإنجليز ووحشيتهم :

أتلك مصارع المستضعفينا ؟ ... فما بالُ الهُداة المصلحينا ؟
أجيبي دنشواي ، فإن تكوني ... عييتِ عن الجواب ، فما عيينا
همو أخذوكِ بالنكبات حرّى ... وبالأهوال شتّى يرتمينا
تذوقين العذاب وهم نشاوى ... يغنّون المشانق ناعمينا
إذا طربت أهاب بها مراحٌ ... تجاوبه نفوس الهالكينا
تطوف بها الأرامل واليتامى ... تضجّ وتذرف الدّمع السّخينا
وتعطفها السّياط على رجالٍ ... بمطّرح الهوان ممزّقينا
تعاورهم أكفّ القوم صرعى ... تطير جلودهم ممّا لقينا

ثم يواجه الانجليز بتصميم الأمة على النضال والكفاح ، ويذكر عهدهم البغيض ، ويتمنّى أن يراهم يشدّون الرّحال هم وأنصارهم من الخونة :

بني التّاميز ، كونوا كيف شئتم ... فلن ندع الكفاحَ ، ولن نلينا
خذوا أنصاركم إنّا نراهم ... لنا ولقومنا الدّاء الدّفينا
هم الأعداء ، لسنا من ذويهم ... وليسوا في الشدائد من ذوينا
ذممنا عهدكم ، فمتى نراكم ... تشدّون الرّحالَ مودّعينا
زعمتم أنّ موعدكم قريبٌ ... كذبتم أُمّةً تحصى السّنينا(١)

وفي مارس ١٩٠٩ يصدر قانون المطبوعات ، ويقضي بمنح وزير الداخلية حق إنذار الصحف وتعطيلها مؤقتا أو نهائيا دون محاكمة أو دفاع وذلك بقصد تقييد

(١) ديوان محرم : الجزء الأول .

حريّة الصحافة ، ومحاربة الحركة الوطنية . وكان من نتيجة هذا القانون أن تعطلّت جريدة اللواء ثم جريدة العلم ، وامتلأت السجون بزعماء الحزب الوطني ، ويقف محرم كعادته موقف المناضل عن حريّة الرأي ، فيقول :

صبّوا المداد ، وحطّموا الأقلاما ... واطووا الصّحائف ، وانزعوا الأفهاما
وخذوا على الوجدان كلّ ثنيّةٍ ... واقضوا الحياة مزّملين نياما
غضّوا العيون ، وطاطئوا هاماتكم ... وارضوا مقام المستميت مقاما
ودعوا الحفيظة ، واغدروا بعهوده ... شعباً يرى حفظ الحقوق حراما
يا مصر، ماذا تطلبين؟ أما كفى ... أن تُصبحي للعاديات طعاما ؟
مُوتي، فما موت العليل بضائرٍ ... وكفى بآلام الحياة حماما(١)

وفي أوائل عام ١٩١١ أثناء محاكمة محمد فريد وسجنه ، وغيابه عن الجو السياسي ، حدث خلاف بين المسلمين والأقباط ، وعقد المؤتمر القبطي في أسيوط في ٦ مارس ، ثم المؤتمر المصري في مصر الجديدة في إبريل ومايو رداً عليه ، وكان كلا المؤتمرين مظهراً يؤسف له من مظاهر الخلاف ، وقامت المظاهرات التي لم يستفد منها غير الاحتلال . ويقال إن يد المعتمد البريطاني كانت وراء ذلك الخلاف ، فينشد محرم سبع قصائد ، يدعو فيها إلى رأب الصدع ، والوقوف في وجه الفتنة ، إلى أن زالت أسباب الخلاف ، وعادت الوحدة الوطنية كما كانت :

بني وطني ، من يرتد الشّرّ يلفه ... وإن راقه يوماً رداءً مُسمّما
بني وطني ، مالي أراكم كأنّما ... ترون السّبيل الوعر أهدى وأقوما ؟
تعالوا إلينا ، إنّما نحن أخوةٌ ... وإنّ انبتات الحبل أن يتفصّما

(١) ديوان محرم : الجزء الأول .

وإنّ سبيلينا سواءٌ ، وكلّنا ... بنو مصر نأبى أن تُضامَ وتُهضَما[1]

وفي قصيدة ثانية بعنوان «يا ويح مصر» يقول :

يا أُمّةَ القبطِ ، والأجيال شاهدةٌ ... بما لنا ولكم من صادق الذِّمَمِ
هذي مواقفنا في الدّهرِ ناطقةٌ ... فاستنبئوها تُريحونا من التُّهَمِ
لا تظلموا الدّين ، إنّ الدّين يأمرنا ... بما علمتم من الأخلاقِ والشِّيَمِ
أنتم لنا إخوةٌ، لا شيءَ يُبعدنا ... عنكم على عَنَتِ الأقدارِ والقِسَمِ
ليس اللّجاج بِمُدنٍ من رغائبنا ... ولا الشّقاق بمجدينا سوى النّدمِ

وبعد أن يدعو إلى التآلف والتآخي يختتم القصيدة بقوله :

يا قومِ لا تغفلوا إنّ العدوّ له ... عينٌ تراقب منكم زَلّةَ القدمِ[1]

ويتجّه سعد زغلول إلى الاتفاق مع الانجليز ، ويشكّل وفد من بعض السياسيين للتفاوض مع الانجليز ، ويسافر الوفد إلى انجلترا ، فينظم محرم قصيدة ، يشدّ فيها أزر الوفد ، ويمّده بالنصائح حتى لا يضعف ولا يلين :

وفدَ الكنانةِ، هل حملت رجاءها ... أم قد حملت أمانة الأزمانِ ؟
الدّهر عينٌ، والمهالكُ ألسنٌ ... والنّيلُ قلبٌ دائمُ الخفقانِ
قل للألى وزنوا الشّعوب تذكّروا ... في مصر شعباً راجح الميزانِ
وإذا رماك أولو الخصومةِ فارمهم ... بالحجّة الكبرى وبالبرهانِ
وأصدع غيابة كلّ شكٍّ مُظلمٍ ... بشهابِ علمٍ ساطعٍ وبيانِ[1]

(١) ديوان محرم : الجزء الأول .

وتصل الأنباء بانقسام المتفاوضين المصريين على أنفسهم ، ويخشى شاعرنا أن يضيع استقلال مصر بينهم فيقول :

يقول البرق: شرٌّ مستطيرٌ ... وخُلفٌ بين سادتنا شديدُ
ويزعم تارةً أن ليس شيءٌ ... سوى الأمر الذي عزم العميدُ
إذا اختلفوا أوِ اتّفقوا فإنّا ... سوى استقلال مصرٍ لا نُريدُ
هو الحقّ الذي نسعى إليهِ ... ولسنا عنه ما عشنا نحيدُ
إذا لم يُحفَظِ استقلالُ مصرٍ ... فلا سعدٌ يُطاع ، ولا سعيدُ

ثم يصل الوفد إلى مشروع اتفاق ، يكرّس الاحتلال ويضفي عليه الصفة القانونية ، ويبعث الوفد ببعض أعضائه إلى مصر لشرح مزاياه ، وذكر منافعه :

يا أيّها القوم ماذا في حقائبكم؟ ... إنّي أرى الشعب قد أودى به القلقُ
جئتم إلينا فباتت مصر راجفةً ... ممّا حملتم ، وكاد النيل يحترقُ
أيعلم القوم أنّا لا حُلوم لنا ؟ ... أم يجهل الوفد أنا ليس نتّفقُ ؟
لقد أقاموا طويلاً بين أظهرنا ... فما وثقنا بهم يوماً ولا وثقوا
لا يعبث اليوم باستقلالكم أحدٌ ... ولا يغرّكم التضليلُ والملَقُ[1]

وتختلف الآراء ، فيؤيد المشروع بعض السياسيين ، ويرفضه البعض الأخر ، ويشحذ شاعرنا قلمه لتبصير الأمة بضياع حقوق مصر في هذا الاتفاق في قصيدة بعنوان « الاستقلال الذائب » :

دُعاةَ الخير والإصلاح مرحى ... رضيناكم وإن كنتم غضابا

(١) ديوان محرم : الجزء الأول .

رضيناكم على أن تنصفونا   وألاّ تظلموا الشّعب المصابا
أفي الإنصاف ألاّ توردوه   على طول الصدى إلاّ سرابا ؟
أفي استقلالكم يا قوم شيءٌ   سوى تلك التي تلوي الرّقابا ؟
كفى يا قومُ بهتاناً وزوراً   فقولوا الحقّ، واجتنبوا السّبابا[1]

ويخاطب أنصار الاتفاق ، ويبرأ من الاستقلا ل الكاذب الذي جلبوه :

دعوا استقلال مصر فقد عرفنا   خفايا الأمر ، وانكشف الغطاءُ
دعوا استقلالكم يا قوم إنا   من استقلالكم هذا براءُ
خذوه إلى المقابر فادفنوه   وقولوا للرئيس : لك البقاءُ[1]

ثم يطلب من قومه أن يجاهدوا وينجدوا مصر ، ويحفظوها من الضياع :

يا لقومي ، جاهدوا ، لا تهنوا   وسيأتي الله بالنّصر المبينْ
أنجدوا مصر إذا ما فزعت   وأهابت بالكماةِ الباسلينْ
إحفظوها ، إنّ مصراً إن تَضِعْ   ضاع في الدنيا تراثُ المسلمينْ[1]

ويقول على لسان الاستقلال:

يا قوم ماذا تحملو   ن من الدُّعابةِ والزّرايةْ
إن تجهلوا معنى الحما   يةِ ، فاسألوا أهل الدرايةْ
كبّرتُ إذ لم تحُسنوا   في مصر (تمثيلَ الرّوايهْ)
الله أكبر أستعيـ   ـذُ به ، وأسأله الوقايةْ
لا تظلموا استقلالكم   حسبي ، أأنتم والحمايةْ ؟

(١) ديوان محرم : الجزء الأول .

وتنجح السياسة الانجليزية في جذب معظم السياسيين المصريين لتنفيذ مآربها ، ويجري انتخاب مجلس الأمة في ظلّ الاحتلال ، ويفوز حزب سعد زغلول بالأغلبية ، ويفتتح البرلمان في يوم السبت ١٥ مارس ١٩٢٤ ، ويأسى محرم أشدّ الأسى على هذه الغفلة ، ويقول :

سأتبعُ يومَ السَّبتِ ما عِشتُ لعنةً   يطير بها عادٍ من الدّهرِ ضابحُ
رمى مصر بالنكباء ، وانساب ناجياً   كما انساب عفريتٌ من الجنّ جامحُ
يقولون نُوّابٌ ، ودارُ نيابةٍ   ومُلكٌ ، ودستورٌ من الحقّ واضحُ
وحُكّامُ عدلٍ شائعٍ ، ووزارةٌ   هي الشّعبُ ، أو روح من الشعب صالحُ
وساوسُ أقوامٍ مهاذيرَ ، ما لهم   من الرأي هادٍ ، أو من اللُّبِّ ناصحُ
أسائل نفسي وهي ولهى من الأسى   أرائكُ مُلكٍ ما أرى أم مذابحُ ؟

وفي أكتوبر ١٩٢٥ يقدم السير «جورج لويد» المعتمد البريطاني إلى مصر ، بعد أن نجح في كبت المشاعر الوطنية في الهند ، وربطها في فلك السياسة البريطانية ، فاستقبله محرم استقبالاً مُتّقداً بقصيدة أسماها «صوت مصر الوطنية» :

أتسألُ مصرُ ما حملَ العميدُ ؟   وهل عند الرماة لها جديدُ ؟

هو السّهـم الـذي عرفتـه قِدماً … وجـرّب وقعـه الشّعـب الوئيدُ
(مسيحَ النّيل) إنّ بمصر شعباً … يشـقّ عليك إن خضـع الهنودُ

وينصحه بألاّ يلقي بالاً إلى الزّعماء الذين لا يحسّون آلام الشعب وآماله :

دَعِ الـزُّعماءَ ، إنّ لهـم لديناً … يدين بغـيره الشّعـب الرّشيدُ
إذا ذكروا الزعامـة فهـي دعوى … يكيد بهـا (الكنانـةَ) من يكيدُ

ويحذّره مغبّة الطغيان والجبروت ، ويذكرّه بما حدث لسلفه اللورد كرومر قائلاً :

عميد الغاصبـين نزلـت أرضاً … يبيد الغاصبـون ، ولا تبيدُ
يذود الواحـد القهّـارُ عنها … إذا قهـرت جنـودُكَ من يذودُ
أتـذكر إذ لقومـك ما أرادوا ؟ … وإذ (لكرومـرَ) البـطشُ الشّديدُ ؟
أخذنـاه بقـارعـةِ الحَتْ … عليه ، فزال ، واشتفـتِ الكبودُ
صدعنـا ركنـه ، فانقضّ يهوي … وذاب الصّخـرُ أجمـعُ والحديدُ
هوى جَبـلٌ من العُـدوانِ عالٍ … وزُلْـزِلَ للأذى صرحٌ مَشيدُ
ونحـن القائمـون بحـقّ مصرٍ … إذا ما استسلـم القـوم القُعودُ
نَضِيـنٌ بمصر إن عَدَتِ العوادي … ولكنّـا بأنفسـنـا نجـودُ
هي الذّمـمُ المصونـةُ والعهودُ … فما يبغـي (كرومـرُ) أو (لُويدُ) ؟

ويظلّ محرّم في حربٍ عوانٍ مع الاستعمار وأذنابه مدافعاً عن وطنه وقومه ودينه ، غير مُبالٍ بما يصيبه من ضرر ، وما يحلّ به من أذى وظلم ، وما يلقاه من عنت وحرمان ، وحسبه أن ينصفه التاريخ بعد موته ، وأن يلقى الجزاء الأوفى عند ربّه :

على التّـاريخ بعـد الموت حقّي … وعنـد الله يومَ الـدِّينِ دَيْني

رحمك الله يا شاعر الإسلام والعروبةوالوطنية ، ويا مثال التضحية والفداء ونكران الذات ، وعوّضك عماّ قوبلتَ بهمن جحودٍ وإنكار في دنياك ، وأسبغ عليك جزيل نعمه ، وموفور آلائه في الفردوس الأعلى مع النبيّن والصدّيقين والشّهداء ، وحسن أولئك رفيقا .

محمود أحمد محرم

الكويت في ١١ ربيع الأول ١٤٠٣

٢٦ ديسمبر ١٩٨٢

زعماء مصر
وقصة المفاوضات مع الانجليز

لَبَّيْكَ من حُرِّ المواقفِ عالِ ... بهَرَ النُّهى بروائعِ الأمثالِ
هذا القريضُ سما إليك على يدِ ... تسمو بقُدْسيِّ الصّحائفِ غالِ
مُتبلّجِ[1] الآثارِ ، ما ركبَ الهوى ... يوماً ، ولا خلطَ الهُدى بضَلالِ
في صُورةِ الأقلامِ ، إلاّ أنّه ... من عِفّةٍ وطهارةٍ وجَلالِ
لَبّيكَ إذ هَجعَ الذين عَهِدتَهم ... وسهرتَ للهمِّ المقيمِ حيالي
لي في الأُلى حَفِظوا لمصرَ عُهودَها ... حَرَمٌ على الأيّامِ غيرُ مُذالِ[2]
حَرَمُ الهَوى الممنوعِ لم ينزل بهِ ... لعِبُ الخَليِّ ، ولا مِراحُ السّالي
لَبّيكَ إذ خَذلَ الحُماةُ بلادَهم ... ونهضْتَ تدفعُ غارةَ المُغتالِ
مثّلتَ مِصرَ ، فما تركتَ لِمُبدعٍ ... ثِقةً بمعنىً بارعٍ ومَقالِ
هَبْ لي مكانَكَ في النوابغِ ، واستمعْ ... عِظَةَ الدّهورِ ، وعِبرةَ الأجيالِ

(١)

أمْ لها مُلكٌ تَمكّنَ عرشُه ... في دولةٍ من مَحْتِدٍ ونِصالِ[3]

(١) مُشرق .
(٢) مُهان من ذال الشيءُ هان .
(١) المحتد الأصل ، والنصال جمع نصل وهو أعلى الرأس أو هو السيف .

ريعَتْ من القومِ الدُّهاةِ بحُوّلٍ[1]   جمّ المكائِدِ ، ماكرٍ مُحْتالِ

ما برَّ يوماً في الحديثِ ، ولا ارتضى   إلاّ أليّةَ[2] فاجرٍ مُخْتالِ

شاكي سلاح الغدرِ ، أصدقُ عهدِه   عهدُ الذّئابِ ، وذِمّةُ الأصلالِ[3]

جمَعَ الذّرائعَ[4] لاستلابِ حُقوقِها   ومضى يُتابِعُ سعيَهُ ويُوالي

فأصابَ أولَها عطاءً لامرئٍ   نائي المواطنِ ؛ أجنبيِّ الآلِ

وأتى يَقولُ لها دَعيهِ مُضيَّعاً   فلأنتِ في سَعَةٍ ، وغبطةِ حالِ

سَمِعَ الصغيرُ البَرُّ من أبنائها   فأهابَ يقضي الحقَّ غيرَ مُبالِ

أمّاه لا تُودِي بحقِّكِ ، وانبذي   رأيَ الغُواةِ ، وخُطّةَ الجُهّالِ

قال الكبارُ لها أمامَ عدوِّها   لا تحفِلي بوساوسِ الأطفالِ

نظروا إليه فعنّفوه ، وأقبلوا   حَنِقِينَ من صَلَفٍ ، وفرطِ خَبالِ[5]

أقصِرْ ، فمالك بالعظائمِ طاقةٌ   وَاسْكُتْ ، فمثلُكَ لا يمرُّ ببالِ

لا تأسَ[6] يا خيرَ الغُزاةِ لناشئٍ   يهذِي ويخدعُ نفسه بخيالِ

نأبى مَشورتَهُ ، وتُنكِرُ أمُّه   ما يفتري من باطلِ الأقوالِ

أرأيتَ أمَّ الطفلِ تَقبلُ حكمه   وتصدُّ عن أبنائها الأبطالِ ؟

(٢)

طَمِعَ المغيرُ فكرَّ إثرَ فريسةٍ   أخرى يضنُّ بمثلها ويُغالي

(١) الحوّل ذو الحيلة الشديد الاحتيال .

(٢) الأليّة القسم .

(٣) الأصلال جمع صلّ وهو جنس خبيث جداً من الحيّات منه نوعان .

(٤) الوسائل جمع ذريعة .

(٥) الخبال الفساد .

(٦) تحزن .

فابتزَّ مِفتاحَ الحياةِ ، وعاثَ في   يَنبوعِها المُتدفِّقِ السيّالِ

خَدعَ الأميرة وادّعاها شركةً   للزُّورِ فيها هَدّةُ المُنهالِ[1]

ضنّتْ عليه بما يُريدُ ، وأيقنتْ   أن سوف يتركها بلا أوصالِ[2]

فإذا الكِبارُ من البنينَ كعهدِهم   أطفالُ أحلامٍ ، صغارُ فِعالِ

قالوا لها أخطأتِ ـ أنتِ بنجوةٍ   مِمّا يروعُكِ من أذىً ووَبالِ[3]

يكفيكِ في دَعةٍ وطولِ سلامةٍ   رَشَفاتُ ماءٍ من فمِ الرِّئبالِ[4]

غَضِبَ الصّغيرُ وقال أمّاهُ احذري   وتأهّبي للخطبِ ذي الأهوالِ

صُدّي المُغيرَ ، فإن أبيْتِ فودِّعي   طيبَ الحياةِ ، ونَضرةَ الآمالِ

قال الكبارُ كذبتَ أمُّكَ فازدجرْ[5]   أفما تزالُ تُريدُ كلَّ مُحالِ ؟

إن الذي وصف الخيالَ فرُمْتَه   كالنّجمِ منزلةً وبُعدَ منالِ

يا أعدلَ الأقوامِ إن نقضوا الحُبَى[6]   وتدافعوا لخصومةٍ وجدالِ

دع ما يقولُ الطفلُ لا تحفلْ به   لَغْوُ الحديثِ أحقُّ بالإهمالِ

لا تُولِهِ منكَ التفاتةَ سامعٍ   إنّا نَشُدُّ لسانَه بعِقالِ[7]

(١) الهَدّة صوت وقع الحائط ونحوه ، والمنهال المُنْصَبّ .

(٢) أعضاء .

(٣) الوبال الشدة والوخامة وسوء العاقبة .

(٤) الأسد .

(٥) ازدجر امتنع وانتهى .

(٦) نقض الحبل حلّه ،والحبى جمع الحبوة ما يُحتبى به أي يشتمل به من ثوب أو عمامة ،ويقال حلّ حبوته أي قام .

(٧) حبل يشد به البعير في وسط ذراعه .

(٣)

تلك البقيّةُ من حياةِ مَضيمةٍ ... ولَهى الجوانحِ ، مالها من والِ(١)

ولَعَتْ يدُ العادي بها فأرادها ... أخذَ العقيرةَ من سوام المالِ(٢)

يسعى ليسلبَ دارها وطعامها ... سَعْيَ امرئٍ مُتأهّبٍ لقتالِ

يغتال(٣) نضرةَ عيشِها ، ويُصيبُها ... في كلّ مُضطربٍ لها ومجالِ

ويَعيثُ(٤) في مجرى الهواءِ فما ترى ... مَسْرى جنوبٍ ، أو مهبَّ شَمالِ

تلك البليّةُ من تُصِبْ لا تُلفِهِ ... إلاّ بمنزلةِ الرّميمِ البالي

(٤)

قال الكبارُ : تعالَ نَنظرْ بيننا ... في غيرِ ما سَرَفٍ ولا استرسالِ

الأمرِ إن ياسرتَ(٥) ليس بفادحٍ ... والدّاءُ إن سامحتَ غيرُ عُضالِ

ماذا تُريد فما بنا من غِلظةٍ ... ولسوف ترضى بعد طول تَقالِ(٦)

قال الصّغيرُ أتُذعنون لغاصبٍ ... جافي الخلائقِ سيّءِ الأعمالِ؟

أأرادَ إلاّ أن تكونَ حياتُنا ... كالدّارسِ العافي من الأطلالِ ؟

تَهوِي جوانبُها ، ويُصبحُ ساحُها ... شجوَ القطينِ ، وروعةَ النُزّالِ ؟

مَن ذا يُفاوضُ في الحياةِ عدُوَّهُ ؟ ... ويرى مآلَ السُّوءِ خيرَ مآلِ ؟

---

(١) ناصر .

(٢) العقيرة ما عقر من صيد وغيره ، والسوام الماشية والإبل الراعية .

(٣) يهلك .

(٤) يُفسد .

(٥) لاينت وساهلت .

(٦) التقالي البغض .

لا تأمنوه ، فما لكم من عصمةٍ ... تُرجَى إذا عَصفتْ يداه ، ولالي

أوَ ليستِ الأغلالُ في أعناقِنا ... ممّا جنَى ، وفوادحُ الأثقالِ ؟

إن كان من شيءٍ يُرادُ فباطلٌ ... حتّى يَزولَ بهذهِ الأغلالِ

قال الكبارُ لقد أرادَ سفيهُنا ... شَططاً ، وجاوز غايةَ الإيغالِ(١)

يجِدُ الحقائقَ في الخيالِ مَواثلاً ... ويرى المشارعَ في بريقِ الآلِ(٢)

أزْرَى به صَلَفُ الغُواةِ وجَهلُهم ... وجَنَى عليه تعسُّفُ الضُلاّلِ(٣)

تلك (الروايةُ) هل رأتْ عينُ امرىءٍ ... في الدّهرِ من نَمطٍ لها ومثالِ ؟

أمُّ البنين (كنانةُ الله) التي ... نُصِبتْ لكلّ مُناجزٍ صوّالِ(٤)

وصَغيرُها الحِزبُ الضّنينُ بحقّها(٥) ... إن جادَ كلُّ مُسامحٍ بذّالِ

نَصَحَ الذين همُ الكبارُ بزعمهم ... بأواخرٍ مأثورةٍ وأوالي

فإذا المسامعُ لا تُنالُ صِمامُها ... وإذا القُلوبُ منيعةُ الأقفالِ

عَصفَ التّفرُّقُ بالقُوَى ، فأزالَها ... إنّ التفرّقَ مُؤذِنٌ بزوالِ

هل أبصروا وَرَعَ المُغيرِ وزُهْدَه ؟ ... ورأوا تعفّفَ نابِه القتّالِ ؟

ومِنَ الحقائقِ في شريعةِ قومنا ... وَرَعُ الوحوشِ ، وعفّةُ الأغوالِ

بَعُدَ المدَى (بالملحقاتِ) وغودرت ... منها ودائعُ للبلادِ غَوالِ

وانْصاعَ (بالسّودانِ) في آثارها ... عَجِلُ الإغارةِ غيرُ ذي إمهالِ

ما رِيعَ من دعوى الغُزاةِ بباطلٍ ... هُمْ عاجلوه فَريعَ باستئصالِ

---

(١) المبالغة والإمعان .

(٢) المشارع موارد الشاربة ، والآل السراب .

(٣) أزرى به عابه ووضع من حقّه ، والصلف التملّق ، والتعسّف الظلم والميل عن الحقّ .

(٤) الصوّال الكثير الوثب والسطوة في الحرب .

(٥) الحزب الوطني الذي كان يرفض مبدأ التفاوض مع الانجليز ويطالب بجلائهم عن مصر .

سلبوا التُراثَ المُستباحَ ، وأُولعوا ... ببقيّةِ الأسلابِ والأنفالِ[1]

لهمُ (الكِنانةُ) أرضُها وسماؤُها ... ولنا الشّقاءُ الدّائبُ المُتوالي

يأتونَ كلَّ عظيمةٍ ويُريبُهم ... صَعَقاتُ شعبٍ دائمِ الأوجالِ[2]

لولا مُراقبةُ (الجلاءِ) وأنّه ... داني المدى لرأوه أوّلَ جالِ

(٦)

ذهبَ الرجالُ (يُفاوضون) فصادفوا ... أرواحَ جنٍّ في جُسومِ رجالِ

مكرَ الدُّهاةِ بهم ، وزلزلَ رأيَهم ... رأيٌ يَميدُ بقوّةِ الزّلزالِ

قالوا : دعوا (السّودانَ) إنّ لنا به ... حقَّ الشريكِ من الزّمانِ الخالي

ولنا بمصرَ من الحُقوقِ ومثلِها ... ما ليس للنُّظراءِ والأمثالِ

فإذا أبيتم (بالضّمانِ) فعندنا ... ما عزَّ من (ثَمنٍ) لكم ونوالِ

(٧)

أخذوا العطاءَ فما تَزالُ عيونُهم ... تَعتادُه من رَوْنَقٍ وجَمالِ

جاءوا به يمشون في لَمَعانِه ... مَشْيَ المُدِلِّ بنفسه المُختالِ[3]

عرضوه في ضَوْءِ النّهارِ فزانَه ... وَضَحُ الضُّحى ، وتوهُّجُ الأصالِ

هم زيّنوه لقومهم فتدافعوا ... يتنازعون مواكبَ الإجلالِ

نشروا لهم عصرَ (الكليمِ) فأبصروا ... صَفَّيْ عِصيٍّ حولَه وحِبالِ

قالوا انصروه ففيهِ من آمالِكم ... ما لا يُنالُ على يدِ الخُذّالِ

فيه (المزايا) الغُرُّ من (حُرِّيّةٍ) ... تَشفي غليلَ (النّيلِ)، و(استقلالِ)

(١) جمع نفل الغنيمة .

(٢) جمع وَجَل الخوف .

(٣) المُدِلّ بنفسه الواثق بها ، والمختال المتبختر المتكبّر .

(٨)

نظر (الحماةُ النّاقدون) فما ترى ... غيرَ الزُّيوفِ على يَدَيْ لأّالِ[1]

نَسَقٌ من التّزييفِ يقصرُ دُونَهُ ... ما زَيَّفتْ يدُ صانعٍ أو طالِ

قالوا عرفناهُ ، فمن يَعلقْ به ... يَعلقْ بخِزْيٍ دائمٍ ونكالِ

ورموا به ، فرموا بسمٍّ ناقعٍ ... أخذوا عليه مَساربَ الآجالِ

ودعوا : حذارِ بني الكنانةِ ، إنّه ... كيدُ المُضِلِّ ، وفتنةُ الدجّالِ

هو دِرهمٌ لا نَفعَ فيه وإن زها ... في العينِ من نَقْشٍ ، وحُسنِ صِقالِ

يَشقَى الفقيرُ من الشُّعوبِ بمثله ... ويزيدُ إقلالاً على إقلالِ

(٩)

هذا عطاء النّيلِ من يدِ (مِلْنَرٍ)[2] ... شيخِ النّدى ، وعميدِه المِفضالِ

وردَ (الكنانةَ) في حقائبَ جمّةٍ ... ما تَستقلُّ بها المطيُّ ثِقالِ

فَضَحَ الأُلى حملوه ما صَنعتْ به ... أيدي الحُماةِ الرُّجَّعِ الأزوالِ[3]

سُئلوا : أترمون البلادَ بزائفٍ ؟ ... وتُغرِّرون بسوقةٍ ومَوالِ ؟

قالوا : رُويدَ اللائمين فما بنا ... عجزُ الضّعيفِ يخاف كلَّ سؤالِ

إنّا عرضناهُ ليصدعَ قومَنا ... سِترَ الخفاءِ ، وغيهبَ الإشكالِ

لهمُ الزّعامةُ في الضّلالةِ والهُدى ... والرأيُ في الإعراضِ والإقبالِ

نفضوا الحقائبَ مُحنقِين ، وراعهم ... شُؤمُ المطافِ ، وخَيْبةُ التّجوالِ

(١٠)

صاح الحُداةُ بآخرين فراعنا ... منهم ضجيجُ ركائبٍ ورحالِ

(١) الزيوف جمع زائف وهو من الدراهم الرديء المردود لغشّ فيه ، ولأآل بائع اللؤلؤ .

(٢) إشارة إلى تقرير ملنر في ١٨/ ٨/ ١٩٢٠ .

(٣) الأزوال جمع زَوْل الشجاع أو العجيب في سرعته وخفته .

قالوا أَنُطمِعُ مصرَ في استقلالها … ونَروعُها بمفاوضين ضِلالِ ؟
إنّا سنأخذُه صحيحاً كاملاً … ونَزيده من صحّةٍ وكمالِ
نأتي به كالصُّبحِ أبيضَ ساطعاً … (لا شكّ فيه) كربّنا المتعالي

(١١)

كذبوا ، فقد كشفوا مَقاتلَ قومهم … لِمسارعينَ إلى النّقيضِ عِجالِ
عكفوا على نار الخلافِ ، فسرّهم … ما جرَّ مُوقِدُها ، وذاقَ الصّالي
كلٌّ يقولُ (أنا الرئيس)، فمَن أبى … فالبطشُ بطشي ، والمَحالُ مَحالي[1]
أنا (أوّلُ المُتفاوضينَ) مكانةً … عند التقدُّمِ ، ثم يأتي التالي
شَمِتَ العدوُّ ، وقالَ داءُ تفرُّقٍ … ما ازدادَ سيِّئُه سِوى استفحالِ
مالي أخافُ (مُساومينَ) ، نِبالُهم … سبقت إليهم أسهُمي ونِبالي ؟
لأخادِعنَّ القومَ عن آمالِهم … ولأدفعنَّ ضجيجَهم بمِطالي[2]
نهضوا لغيرِ بلادِهم ، فعرفتُهم … وعرفتُ نهضتَهم إلى اضمحلالِ
فلْيأخذوا ما ليس فيه لمثلِهم … إلاّ الأذى وملامةُ العُذّالِ

(١٢)

جاءوا بدرهمهم فأجفل قومُهم … مِلءَ المدائنِ أيَّما إجفالِ
وكأنّما هوتِ القُرى في لُجّةٍ … أو بادَ ناضرُها من الإمحالِ[3]
جاءوا بأكثرَ من أخيهِ مهانةً … وأشدَّ منقصةً ، وسُوءَ خِلالِ
ما زيّفَ الصُّنّاعُ فيه ، وإنّما … صنعوه من حمأٍ ومن صلصالِ[4]

(١) الاحتيال والدهاء والحذق وفي هذا البيت وما يليه إشارة الى النزاع بين سعد وعدلي على أيهما يرأس وفد المفاوضات عام ١٩٢٠ .
(٢) المطال الإمهال والتسويف .
(٣) الجدب .
(٤) الحمأ الطين الأسود ، والصلصال الطين اليابس الذي يصلّ من يُبسه أي يُصوّت.

رحلوا عن الوادي بأنحسَ طائرٍ … وأتوا رُبى الوادي بأشأمَ فالِ
حملوا إلى (الأهرام) لعنةَ (كُرْزُن)[1] … فاستغفرتْ لمناكبِ الحمّالِ
ودّتْ على استعلائها لو أنّها … زالت ، فأمستْ من حصًى ورمالِ
عبثوا بأبّهةِ الدُّهورِ ، وزلزلوا … مجدَ الملوكِ ، وعزّةَ الأقيالِ[2]
خُذِلَ الأئمّةُ في القبورِ ، وعُطِّلتْ … عِظةُ القُسوسِ ، وحكمةُ الآبالِ[3]
قل للمصاحفِ والأناجيلِ اذهبي … عُبِدَ الحرامُ ، وعيبَ كلُّ حلالِ

(١٣)

يا مصرُ عهدُكِ من أذىً ومرارةٍ … وهواكِ من همٍّ ومن بَلبالِ[4]
قَدَحَ الذي بين الجوانحِ ، فانظري … أدبيبُ حُبٍّ ، أم دبيبُ سُلالِ[5] ؟
صاحبتُ حُبَّكِ في المشيبِ وفي الصِّبى … وأراه صاحبَ مَوْلدي وفِصالي[6]
بُرهانُه الوَهنُ الذي في أعظُمي … ودليلُه الوضَحُ الذي بقذالي[7]
وغليلُ نفسي في جوانبِ مُمحلٍ … والطيرُ بين مناهلٍ وظلالِ
أشدو بذكركِ في الحوادثِ عاطلاً … والصّامتُ اللاّهي بغيركِ حالِ[8]

(١) جورج ناثا نائيل اختير وزيرا لخارجية بريطانيا ١٩١٩ - ١٩٢٤ . رأس مؤتمر لوزان ١٩٢٢ - ١٩٢٣ . قام بمفاوضات مع عدلي رئيس الوزارة المصرية لعقد معاهدة عام ١٩٢١ .
(٢) جمع قيل الملك من ملوك حمير أو هو الرئيس .
(٣) القسوس جمع قس ، والآبال جمع إيبل وهو الراهب .
(٤) البلبال شدة الهم .
(٥) داء في الرئة .
(٦) الفصال فطم الولد .
(٧) الوضح البياض والشيب ، والقذال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
(٨) العاطل من الرجال من ليس له مال ، والحالي الذي يتزيّن بلبس مصوغ المعدنيات أو الحجارة الكريمة .

إنّي لَتظفرُ في حُماتِك غارتي ... وتفوزُ بالسَّلَبِ[1] المنيعِ نِصالي

الثّابتين على الهُدَى ، ما زُلزلوا ... يوماً ، ولا عَرَفوا سبيلَ مَلالِ

ما ساوَموا في حقِّ مِصرَ ، ولارضوا ... بالضَّيْمِ يُرهِقُها ، ولا الإذلالِ

تَعتزُّ من أقلامهم بمعاقلٍ ... وتلوذُ من أعمالهم بجبالِ

نَصروا الأبوَّةَ والبنينَ ، فأنقذوا ... شرفَ الأُسودِ ، وسُؤْدُدَ الأشبالِ

شرُّ العجائبِ في زَمانِكَ أن ترى ... شَعْباً يُباعُ على يَدِ الدلاَّلِ

إنّا لَنحفظُ قومَنا ، ونعدُّهم ... خَيْرَ العَتادِ وأنفعَ الأبدالِ[2]

ما زادنا عَنَتُ الخُطوبِ وكيْدُها ... وتَوثُّبُ العادي سوى استبسالِ

(ميثاقُنا) نَسْجُ الحياةِ لأمّةٍ ... تَبغِي الحياةَ كريمةَ الأنوالِ

قوميّةَ الحَبَراتِ تَلبُس وَشْيَها[3] ... طَلْقَ الجوانبِ سابغَ الأذيالِ

حان الجلاءُ عن البلاد لمعشرٍ ... نكبوا البلادَ بأربعين طِوالِ

يا قومُ لا تَرِدُوا الخلافَ ، فإنّه ... وِردُ الطَّغامِ[4] ، ومنهلُ الأرذالِ

مَن يشتري السُّمَّ الذُّعافَ بسائغٍ ... عَذبِ النِّطافِ ، مُصفَّقٍ سَلْسالِ ؟[5]

سيروا على نُور الأئمّةِ ، وانهضوا ... نَهَضاتِ لا الواني ولا المِكسالِ

صَخَبُ التّنازُعِ في الممالكِ مُؤذِنٌ ... أُمَمَ الزّمانِ بضجّةِ الإعوالِ

لا تُنكروا شَغفَ الغُزاةِ بأمّةٍ ... شُغِفَتْ بطولِ تنافُرٍ ونضالِ

***

-١٩٢٢-

(١) السلب مفرد الأسلاب ما يُسلب .
(٢) الأبدال جمع بَدَل العوض والخَلَف .
(٣) الحبرات جمع حبرة وهي ضرب من برود اليمن ، والوشي الثياب الموشيَّة .
(٤) الطغام والواحدة طغامة أوغاد الناس للواحد والجمع .
(٥) النطاف جمع نطفة وهو الماء الصافي قل أو كثر ، والمصفَّق الصافي من صفق الرجل الشراب حوله من إناء إلى إناء ليصفو ، والسلسال الماء العذب .

الله أكبر

على لسان الاستقلال

يا قومُ ماذا تحملو ... نَ من الدّعابةِ والزّرايهْ

إن تجهلوا معنى الحِما ... يةِ فاسألوا أهلَ الدّرايهْ

كَبُرتْ إذ لم تُحسِنوا ... في مِصرَ (تمثيلَ الرّوايهْ)

الله أكبرُ أستعيـ ... ـذُ به وأسألُه الوقايهْ

لا تظلموا استِقلالَكم ... حَسْبي أأنتم والحمايهْ ؟

***

١٩٢٢

الرئيس

لعمري لئن خاسَ الرئيسُ بعهده[1]   وقام عليه للرياءِ دليلُ

لَعهدي به جَمُّ التقلّبِ ماله   سوى الغدرِ إن جدَّ الوفاةُ سبيلُ

وما كان ممن يَعرفُ الحقَّ أو يرى   مكان الهُدى ، والعارفون قليلُ

وما كنتُ أخشى أن يرى النّاسُ رأيَهُ   فَتَعْمَى قلوبٌ أو تطيشَ عقولُ

ألا في سبيل الله مِنّا مواقفٌ   رأينا بها الأحداثَ كيف تهولُ

رُمينا بأمثالِ الجبالِ من الأذى   وسالت علينا للسِّبابِ سُيولُ

فما رابنا في الحقِّ ما راب غيرَنا   ولا عابنا عمّا نريد نُكولُ

نجاهدُ لا نرجو سوى اللهِ ناصراً   ولا نَستحِلُّ البَغْيَ حين نَصولُ

***

- ١٩٢٢ -

---

(١) خاس بالعهد نكث وغدر .

وفود النيل

يا وُفودَ النّيلِ تَرتجُّ القُرى   وتَموجُ المُدْنُ منها بالمِئينْ

سائلوا النّيلَ عن استِقلالكم   ثمّ سيروا خبباً أو مُعنِقينْ[1]

أَجْمَعُوا الأمرَ ، وجاءوكم بها   قُطُراً[2] تُزْجَى إليكم كلَّ حينْ

أأَعدُّوها لأعيانِ القُرَى   أَمْ أَعدُّوها لقومٍ مُعوزينْ ؟

يَشترون القُطنَ باسْتقلالهم   ويبيعونَ العِدَى إرثَ البنينْ

صفقةٌ للنّيلِ في آثارها   صرخةُ العاني ، وإطراقُ الحزينْ

يا عبيدَ المالِ ، هل فيكم فتىً   يمنعُ المالَ أكُفَّ الغاصبينْ ؟

أو يرى الأنْفُسَ إن هَمَّتْ بها   ضرَباتُ القومِ في حِرزٍ أَمينْ ؟

إجْمعوا المالَ لأيدي السّالبينْ   ولِدُوا الأبناءَ للمُستعْبِدينْ

هل رأيتم أُمّةً تحيا على   ما تُلاقون حياةَ الآمنينْ ؟

***

- ١٩٢٢ -

---

(١) الخبب ضَرْبٌ من العَدْو يقال «مشى خبباً» ، والمعنق الذي يسير سيراً واسعاً فسيحاً مسيطراً ممتداً .

(٢) جمع قطار والمقصود القطار الحديدي والأصل القطار من الإبل .

اللواء المظفـــرّ

في الحرب التركية اليونانية الأخيرة

هو الحُكمُ أمضتــه السُّيوفُ القواطعُ   فــلا حكمَ إلاّ باطــلٌ بَعــدُ ضائعُ

سلِ القــومَ: هل في (سيفَــر) اليومَ ناظــرٌ؟   وهــل في (أتينــا) من بنــي الــرُّومِ سامعُ؟

تَرامَــوْا إلى (أزمــيرَ) والحتفُ راصدٌ   بأرجائِهــا، والبــأسُ غَضبــانُ رائعُ

جُنــودٌ وأعــلامٌ يَمــوجُ وراءَها   عُبــابٌ لأشتــاتِ الأســاطيعِ جامعُ[1]

يُريدون من مُلكِ الخلافــةِ هَضْبَةً   حَمَتْهــا الصَّياصي[2] والجبــالُ الفوارعُ

إذا انتشرَ الجيشُ اللُّهــامُ يُريدُها   طَوَتْــهُ المنــايا حَولَهــا والمصارعُ

كأنّ عرينَ اللّيثِ لم يُؤتِ نُصحَه   فيُقصرُ طمّاحٌ، ويرتــدُّ طامعُ

إذا لم يَزَعْ بعضَ النّفــوسِ حُلومُها   ففي السّيفِ للغاوي المُضــلَّلِ وازعُ[3]

تُذكِّرُهــم بالمَشْرَفيِّ[4] إذا نسوا   وللغافــلِ النّــاسي من الجهــلِ شافعُ

وإنّ علينــا أن نُقــوِّمَ دَرْأَهم   إذا ما مشى منهــم إلى الشّرِّ ظالعُ[5]

---

(١) الأساطيع الأعناق جمع السطاع .

(٢) الحصون .

(٣) زاجر .

(٤) السيف المنسوب إلى المشارف وهي قرى من أرض اليمن وقيل من أرض العرب تدنـو من الريف .

(٥) الدرء الاعوجاج والنشوز ، والظالع الرجل المائل المذنب .

أهابــوا بأبطــالِ الجهــادِ، فما لهم   ولا للمــواضي[1] عن دمِ القــومِ دافعُ

كتائــبُ لا يَعصِي الحُتــوفَ طريدُها   ولــو طاوعتــه في السّماءِ المطالعُ[2]

تُضيءُ سبيلَ النّصرِ، والنَّقْــعُ حالكٌ   وتصبــرُ في الهيجــاءِ، والسّيفُ جازعُ

لهــا في يد (الغــازي)[3] لواءٌ مُظفَّــرٌ   تُناجــي الفتــوحَ الغُــرَّ فيه الوقائعُ

إذا هزَّهُ ألقَــتْ معاذيرَهــا الوغــى   وطــارت إليه بالحصــونِ المدافعُ

تلــوذُ به الأجنــادُ في البــرِّ خيفةً   وتهفــو إليه في البحــارِ الدَّوارعُ[4]

إذا النّصرُ ألْــوَى بالجنــودِ عَصيُّه   تَقــدَّمَ يَقضي حقَّــه وَهْــوَ طائعُ

تألَّــقَ فيه (سيفُ عثمانَ) كوكباً   تَغيبُ الــدّراري[5] كلُّهــا وَهْــوَ طالعُ

على مَتْنِه[6] فجــرٌ من الفتــحِ صادقٌ   وفي حَدِّهِ نورٌ من اللهِ ساطعُ

تُشــاوِرهُ الأقــدارُ، والــكونُ مُطرِقٌ   وتُلقِي إليه الأمــرَ، والدّهــرُ خاشعُ

إذا اهتــزَّ فالــدُّنيا قلــوبٌ، وأهلُها   عُيونٌ، وأقطــارُ السّماءِ مَسامعُ

يَلــوحُ من (الغازي المجاهــدِ) في يدٍ   لها من يد (الهــادي الأمــينِ)[7] أصابعُ

مضَى يَصحبُ الإقدامَ، والسّيفُ ثالثٌ   ويحمِــي لواءَ اللهِ، واللهُ رابعُ

***

---

(١) السيوف .

(٢) مواضع طلوع الكواكب .

(٣) القائد مصطفى كمال .

(٤) الأجناد جمع الجند ، والدوارع السفن المدرّعة .

(٥) الكواكب العظام التي لا تعرف أسماؤها .

(٦) متن السيف وسطه .

(٧) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

تَمارَوْا، فقالوا عاثَ في المُلكِ ناكثٌ ... وخانَ مواثيقَ (الخلافةِ) خالعُ[1]

إذا بعثوا بالجيشِ ألقى سلاحَهُ ... فلا النَّصرُ مَرْجُوٌّ، ولا الجيشُ راجعُ

هي الحربُ حتّى لا يَرى اللّيلَ مُصبحٌ ... ولا يَتمارى ذو الدّهاءِ المُخادِعُ

لَعمرُكَ ما يُغنِي الفتى سُوءُ رأيِهِ ... إذا التذَّ طعمَ الوِردِ والسُّمُّ ناقِعُ[2]

وما (ببني عُثْمانَ) في الحربِ رِيبَةٌ ... إذا ابتدرَ السَّيفَ الكميُّ المُقارعُ[3]

أولئكَ جندُ الله، أمّا الذي أبَوْا ... فحِجْرٌ[4]، وأمّا ما أرادوا فواقِعُ

إذا نَفروا للحربِ سبَّحَ ساجدٌ ... وكبَّرَ ما بينَ اللّوائينِ راكعُ

يَطوفُ (عليٌّ) بالصُّفوفِ و(حمزةٌ) ... ويسعى (ابنُ قيسٍ) و(الحبابُ) و(رافعُ)[5]

يلوذُ بآياتِ الكتابِ رِباطُهم ... وتمضي براياتِ (النّبيِّ) الطّلائعُ[6]

يُبرِّحُ بالقُوّادِ والجندِ منهمو ... أعاجيبُ شتّى في الوغى وبدائعُ

رموا جيشَ (قُسطنطينَ) بالبأسِ زاخراً ... وبالحتفِ يطغى موجُهُ المُتدافعُ[7]

إذا انتَظمَتْهُمْ لُجّةٌ من عُبابِهِ ... ترامتْ به غُدْرانُهُ والمشارعُ[8]

---

(1) تماري شك وجادل، وعاث أفسد، والناكث والخالع بمعنى وهو الذي ينقض العهد بعد إبرامه.

(2) لعمرك أي لدينك واللام للقسم، والورد الماء الذي يورد، وسمّ ناقع أي قاتل.

(3) إبتدر السيف تبادر إلى أخذه، والكميّ المقارع الشجاع الذي يضرب فيصيب.

(4) الحجر الحرام.

(5) الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وحمزة بن عبد المطلب عم النّبي، وحارثة بن قيس من الأنصار، والحباب بن المنذر صاحب لواء الخزرج، ورافع بن خديج، وكلّهم ممّن شهد غزوة بدر الكبرى.

(6) الرباط المرابطون، والطلائع جنود المقدّمة من الجيش.

(7) قسطنطين القائد اليوناني، وزاخراً طافحاً.

(8) انتظم الصيد طعنه أو رماه، والمشارع جمع المشرع وهو المورد.

غواربُ تسمو من حديدٍ ومن دمٍ ... بجأواءَ لم يَصنعْ لها الفُلكَ صانعُ[1]

غمَدوا سيوفَ (التُّركِ) حتّى إذا مضت ... مضى المُلكُ وانهالتْ عليه الفجائعُ

أرى الشّعبَ فَوْضى، والبلادَ كأنّما ... تُكفِّئُها من جانبَيْها الزَّعازعُ[2]

أفي كلِّ يومٍ نكبةٌ مُدْلَهِمَّةٌ ... ونَاعٍ بأطرافِ البلادِ مُسارعُ؟[3]

وفي كلِّ حينٍ نَجدةٌ وإعانةٌ ... يُشيِّعُها قرضٌ لآخرَ تابعُ؟[4]

لَئِنْ عمَرتْ تلكَ الخزائنُ بالبِلى ... لقد حفَلَتْ منه الدّيارُ البلاقعُ[5]

***

(بني الرُّومِ) هل أمسى على الأرضِ يابسٌ؟ ... وهل في الرُّبى من ذلك الغَرْسِ يانعُ؟

أضلَّكُمُ البرقُ المُليحُ وربّما ... أضلَّ وميضُ البرقِ، والبرقُ لامعُ[6]

ذهبتُمْ على آثارِ مَن طاحَ قبلكم ... وفي الذّاهبِ الماضي لِذي الحِلْمِ رادِعُ[7]

أقاموا لكم مُلكاً تَضيقُ بمثلِهِ ... جوانبُ هذا الدّهرِ، والدّهرُ واسعُ

هوَتْ بشعوبِ الأرضِ منهم سياسةٌ ... لها شاعِرٌ يُشْجي[8] الممالكَ بارعُ

---

(1) غوارب الماء أعاليه، والجأواء الكتيبة يعلوها لون السواد لكثرة الدروع.

(2) تكفّئها تقلّبها، والزعازع الشدائد.

(3) النكبة المصيبة، ومدلهمة من أدلهم الليل اشتد سواده، والناعي الذي يأتي بخبر الموت.

(4) شيّع الشيء أرسله وتبعه، والقرض ما تعطيه من المال بشرط أن يُعاد لك بعد أجل معلوم.

(5) البلى الهلاك، وحفل امتلأ، والبلاقع جمع البلقع المقفر.

(6) ألاح البرقُ أومض فهو مُليح.

(7) طاح هلك، والحلم العقل، ورادع من ردعه عن الشيء كفّه وردّه عنه.

(8) أشجى أطرب.

يُجِدُّ أفانينَ الخَيالِ ، ويزدهي   أولي الشَّوْقِ منه ذو تطاريبَ ساجعُ[1]

يُغنّى (بلَيْلَى) وهي للنّاسِ فتنةٌ   ويبكي ديارَ الحيِّ ، والبُعدُ شاسعُ

هو الوَجدُ حتّى ما تجفُّ المدامعُ   ولا تشتفي ممّا تجُنُّ[2] الأضالعُ

هوىً ما شفتْ (ليْلَى) تباريحَ دائِه   ولا ساعفتْ أسبابُهُ والذّرائعُ[3]

أحرُّ الوغَى أن يطْرُقَ الحيَّ طارقٌ   ويَربعَ من شوقٍ على الدّارِ رابعُ[4]

وأبرحُ ما تَلْقَى النُّفوسُ مِن الرَّدَى   إذا اغْترَّ عانٍ ، أو تمرَّدَ خاضِعُ[5]

***

لَعَمْري لَنِعْمَ القومَ هبَّتْ سُيوفُهم   تَهُزُّ شعوبَ الشَّرقِ ، والشر هاجعُ

أبَوْا أن يكونَ الملكُ نِحلةَ مُفسدٍ   تُساقُ عطاياهُ ، وتُزجَى القطائعُ[6]

دعَوا، فانبَرتْ لِلحربِ بكرٌ ومُطفِلٌ   وخفَّ إلى الهيجاءِ كهلٌ ويافعُ[7]

يُغامِرُ ذُو العِشرينَ فيها بِشَيْخِهِ   وتُلقي إليها بالبنينَ المراضعُ

نهضْنَ ، وأسيافُ الغُزاةِ مآزرٌ   وسِرْنَ ، وأعرافُ الجيادِ براقعُ[8]

(١) يجِدّ من أجدَّ الأمرَ أحكمه أو من أجدّ الشيء صيرّه جديداً ، وأفانين جمع أفنون وهو الضرب أو النوع من الشيء ، وازدهى الرجلَ استفزّه طرباً ، وتطاريب جمع تطريب وهو ترجيع الصوت ومدّه وتحسينه .

(٢) تستر .

(٣) تباريح جمع تبريح وهو الشدّة والأذى ، وساعفت دنت وحانت ، والذرائع جمع الذريعة وهي الوسيلة .

(٤) طرق القومَ أتاهم ليلاً ، وربع الرجل وقف وانتظر .

(٥) الردى الموت والهلاك ، واغترّ ركبه الغرور ، والعاني الذليل ، وتمرّد عصى وعتا .

(٦) النحلة العطية وهي أيضا المذهب والديانة ، والقطائع جمع القطيعة وهي قطعة من أرض الخراج يُقطعها الجند فتجعل لهم غلّتها رزقا .

(٧) انبرى له اعترض ، والبكر العذراء ، والمطفل ذات الطفل ، والهيجاء الحرب .

(٨) المآزر جمع مِئزر ومِئزرة أي الإزار وهو كل ما سترك ، وأعراف جمع عرف وهو منبت الشعر من العنق ، وبراقع جمع برقع ما تستر به المرأة وجهها .

يَقِفْنَ وراءَ الخيلِ يَحْمِينَ سَرْحَها[1]   إذا باتَ منّا في الحشيّةِ وادعُ

مِنَ اللاّءِ يُعطينَ الخلافةَ حقَّها   ويَبْنينَ منها ما تَهدُّ القوارعُ[2]

يَلِدْنَ الأُباةَ الحافظينَ ذِمارَها   وما النّاسُ إلاّ ذُو إباءٍ وضارعُ[3]

***

أ(خالِدَ)[4] زيدي مجدَ قومِكِ وارْفَعي   لَهُمْ من مَعالي الذِّكرِ ما أنا رافعُ

يَراعٌ يهزُّ المسلمينَ صريرُه[5]   وسَيفٌ لأعناقِ المُغيرينَ قاطعُ

ظَفِرْتِ به دُوني ، وإنّي بواجدي   وجَدِّكِ إلاّ أنْ تلومي لَقانعُ

أحبُّ القوافي ما تصوغُ لكِ الظُّبى   وتُنشِدُ أهليكِ الرِّماحُ الشَّوارعُ[6]

خَطَبْنَ ، فأحْسَنَّ البيانَ ، وإنهم   إذا خطبوا في مأزقٍ لَمصاقعُ[7]

بدائعُ من وَحْيِ الوغَى عبقريّةٌ   لها مِن نُفوسِ الباسلينَ مواقعُ

تُمزِّقُ مِن مُلكِ العِدَى ما تُصيبُه   ومهما تُمزِّقْ لا يُصِبْ منه راقعُ[8]

ألَمْ تَرَ (قُسطنطينَ) أصبحَ مُلكُهُ   كما صدَعَ الثّوبَ المُلفَّقَ صادعُ ؟[9]

رماه (بنو عثمانَ) من كلِّ جانبٍ   فزُلزِلَ حاميهِ ، وطاحَ[10] المُدافعُ

***

(١) السرح كل شجر طال لا يَرعى وإنما يستظلّ فيه الواحدة سرحه .

(٢) القوارع الدواهي والشدائد جمع قارعة .

(٣) الضارع الخاضع الذليل .

(٤) خالدة أديب الأديبة التركية المجاهدة .

(٥) اليراع القلم ، والصرير صوته .

(٦) الظبي جمع ظبه وهو طرف السيف وحدّه ، والرماح الشوارع المُسدّدة .

(٧) المأزق موضع الحرب ، ومصاقع جمع مصقع وهو البليغ .

(٨) راقع من رقع الثوب والأديم ألحم خرقه .

(٩) صدعه شقّه ، والملفّق من لفق ولفّق الثوب ضمّ شقة منه إلى أخرى فخاطها .

(١٠) طاح هلك.

بَني الرُّومِ هل برَّتْ عهودُ حَليفكِم ؟ وهـل صدَقَـتْ آمالُـكم والمطامعُ ؟

بَغَيْتُـمْ على المُسْتأمنِـينَ وبرّحَتْ على الضّعفِ منكم بالبرايا الفظائعُ[١]

رَمَيْتُـم (قُبـورَ الفاتحـينَ) فزُلْزِلَتْ (بيثربَ) أجداثٌ ، وهيلَتْ مَضاجعُ[٢]

أهـذا هُوَ الفتـحُ الـذي طَارَ ذِكرُه وضـجَّ[٣] يُحيِّيه (الحليفُ المُشايعُ) ؟

وَدائـعُ مِن مجـدِ (الهـلالِ) وعزِّهِ ذخائـرُ (طـه) في حماهـا ودائعُ[٤]

مَضَـتْ غُدوةً ، والسّيفُ حرّانُ ناهِلٌ وعادت ضُحىً، والسّيفُ ريَّانُ ناقعُ[٥]

أثرتـم بهـا عصراً من الفتحِ أظلمتْ عصـورُ المَواضي[٦] وهـو أبيضُ ناصِعُ

تَنفَّسَ عـن رِيحِ الجِنـانِ ، فهزّنا إليها شَذىً من جانبِ (الرُّوحِ) ضائعُ[٧]

لقـد كان في تلكَ المَحـارِمِ[٨] زاجرٌ ولـكنّها أحـلامُكـم والطّبائعُ

فذوقـوا جَزاءَ البَغْـيِ ، لا السَّيفُ راحِـمٌ
ولا (الفـاتحُ الغـازي) إلى السِّـلمِ نَازعُ[٩]

(فَتى الشرْقِ) يَسـقِي سيفُـهُ كُلَّ ظالـمٍ
جَنَى البَغْـيَ حتّـى يسأمَ البغـيَ زارعُ

(١) المستأمن من استأمنه طلب منه الأمان ، والبرايا جمع البرية الخلق .
(٢) هكذا فعلوا في بروصة بضريح السلطان أرطغرل ، ويثرب المدينة المنورة ، والأجداث جمع جدث وهو القبر .
(٣) صاح .
(٤) الهلال شعار الدولة العثمانية ، وطه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .
(٥) الغدوة والغداة ما بين الفجر وطلوع الشمس ، وحرّان شديد العطش ، وناهل من نهِلَ أي شرب أول الشرب والريّان الذي شرب وشبع ، والناقع من نقع الماء وبه رَوي .
(٦) المواضي جمع الماضي وهو الزمان المنصرم .
(٧) الروح هو جبريل عليه السلام ، وضائع من ضاع المسك وتضوّع أي تحرّك فانتشرت رائحته .
(٨) جمع المحرم الحرام .
(٩) نزع إلى الشيء ذهب إليه .

وكيف يَقَـرُّ اللّيثُ والـذُّعـرُ آخِذٌ بأشبالِهِ ، والذّئـبُ في الغيلِ راتعُ ؟[١]

بَني الغـربِ صبراً ، لا تَقـولـوا هَوادةً بني الـرُّومِ مهـلاً ، للأُمـورِ مَواضِعُ

أإنْ عاد (بـابـولاسُ) والجيشُ صاغِرٌ وأذعن (قسطنطينُ) والأنفُ جادِعُ[٢]

تُريدونهـا في (آلِ عُثمانَ) خُطّةً هيَ الخَسْفُ إلاّ ما تَزَحْـزَحَ كانعُ ؟[٣]

***

بَنِـي الغـربِ كُونـوا اليومَ أُسْـداً فما جَنـى
على الأُسْـدِ إلاّ الثّعلـبُ المُتواضِعُ

دعـو السّيفَ يَشْرَعْ للشُّعـوبِ سَبيلَها فقـد أهلكتهـا سُبْلُـكم والشّرائعُ

هو القـدرُ المطبـوعُ[٤] ما ثَمَّ قادِرٌ سـواه فيسـتعلي ، ولا ثَمَّ طابعُ

إذا المرءُ أعيَتْـهُ مُصانَعَـةُ العِدَى مَضَى صادقـاً في شأنِـه لا يُصانعُ

مَنيعَ الحِمَى ، لا يُسلِمُ الدّهـرَ عِرضَهُ إذا أسلم العِـرضَ الـذّليلُ المُطاوعُ

إذا شَرَعَ الرِّعـديدُ في الـذُّلِّ يفتـدي
دَمَ الجَـوفِ أمْسَى وهـو في الـدَّمِ شارعُ[٥]

لَعَمـرِكَ إنّ القـومَ ما جَدَّ جدُّهم فما لِنواصيهـمْ مَدَى الدّهـرِ سافِعُ[٦]

تَفـاوتَ شأو القـوم ، سامٍ مُحلِّقٌ ومُحتَجـرٌ في مَجثَـمِ الهُـونِ قابعُ[٧]

(١) الليث الأسد ، والأشبال جمع الشبل وهو ولد الأسد ، والغيل بيت الأسد ، وراتع من رتع في المكان أقام وتنعم وأكل فيه ما شاء .
(٢) بابولاس القائد اليوناني وقسطنطين ولي عهد اليونان حينئذ ، وجدع أنفه قطعه .
(٣) الكانع اللازم اللازق .
(٤) المطبوع من طبع السيفَ عمله وصاغه .
(٥) الشارع هو الذي يتناول الماء بفيه .
(٦) من سفع بناحيته قبض عليها فاجتذبها ، والناحية هي مقدم الرأس .
(٧) الشأو الهمّة ، والمحتجر الذي يتخذ لنفسه حُجرةً ، والمجثم محل الجثوم ، والهون الخزي ، وقابع من قبع في منزله انزوى فيه واستتر .

وبعضُ بَنِي الغبراءَ بينَ شُعوبِها   كما اطَّردتْ فوقَ العُبابِ الفواقِعُ[1]

سراةٌ وأعيانٌ يروعُكَ شأنُها   وأنديةٌ مَعْمُورةٌ ومجامِعُ

علَى غيرِ شيْءٍ غيرَ أنّا نَظنُّها   مَخائلَ[2] ما ترجو النُّفوسُ الجَوازعُ

دَعوتُ ذَوِي الأحلامِ منّا إلى الهُدى   وإنّي لِنَفْسِي إن تولّوا لَباخِعُ[3]

إذا (النّيلُ) لم يَنْبعْ سَناءً وسُؤدُداً   فَغَوَّرَ[4] وانْسدَّتْ عليهِ المنابعُ

***

بَنِي الغربِ ما في طِبِّكم وكتابِكم   دَواءٌ لأوجاعِ المشارقِ ناجعُ[5]

صَبَبْتُم علينا الدّاءَ ، حتّى إذا طَغَى   ترامت بنا في الهالكين المنازعُ

خُذوا ما كَتَبْتُم من (أناجيلَ) ما قَضى   على الشرّقِ إلاّ شُؤمُها المُتتابعُ[6]

أناجيلُ (رُهبانٍ) بأيدي (أئمّةٍ)   لهم (بِيَعٌ) من أعظُمٍ و(صوامعُ)[7]

تُطِلُّ على الأعناقِ مِن جَنَباتِها   مُدىً مِن نُضارٍ زَيَّنَتْها الرّصائعُ[8]

دَمُ العاجزِ المغلوبِ في حُجُراتِها   وما زِينَ من تلك المحاريبِ مائعُ[9]

تُضيءُ الدُّجى فيه مَصابيحُها العُلَى   ونحن الفَراشُ السّاقطُ المُتقادِعُ[10]

(١) اطردت جرت وتتابعت ، والعباب الموج ، والفواقع جمع الفاقعة الزبد الذي يعلو الماء .

(٢) مخايل جمع مخيلة وهي من السحب المنذرة بالمطر .

(٣) بخع نفسه قتلها غيظاً أو غماً .

(٤) غوّر الماء ذهب في الأرض .

(٥) شافٍ .

(٦) يقصد الشاعر بالأناجيل النظم والقوانين المستوردة من الغرب .

(٧) بيع جمع بيعة المعبد للنصارى واليهود ، وصوامع جمع صومعة وهي الدير .

(٨) مدى جمع مدية الشفرة الكبيرة سميت كذلك لأن بها انقضاء المدى ، والنضار الذهب والفضة وقد غلب على الذهب ، والرصائع جمع رصيعة وهي حلية السيف وغيره .

(٩) سائل .

(١٠) المتهافت .

يُصلِّي بها (الأحبارُ) مِن كلِّ (ناسكٍ)   يخِرُّ على الأذقانِ ، والجَفْنُ دامِعُ[1]

لَهم مِن جُلودِ الهالكينَ على التُّقَى   (مُسوحٌ) حِسانُ المُجْتلَى، و(مَدارعُ)[2]

(نَواقيسُهم) لِلجاهلينَ مَطارقُ   و(صُلبانُهم) للغافلين مَقامِعُ[3]

رَمَوْا أُمَمَ الدُّنيا بأوزارِ نِحلةٍ[4]   من الظُّلمِ ، مبثوثٌ بها الشَّرُّ شائعُ

يُعلِّمُها (رُسْلَ الحضارة) يَبتغي   بها الصّيدَ (ربٌّ) ذو مخاليبَ جائعُ

***

(بَنِي يافثٍ) لا (حيّةُ البحرِ) قادرٌ   عليكم ، ولا كلُّ الشُّعوبِ ضَفادعُ[5]

عرفتم لذِي الكيدِ المُخاتِلِ حُكمَه   فلا كيدُهُ مُجْدٍ، ولا الخَتْلُ نافعُ[6]

رُوَيْدَ العِدَى لا (آلُ عُثمانَ) إذ أبوا   (تِجارٌ)[7] ولا مُلكُ الهلالِ (بَضائعُ)

وما الحُرُّ إلاّ مَن يُغالي بِمُلكِه[8]   إذا باع عزَّ المُلكِ في النّاسِ بائعُ

(١) الأحبار جمع الحَبر وهو رئيس من رؤساء الدين ، والناسك العابد المتزهّد ، وخرّ انكب على الأرض وسجد .

(٢) المسوح جمع المسح الكساء من شعر يلبس تقشفاً وقهراً للجسد ، والمدارع جمع المدرعة وهو ثوب من الكتان كان يلبسه عظيم أحبار اليهود

(٣) مقامع جمع مقمعة العمود من الحديد أو كالمجن يضرب به رأس الفيل ، وخشبة يضرب بها الإنسان على رأسه ليذلّ .

(٤) النحلة المذهب والديانة .

(٥) يافث ثالث أبناء نوح كانت قسمته بلاد آسيا الصغرى وأوروبا ، منه تسلسلت الشعوب الآرية أو الهند وأوربية على ما جاء في التوراة ، وحية البحر لقب كان يطلق على قائد الأسطول البحري اليوناني .

(٦) الكيد المكر والخبث ، والختل الخداع .

(٧) تجار جمع تاجر .

(٨) غالى بالشيء رفع ثمنه .

نهضتُـم بهِ حُرًّا، وليس بناهضٍ ... إلى المجدِ شَعبٌ أثقلتْـهُ الجوامعُ(١)

ومـا (الهُبَلُ الأعلى)(٢) بمُـؤتٍ عَدُوَّكم ... مِـنَ المُلكِ والسُّلطـانِ ما اللهُ نازعُ

صَدقتُـمْ فأَعْطـاكُمْ مِنَ الخيرِ بَسطةً(٣) ... وليس لِما يُعطِـي مِنَ الخـيرِ مانِعُ

ستبقـى لكم مِمّـا وفَيْتُـم بعهدِهِ ... عَـوارِفُ في أعناقِنـا وصَنائعُ(٤)

نسجنـا لكم بُرْدَ الثَّنـاءِ مُوشَّعاً ... ومـا البُـردُ إلاّ ما تزين الوشائعُ(٥)

صبرنـا على الشَّوقِ المُبـرِّحِ والجَوَى ... فلا القلبُ خفّاقٌ، ولا الدَّمعُ هامِعُ(٦)

سَلامٌ على تلكَ الرِّبـاعِ وإن عفَتْ ... مَصايفُنـا مِن أجلِهـا والمرابعُ(٧)

***

- ١٩٢٢ -

(١) الجوامع جمع الجامعة وهي الغُلّ لأنها تجمع اليدين إلى العنق قال أبو ذؤيب (ولو كُبّلت في ساعديّ الجوامعُ) .
(٢) هبل إسم صنم كان في الكعبة .
(٣) البسطة السعة .
(٤) عوارف جمع عارفة الخير والاحسان والمعروف ، وصنائع جمع صنيعة الاحسان .
(٥) وشّع الثوب رقمه بعلم ونحوه ، والوشائع جمع الوشيعة وهي قصبة الحائك وسمّيت كذلك لأن الغزل يوشع فيها ، والبرد الموشّع الموشّى ذو الرقوم والطرائق .
(٦) المبرّح المُتعِب المؤذِي ، والجوي شدّة الوجد ، وخفق القلب اضطرب ، وهمع الدمع سال .
(٧) الرباع جمع الرَّبع الدار ، والمصايف جمع المصيف الموضع الذي يقام فيه في فصل الصيف والمرابع مواضع الإقامة في الربيع .

شريعة السّيف

نادِ القبـورَ، وبَشِّرْ كلَّ مقبورِ ... حُمَّ النُّشورُ، وحانت نَفخةُ الصُّورِ(١)

قُلْ للمشـارقِ كرَّ الدَّهـرُ كرَّتَهُ ... وهـبَّ للثـأرِ فيه كلُّ مَوْتورِ(٢)

ضُمِّي الجِراحَ، وقُومي غـيرَ هائبةٍ ... فلن يروعَـكِ ذو ضِغْـنٍ بمحذورِ(٣)

إن تَنهضي اليومَ يَفـزعْ كلُّ مُرْتَبِىءٍ ... وينتفِضْ كلُّ ذي نابٍ وأظفورِ(٤)

هي الحياةُ، فَخُوضي النَّقعَ واقْتَحِمي ... أهـوالَ كلِّ مَرُوعِ السّاحِ مذعورِ

جُنَّتْ نواحيهِ مِمّـا أحدثـتْ أُمَمٌ ... تَنثـالُ من جازرٍ يطغـى ومجزورِ(٥)

مِنَ الأنـاسِيِّ إلاّ أنهـا مَرَدتْ(٦) ... فالجِـنُّ تَنظـرُ من ساهٍ ومسحورِ

القُـوَّةُ الحَـكَمُ، لا عدلٌ بمُتَّبَعٍ ... في الحاكِمـينَ، ولا ظُلـمٌ بمحظورِ(٧)

شريعـةُ السَّيفِ يُمْضيهـا جبابرةٌ ... مِـن كلِّ مُستهـزِىءٍ باللهِ مغرورِ

أمَـا ترى الـدَّمَ يجـرِي في مَخاليهم ... على الشرائـعِ(٨) يمحـو كُلَّ مَسْطورِ ؟

(١) حُمّ الأمر قُضي ، والنّشور البعث ، والصور القرن ويقال هو جمع الصورة أي يُنفخ في صور الموتى الأرواح .
(٢) كرّ الدهر عاد مرة ثانية ، والموتور من قُتِل له قتيل فلم يُدرك دمه .
(٣) راعه الأمر أفزعه ، والضغن الحقد ، والمحذور ما يُتحرّز منه .
(٤) المرتبىء المرتقب والمشرف .
(٥) تنثال تندفق ، وجازر ومجزور من جزر الشاة نحرها .
(٦) عتت .
(٧) المحظور الممنوع المحرّم .
(٨) الشرائع جمع شريعة ما شرع الله لعبادة من السنن والأحكام .

ضجَّ الحريبُ ، فقالوا : هزَّةُ طربٌ | وهاجَهُ العهدُ مِن عِلمٍ ومن نُورِ[١]

وَيْحَ[٢] العقولِ رُمينا من غباوتها | بدولةٍ من بقايا الوهمِ والزُّورِ

النَّعشُ يغدو عليه كلُّ مُغْتَبِطٍ | والقبرُ يمرحُ فيهِ كلُّ مسرورِ

هي الحضارةُ تجلو كُلَّ مَلْتَبِسٍ[٣] | مِن الأمورِ ، وتُبدِي كلَّ مستورِ

الحقُّ من تُرَّهاتِ[٤] الصائحين بهِ | والعدلُ فيما ترى ـ آمالُ مقهورِ

والعذرُ للفاتكِ العادِي ، فإنْ جزِعَتْ | نفسُ المُروَّعِ أَمْسَى غيرَ معذورِ[٥]

والنَّفْيُ والقتلُ والتعذيبُ مَرْحَمَةٌ | مأثورةٌ ، وصَنيعٌ غيرُ مكفورِ[٦]

لا أُمّةٌ ذاتُ تأريخٍ ، ولا وَطَنٌ | كلٌّ هباءٌ[٧] ، وشيءٌ غيرُ مذكورِ

والجهلُ أنفعُ ما تَرْقَى الشُّعوبُ بهِ | والذُّلُّ أسمى الأمانِي للجماهيرِ

وليس للمرءِ من مالٍ ولا وَلَدٍ | إلاّ على خطَرٍ ، أو رَهْنَ تدميرِ

لا يملكُ النَّفسَ إلاَّ أن يُؤَخِرَها | مَنْ أمرُهُ الأمْرُ في أخذٍ وتأخيرِ

تلك الحياةُ ، فقُلْ للآمرين بها | قَوْلَ (الرَّسولِ) رُوَيْداً بالقواريرِ[٨]

***

(١) الحريب المسلوب ، وهاجه أثاره .
(٢) كلمة ترحم وتوّجع وقيل إنها ويل .
(٣) من التبس الأمر عليه اختلطواشتبه وأشكل .
(٤) الترهات جمع التُّرَهة الأباطيل والدواهي .
(٥) العذر رفع اللوم والذنب ، والفاتك الذي يبطش أو يقتل على غفلة ، والعادي المعتدي ، وجزع أظهر الحزن والكدر ، والمروع من خامره الخوف .
(٦) غير مكفور أي مشكور .
(٧) الهباء الغبار وهو هنا بمعنى الشيء الحقير الذي لا يعتدّ به .
(٨) إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لغلامه أبخشه وهو يسوق ببعض نسائه (رويدك سوقاً بالقوارير) .

قالوا (الحمايةُ)[١] عن أعناقِكم وُضِعَتْ | فليس مَطويُّها يوماً بمَنْشورِ

فاسْتَبْشِرُوا اليومَ (باستقلالِكم) وخُذوا | حقَّ البلادِ جميعاً غيرَ مَبْتُورِ[٢]

وغايةُ الجُودِ بَيْنَ النَّاسِ أنْ يجدوا | صَيْدَ (النُّسورِ) طعاماً (للعصافيرِ)

(روايةٌ) وخيالاتٌ مُنَمَّقَةٌ[٣] | تُصاغُ مِن دار (نُوّابٍ) و(دُستورِ)

ماذا لنا وحياةُ النّيلِ في يدكم | والأمرُ أَجْمَعُ من نَقْضٍ وتقريرِ ؟

دعُوا المِزاحَ ، فإنَّا أُمّةٌ صدقَتْ | لا تطلبوا الأمرَ أمسى غيرَ ميسورِ

***

إنَّ المشارقَ هبَّتْ بعد هجْعَتِها | تطوي الجِواءَ ، وتلوِي بالأعاصيرِ[٤]

ترمي النُّسورَ فتهوِي عن معاقِلِها[٥] | في السُّحبِ من جبلٍ عالٍ ومن سُورِ

أوْفَتْ على الأُفُقِ المُسْوَدِّ فانْصَدعَتْ | سُودُ الغياهبِ عنه والدّياجيرِ[٦]

أثارها (الفاتحُ الغازي) وأرْسَلَها | مِلْءَ الدُّنَى والمنايا والمقاديرِ[٧]

(١) أعلنت انجلترا إنهاء الحماية البريطانية على مصر بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وأعلن استقلال مصر في ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ ونودي بالسلطان فؤاد ملكا على مصر . وكان هذا الاستقلال استقلالاً زائفاً تستر وراءه الاستعمار الانجليزي لنيل أغراضه .
(٢) غير مبتور أي كاملاً غير ناقص من بتره قطعه .
(٣) منّمقة أي مُزيّنة لإخفاء الحقيقة .
(٤) هبّ من النوم انتبه واستيقظ ، والهجعة النومة ، وطوى الجواء قطعها وهي جمع جو ، وألوى بالشيء ذهب به ، والأعاصير جمع إعصار ريح ترتفع بالتراب أو بمياه البحار وتستدير كأنها عمود .
(٥) تهوي تسقطمن أعلى ، والمعاقل جمع معقل الملجأ .
(٦) أوفى على المكان أشرف ، والأفق ما ظهر من نواحي الفلك ماساً الأرض ، وانصدع انشقّ ، والغياهب جمع غيهب الظلمات ، والدياجير جمع ديجور وهو الظلام .
(٧) الفاتح الغازي القائد العثماني مصطفى كمال ، والدنى جمع الدنيا ، والمنايا جمع المنية وهي الموت ، والمقادير جمع المقدار وهو القدر والقضاء .

تَجِيشُ في كلِّ مُسْتَنٍّ ومُنْسَرِبٍ ... والبأسُ يَصْرُخُ في آثارها : سيري[١]

سِيري مُشَمِّرَةً لا تبتغي دَعَةً[٢] ... فالسّيفُ خَلْفَكِ ذو جِدٍّ وتشميرِ

والحقُّ ليس بِناجٍ في جلالتِه ... إلاّ إذا لاذَ بالبِيضِ المآثيرِ[٣]

هيَ الدّواءُ لِداءِ البَغْيِ يَنْزِعُهُ ... من النّفوسِ ، ويشفي كلَّ مصدورِ[٤]

***

إنّ (السياسةَ) لِلأقوامِ مَهْلَكَةٌ ... فلا يَغُرَّنْكَ منها طولُ تَغْريرِ

إذا تداوى بها المغلوبُ طاحَ بهِ ... كَيْدُ الأُساةِ ، وتضليلُ العقاقيرِ[٥]

تطوي الممالكَ في الأكفانِ من ذهبٍ ... جَمِّ التهاويلِ ، فتّانِ التّصاويرِ[٦]

ترى التّوابيتَ تُزْجَى في مخاليها ... بَيْنَ المَعازفِ شتّى والمزاميرِ[٧]

مواكبُ الشّرْقِ ، لا قامتْ مواكِبُهُ ... إلاّ على كَبَّةِ الشُّمِّ المغاويرِ[٨]

القائمينَ بحقِّ السّيفِ ما ظَلَمُوا ... يوماً، ولا عابَهُمْ خَصْمٌ بتقصيرِ

لا يَطعَمُ الضرْبَ إلاّ حينَ يَجْمَعُهُمْ ... يَوْمٌ يُبَرِّحُ بالجُرْدِ المحاضيرِ[٩]

---

(١) جاش هاج واضطرب وتدفق ، والمستنّ الطريق الواضح ، والمنسرب الطريق والبأس الشجاعة والقوة .

(٢) المشمّر المجدّ الماضي في الأمور ، والدعة السكينة والراحة وخفض العيش .

(٣) لاذبهم التجأ اليهم وعاذبهم ، والبيض وصف يكنى به عن السيوف ، والمآثير جمع مأثور وهو السيف الذي يقال إنه من عمل الجن .

(٤) البغي الظلم ، والمصدور المصاب بداء السل في رئته .

(٥) الاساة جمع الآسى الطبيب ، والعقاقير جمع العقّار الدواء .

(٦) جمّ أي كثير ، والتهاويل الواحد تهويل زينة التصاوير والنقوش والحلي .

(٧) التوابيت جمع تابوت ، وتُزْجى تُساق ، والمعازف آلات الطرب واحدتها مِعزف ومِعزفة ، والمزامير ، جمع مزمور ما يترنّم به من الأناشيد .

(٨) الكبّة الصدمة والحملة والدفعة في القتال ، والشمّ جمع الأشم السيد ذو الانفة ، والمغاوير جمع المِغْوار وهو المقاتل يكثر من الغارات .

(٩) طَعِم الشيءَ ذاقه ، وبرّح به الأمر أتعبه وجهده وآذاه أذىً شديدا ، والجرد جمع أجرد وهو من

مِن كلِّ مُنْدَلِقِ الغاراتِ يُوطِئُها ... أعقابَ كُلِّ حَثيثِ الرّكضِ مدحورِ[١]

تَسْتَرعِفُ الحربُ منه حدَّ مُنصلِتٍ ... طَبِّ المَضاربِ بالأعناقِ مطرورِ[٢]

إذا الصُّفُوف على راياتِه التَحَمَتْ ... تكشّفَتْ عن عزيزِ البأسِ منصورِ

لا يتّقي الرَّوْعَ[٣] إن صاحَ النّذيرُ، ولا ... يُلقِي إلى السّيفِ يوماً بالمعاذيرِ

يَرى (الخلافةَ) عِرضاً و(الهلالَ) دماً ... ومجْدَ (عُثمانَ) ديناً جدَّ موفورِ[٤]

ولا يَعُدُّ حياةَ الشّعبِ مَسْكنةً ... في مُحْصَدِ القَيْدِ أو في مُحْكَمِ النِّيرِ[٥]

***

إنّ الذي خَلَقَ الإنسانَ حَرَّرَهُ ... فَلَنْ يَدينَ بِرِقٍّ[٦] بعدَ تحريرِ

الدّينُ والعقلُ لا يُعطِي مَقادتَهُ[٧] ... سِواهما كلُّ مَنْهِيٍّ ومأمورِ

والنّفسُ لا تَحْمِلُ الإيمانَ إن حَمَلَتْ ... حُبَّ التماثيلِ ، أو خَوْفَ النّواطيرِ

الحكمُ للهِ ، والأقدارُ جاريةٌ ... والموتُ آتٍ ، ويبقى كلُّ مأثورِ

= الخيل السبّاق ، والمحاضير جمع مِحضار ومحضير وهو الشديد الركض .

(١) مندلق من اندلق السكين صار حاداً ، ويوطئها يجعلها تمشي ، وأعقاب جمع عقب أي تمشي في أثر ، والحثيث السريع كأن نفسه تحثه ، والركض الهروب ، والمدحور المطرود والمُبْعَد .

(٢) تسترعف تُدمي ، والمنصلت من السيوف الصقيل الماضي ، والطب الحاذق الماهر ، والمطرور المحدّد من طرّت السنان حدّدته .

(٣) لا يحذر ولا يخاف الحرب .

(٤) الخلافة هي في الإسلام الرئاسة الدينية والدنيوية وكانت أخيرا للدولة العثمانية وقد ألغاها مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٤ ، والهلال شعار الدولة العثمانية، وعثمان الأول إبن اتغرل مؤسس سلالة بني عثمان ، والموفور الشيء التام وجدّ موفور أي متناهٍ في التمام والكمال .

(٥) محصد القيد القيد الشديد المحكم ، والنير الخشبة تكون على عنق الثور بأداتها .

(٦) لن يرضى بعبودية .

(٧) المقادة مصدر من قاد أي القيادة .

ما أَجْدَرَ النّاسَ باسْتِعْظَامِ أَنْفُسِهِم ... وأَجْمَلَ الصَّمْتَ بالقومِ المهاذيرِ[1]

هل حارب اللهَ إلاّ كلُّ ذي سَفَهٍ ؟ ... أو شاغَبَ الحقَّ إلاّ كلُّ مأجورِ ؟

لا يَغْلِبِ الحقَّ يَرْدَى[2] في كتائبهِ ... جُنْدُ الدّراهمِ ، أو جيشُ الدّنانيرِ

***

إنّ الأُلى زَلْزَلُوا الدُّنيا (بأَنْقَرةٍ) ... واستجفلوا النّاسَ مِن صاحٍ ومخمورِ[3]

أَلْقَوا على (الشّرق) آياتٍ مُبَيِّنَةً ... بيضَ الصّحائفِ من نُصْحٍ وتذكيرِ

لم يبعثوا الحربَ حتّى اجْتاحَ عاصِفُها ... مَكْرَ الدُّهاةِ ، وتدبيرَ المناكيرِ[4]

الحربُ عِنْدَ (بَنِي عُثْمانَ) مُعْجِزَةٌ ... تُعْيِي العُقُولَ ، وتُلْغِي كلَّ تدبيرِ[5]

لولا الذي إبتدعوا في الدّهرِ من سِيَرٍ[6] ... مَشْهورةِ الذّكرِ أَضْحَى غيرُ مَشْهُورِ

في ذِمَّةِ (التُّركِ) دُنيا لا تَضيقُ بها ... سُيوفُهم ، وزَمانٌ غيرُ مَعْسورِ[7]

يأتي ، فيستلُّ من أكفانِها أُمَماً ... ضاقت بها سَعَةُ الأجداثِ والدُّورِ[8]

---

(١) المهاذير جمع مهذار وهو غث الكلام كثيره .

(٢) يردى يسقط ويهلك .

(٣) أنقرة في الأناضول عاصمة تركيا الحديثة منذ سنة ١٩٢٣ ، واستجفلوا استنفروا ، والمخمور من أسكرته الخمر .

(٤) اجتاحه استأصله وأودى به ، والدهاة جمع داهٍ وهو الذي يتصرف بدهاء ، والمناكير جمع منكر ومنكور الرجل الداهية الماكر .

(٥) المعجزة الأمر الخارق الذي يعجز البشر عن أن يأتوا بمثله ، وتُعيي تُعجز .

(٦) إبتدع الشيء أنشأه ، والسير جمع سيرة وهي الطريقة والمذهب .

(٧) الترك قبائل من الرحّل تنتسب إلى أوغوزخان بن قره خان نزح بعضها شرقا جهة منغوليا ، وأما القسم الأهم فقد ضرب خيامه في آسيا الصغرى وانقسم دويلات ، ويذكر التاريخ في القرن العاشر قبائل أوغوز وقد نزح بعضها نحو إيران فآسيا الصغرى وهم السلاجقة ومن عصبهم العثمانيون الذين تحدّر منهم سكّان تركيا الحاليون والمعسور ضد الميسور .

(٨) إستلّ انتزع ، والأجداث القبور جمع جدث .

تشكو المشارقُ دُنيا غيرَ صالحةٍ ... مكروهةً ، وزماناً غيرَ مبرورِ[1]

أظلَّها (الفاتِحُ الغازِي) وشارَفَها ... عَهْدٌ مِن الخيرِ مَيْمونُ التّباشيرِ[2]

لا أَخْلَفَتْكِ الأَماني مِن مُوَلَّهَةٍ ... يبكي لها النّاسُ من حُرٍّ ومقصورِ[3]

***

- ١٩٢٢ -

---

(١) المبرور ما لا شبهة فيه ولا كذب ولا خيانة .

(٢) أظلّها أدخلها في ظلّه أي كنفه ، وشارفها قاربها ودنا منها ، والميمون المبارك ، والتباشير أوائل كلّ شيء .

(٣) أخلف القوم جازهم وتركهم خلفه ، والمولّهة المتحيّرة من شدة الوجد والحزن ، والمقصور المحبوس من قصره حبسه .

صروف الليالي

أراك على ما يُرهِقُ النّاسَ من أذىً ... بمنزلةِ الثّاوى المُقرِّ على الخَسْفِ(١)

أَهانَ عليك النّاسُ ؟ أم لستَ بارحاً ... طِوالَ الليالي تضربُ الكفَّ بالكَفِّ ؟

لقد رِيعَ سربُ الدّهرِ ممّا تجرّعوا ... بأيدي الأعادي من بَلاءٍ ومن حَتْفِ

نقِمنا (٢) الأذى منهم مَشُوباً ، فأمطروا ... جوانبَ مصرٍ كلَّها من أذىً صِرفِ

أما كان في بُؤسِ الحياةِ وما جنَتْ ... صرُوفُ اللّيالي من أذى العيشِ ما يكفي ؟

***

يوليو ١٩٢٢

(١) الخسف الذلّ .

(٢) نقم الأمر منه أنكره عليه وعابه وكرهه أشد الكراهة .

أبشري مصر !

في تحية جريدة اللواء المصري (١)

أَطْلِقُوا قَيْدَها ، وحُلّوا العقالا ... أَخَشيتُمْ كِفاحَها والنّضالا ؟

تلك غاراتُها ، فَفِرّوا سِراعاً ... أو فذوقوا سُيوفَها والنِّبالا

غارةٌ بعد غارةٍ ، ورِعالٌ(٢) ... في السَّنا المُستطيرِ تُزجي رعالا

نَحن أبطالُها نزيد أُولى النَّجـ ... ـدةِ مجداً ، ونُكرمُ الأبطالا

نَصدُقُ الكرَّ كلُّ أشوسَ ضافي الـ ... ـدِّرعِ (٣) يمشي إلى الوغى مُختالا

تأخذُ الفارسَ الكميَّ صِراعاً ... حينَ يأبى الكماةُ إلاّ احتيالا

لا نَدِبُّ الضَراءَ(٤) يوماً، ولا نطـ ... ـلبُ سِلماً ، ونحن نبغي القتالا

ما عرَفْنا رَفْعَ الكتابِ(٥) ، ولا كُنْـ ... ـنا كمزُجي الجِمالِ تخفي الرِّجالا

يومَ تمشي الوئيدَ تحملُ للزبّـ ... ـاءِ(٦) موتاً مُعبَّأً ونكالا

عاجلت بعلَها اغتيالاً فما تبـ ... ـصرُ إلاّ البُعولَ تَردي عِجالا

(١) لسان حال الحزب الوطني .

(٢) جمع رعيل اسم كل قطعة متقدمة من خيل أو رجال .

(٣) الأشوس الذي يرفع رأسه كبرا ، والضافي السابغ .

(٤) ندبّ نمشي كالحيّة ، والضراء الاستخفاء .

(٥) إشارة إلى حادثة التحكيم حين رفع جنود معاوية المصاحف على أسنّة الرماح طالبين تحكيم القرآن في النزاع على الخلافة بين معاوية وعلي وما صاحبها من خداع .

(٦) زنوبيا ويسميها العرب الزبّاء ملكة تدمر غلبها وأسرها الامبراطور الروماني أورليانوس سنة ٢٧٣ .

غرّه المَينْ[1] والخداعُ فلاقَى الـ   ـحتفَ عُرساً ، وجاور التُربَ آلا

نحن قومٌ نرى الخيانةَ والغد   رَ أذىً واغلاً[2] ، وداءً عُضالا

نَتداعَى إلى الكريهةِ ضاحـ   ـينَ[3] نَحُلُّ الرُّبَى ، ونعلو الجبالا

لا ترانا إلى قرارةِ وادٍ   نتحامَى الوغَى ، ونخشَى الدِّحالا[4]

وترى القومَ في الأخاديدِ يستخـ   ـفونَ ذُعراً ، وقد أثاروا الصِّلالا[5]

يملأون الظّلامَ هَوْلاً ، فإن وضحَ الصُّبْحُ تولَّوْا عن جانبيْهِ انْسِلالا

أبشِرِي (مصرُ) إنّنا الذّادةُ الحا   مونَ ننفِي الأذَى ، ونشفِي الخَبالا

نحن صنَّا محارمَ النّيلِ طُرًّا   وأَبَيْنا لِعزّهِ أن يُنالا

ورمينا قُوَى المُغيرينَ فيهِ   بقوىً لا تزيدُ إلاّ اشْتِعالا

إرثُ آبائِنا ، وذُخرُ بَنينا   نَفتديهِ ، ولا نرى أن يُذالا[6]

زَعموا الحقَّ أن نعيشَ أذلاّ   ءَ نُعانِي الأذى ، ونشكو الوَبالا

إنّما الحقُّ أن نسودَ وأن نصـ   ـدعَ هذي القُيودَ والأغلالا

ملكوا النّيلَ عَنوةً[7] أم أرادوا   أن يكونوا على بَنيهِ عيالا ؟

لن ينالوه مأرباً جاهليًّا   يُعجِز العارفين والجُهّالا

هم أقاموا مُشاغبين مُكبِّـ   ـنَ على الظُّلمِ أربعين طوالا

هل يرى (العادلون) أنّا خُلِقْنا   مغنماً طيِّباً ، وصَيْداً حلالا ؟

---

(١) الكذب .

(٢) الواغل الذي يدخل في الشيء ويتوارى به .

(٣) نتداعى نقبل ، والكريهة الشدة في الحرب ، وضاحين بارزين .

(٤) المراوغة والخداع .

(٥) جمع صِلّ جنس من الحيات خبيث جدا .

(٦) يهان .

(٧) قهراً وقسراً .

ظلموا العدلَ ، مالهم أن يُقيموا   إنّما العدلُ أن يَشُدُّوا الرِّحالا

الجلاءَ الجلاءَ يا أُمّةَ السكـ   ـسونِ عن مصرَ ، والزِّيالَ[1] الزّيالا

إنْفِروا أيها الجنودُ خِفافاً   تعصِفُ الرِّيحُ خلفكم ، أو ثقالا

يا بني النّيلِ نَجدةً تَمنعُ النّيـ   ـلَ ، وتنفِي الهُمومَ والأوجالا

يا بني النّيلِ زَأرةً تملأُ الغيـ   ـلَ دويًّا ، وتُفْزِعُ الرِّئبالا[2]

يا بني النّيل نظرةً تَنفذُ السُّو   رَ ، وتَفِري السُّتورَ والأقفالا

يا بني النّيلِ حِكمةً تَرْأَبُ الصَّد   عَ ، وحزماً يَسُدُّ هذي الخِلالا[3]

أيُّ شعبٍ بمثل ما نحن فيه   نال حُرّيةً أوِ استقلالا ؟

إنّ هذا (لِواؤُنا) فاعرفوه   تعرفوا الحقَّ عالياً والجلالا

هو نُورٌ من السّماواتِ قُدْسِـ   ـيٌّ يُفيضُ الهُدَى ويمحو الضَّلالا

رحمةُ الله (للكنانةِ) يُزجيـ   ـها ، وروحٌ يُحيِي به الآمالا

نتلقّاه باليّمينِ ونلقَى   في سناه (جبريلَ) أو (ميكالا)

ربِّ هيِّءْ لمصرَ شعباً وفيًّا   وتدارَكْ مصيرَها والمآلا

***

- يوليه ١٩٢٢ -

---

(١) الفراق .

(٢) الأسد .

(٣) جمع خَلّة الثقبة .

في تكريم رئيس الحزب الوطني

محمد حافظ رمضان

أعِدِ البناءَ ، وجدّدِ الميثاقا   وخُذِ السّبيلَ مُبادِراً سبّاقا
جَدَّ النّضالُ ومن ورائك فتيةٌ   تَهبُ النُّفوسَ ، وتَبذلُ الأعلاقا[١]
عَقدتْ بآياتِ الكتابِ عُهودَها   فاعقدْ عليها من سَناهُ نطاقا
إن كنتَ يوماً بانياً ومُجنِّداً   فَابْنِ العُقول ، وجنِّدِ الأخلاقا
أوَ ليس منكم من رَمَى بعهودكم   ومضَى يُريد بآخرين لِحاقا ؟
يجِدُ القيامَ على الحقوقِ مجانةً   ويرى الوفاءَ خديعةً ونفاقا
مَذِلٌ[٢] المذاهبِ في الرجالِ مَلولُها   ما سيمَ خُطّةَ ماجدٍ فأطاقا
إن كنتَ تبغي العِلمَ عند ثِقاتِهِ   فَسَلِ التّجارَ ، وحدّثِ الأسواقا
جمَحَ الهَوى بمساوِمينَ أذلّةٍ   ركبوا البَوارَ ، وبايعوا الإخفاقا
أجعلتموهم للحفاظِ جُنودَكم ؟   وزعمتموهم إخوةً ورفاقا ؟
لمّا أهابت مصرُ تسألُ مَن لها   كانوا عُقوقاً كلُّهم وإباقا[٣]
لولا دفاعُ أُولي الحميّةِ أعولت   جَزَعاً ، وضَجَّ حُماتُها إشفاقا
الحقُّ أضيعُ ما يكون إذا الهوى   ملكَ النُّفوسَ ، وصرَّفَ الأعناقا
والخَلقُ ليس يهَابهُم في حرمةٍ   من لا يهابُ الواحدَ الخلاّقا

***

(١) جمع عِلق وهو النفيس من كل شيء لتعلّق القلب به .
(٢) قَلِق .
(٣) من أبق العبد هرب من سيِّده .

إن كنتَ مُتّخِذاً لنفسك عُدّةً   فَادْعُ الهُداةَ ، وشاوِرِ الحُذّاقا
ودَعِ المضلِّلَ والمُخاتِلَ إنّنا   ضِقنا بتضليل الدُّعاةِ خِناقا
لولا المروءةُ وَهْيَ من أخلاقِنا   مَلأَ العِدَى بحديثِنا الآفاقا
أنت الرّئيسُ هَداكَ ربُّكَ خُطّةً   بيضاءَ زدتَ ضِياءَها إشراقا
لمّا طلعتَ ومصرُ حائرةُ الخُطى   جَعلَ الهُدى قَدَماً لمصرَ وساقا
سِرْ باللّواءِ يَدَعْ لجندِكَ شِلْوَهُ   مَنْ ظَنَّ أنّ مجالهَا قد ضاقا
أرأيتَ إذ يَصِفُ الحياةَ لقومِهِ   مَن ليس يَعرِفُ للحياةِ مذاقا ؟
أرأيتَ إذ يَسقِي الأساةُ بلادهم   كأساً من الموتِ الزُّؤام دِهاقا ؟[١]
أرأيتَ ما صَنَعَ الدُّهاةُ بأُمّةٍ   صاغوا لها الأغلالَ والأطواقا ؟
هَشَّتْ إلى النَّعشِ المُقامِ حيالهَا   لمّا رأتْهُ مُزَخْرَفاً برّاقا
هُزَّ اللواءَ ، فما لقومِكَ نُصرةٌ   حتّى تَهُزَّ لِواءَكَ الخفّاقا
إصدعْ قُيودَ بني الكنانةِ ، إنهّا   لا تبتغي أسراً ولا استرقاقا

***

٧/ ٩/ ١٩٢٢

(١) دهاق ممتلىء طافح ، في هذا البيت وما يليه إشارة إلى ما تم من اتفاق بين الانجليز وحزب الوفد .

هو الجلاء

في عودة سعد زغلول من منفاه (1)

صُفّوا المواكبَ وَامْشُوا حولها مَرِحا … عاد الزّعيمُ ، ونال الشّعبُ ما اقترحا

سُدّوا المسامِعَ إلاّ أن يُقالَ لكم … هُزّوا (الكِنانةَ) باستقلالها فرحا

ماذا على النّاعبِ الباكي بأيكتهِ … إذا شدا الطّائرُ الغِرّيدُ أو صدَحا ؟

يا (سعدُ) إنّ سبيلَ الحقِّ بيّنةٌ … للسّالكين ، وإنّ الأمرَ قد وضحا

أدِّ الأمانةَ لا يَعبثْ بها أحدٌ … وجِدَّ في الأمرِ لا يخدَعْكَ مَن مزحا

ولا يغرّنْكَ قولُ النّاسِ سيّدُنا … نرضى من الأمرِ ما يرضى وإن فدحا

حكمُ (الحماية) مردودٌ ، وحُجّتُها … أنأى وأبعدُ من (سيشيلَ) مُطّرَحا

هو الجلاءُ ، فمن يَطْلُبْ به بدلاً … فما وَفَى لبني مصرٍ ولا نصحا

***

يا (سعدُ) لا تَقْتَحِمْها خُطّةً حَرَجاً … فإنّ حولك للأحرارِ مُنتدَحا(2)

إنّ المزايا التي لا يُستهانُ بها … كانت لقومِكَ سِرًّا باتَ مُفتضَحا

أسكرتَ في مصرَ شعباً ما هممتَ به … حتّى مشى الذُّعرُ في أوصالِه فصحا

(1) نُفي إلى مالطه في ٨ مارس ١٩١٩ ثم أفرج عنه وسمح له بالسفر إلى أوربا ، وسافر عدلي رئيس الوزراء ليتفاوض مع الانجليز في لندن ولكنه عاد بعد تعثر المفاوضات وطلب حضور سعد من أوربا فعاد إلى الاسكندرية في ٤ أبريل ١٩٢١ ونفي مرة أخرى إلى سيشل وعاد في ١٧ سبتمبر ١٩٢٢ .

(2) المنتدح السعة والفسحة .

لولا الألى أخذوا الأقداحَ عن فمِه … ما انفكَّ مُغْتَبِقاً منها ومُصطبِحا(1)

***

إنا لعمرك نهدي كلَّ مُعتسِفٍ … إلى السّبيلِ ، ونلويهِ إذا جمَحا

نمضي على خُطّةٍ للحقِّ واضحةٍ … ما فاز شَعبٌ يُجافيها ، ولا نجحا

حِزبٌ من الشُّمِّ يهوي عن جوانبه … مَن كدَّ يطمعُ أن ينهارَ ، أو كدحا

عالي المطالبِ حُرٌّ في مذاهبه … ما مال يوماً عن المُثْلى ، ولا جنحا

يرمي المُغيرينَ مُجتاحاً ، ويقذفُهم … بالرّائعاتِ من الغاراتِ مُكتسِحا

يا (سعدُ) إن مَنَعَ الأقوامُ أو منحوا … فإننا مَعشرٌ لا نَعرفُ المِنحا

لسنا إذا ردَّ حقَّ النّيلِ غاصِبُه … نَظنُّه جادَ بعد الضَّنِّ أو سمحا

لنا البلادُ ، وما للغاصبينَ بها … إلاّ المعاذيرُ تُزجَى ظُلَّعاً طُلُحا(2)

يظلُّ من شدّةِ الإعياءِ سائقُها … إذا مضى الرّكبُ في طيّاتِه رزحا(3)

إنّا إذا ابتدرَ السّاعونَ منزلةً … لَنُدركُ الأمدَ الأقصى وإن نزحا

نُزجي مطايا الهُدى بيضاً تخبُّ بنا … عَجْلى ، ونبعثُها خطّارةً سُرُحا(4)

***

يا (سعدُ) حَسْبُكَ عِرفاناً وتجربةً … وحسبُنا ما جنَى الماضي وما اجترحا

أذعنتَ للقومِ إذ قالوا (مُفاوضةٌ) … فما استقامَ لنا أمرٌ ولا صَلُحا

بابٌ من الشّرِّ ما زالتْ يداكَ بهِ … حتّى تَصدَّعتِ الأقفالُ فانْفَتحا

لَنَمْنَعنَّ بأيدينا مَفاتِحَهُ … إن طافَ مُستفتِحٌ أو همَّ أو طمحا

(1) المغتبق الذي يشرب في العشيّ وهو خلاف المصطبح .

(2) ظُلَّع معيبة ، من ظلع البعير غمز في مشيه ، وطلّح هزيلة من طلح البعير أعيا وتعب .

(3) الطيات جمع طيّة وهي الناحية والجهة ، ورزح سقط ولصق بالأرض ولم يستطع النهوض هزالا وتعبا .

(4) خبّ الفرس في عدوه راوح بين يديه ورجليه ، وخطارة أي ترفع ذنبها مرة بعد مرة ، وسرح سريعة سهلة السير .

سَلِ المُساوِمَ في ميراثِ أُمَّتِهِ   هل فازَ حِينَ أجازَ البيعَ أو رَبحا ؟

***

العقلُ خيرُ إمامٍ أنت تابعهُ   فَولِّ وجهَكَ أيَّ الخُطَّتَيْنِ نحا
والدّهرُ يجمعُ فيما خطَّ من صُحُفٍ   ما أثبتَ المرءُ من آثارِهِ ومحا
لِسانُ صدقٍ ، وراوٍ غيرُ مُتَّهمٍ   العدلُ إن ذمَّ ، والإنصافُ إن مدحا
لا يُعجبنَّك عفوٌ نِلتَ عاجلَهُ   فما عفا الدّهرُ عن جانٍ ولا صفحا
كلُّ امرىءٍ ذاهبٌ في شأنِه شَطَطاً   ويَنفَحُ اللهُ رُوحَ البرِّ مَن نفحا

***

هل يَسمعُ القومُ إن صاحَ النَّذيرُ بهم ؟
زِنوا الرِّجالَ ، وشُدّوا أُزْرَ[1] من رَجحا
رُدّوا الأعنَّةَ [2] إنّ الغيَّ مَهلكةٌ   للجامِحِينَ ، وإنّ الكَيْلَ قد طفحا
هل يَعرفُ القادةُ الأبطالُ إن سُئِلوا
إلاَّ (المحاريقَ) أو (سيشيل) أو (رفحا) ؟
لو أستطيعُ مسحتُ الهمَّ عن كَبدي   ورحتُ أثأر للنّفسِ التي مسحا
(كِنانةَ الله) ، لا يَبلغْ أمانَته   سهمٌ يُفوِّقُه[3] الرامي وإن جرحا
لُوذي بإيمانِكِ العالي إذا عَصفتْ   هُوجُ الخُطوبِ بعاديِّ الذُّرى، فطحا[4]
صُوني يقينَكِ في داجي غياهِبِها   إنّي أرى البارقَ العُلويَّ قد لمحا

***

١٧/ ٩/ ١٩٢٢

---

(١) الأزر الظهر .
(٢) جمع عِنان وهو سير اللجام .
(٣) فوّق السهم جعل له فوقا والفوق مشقّ رأس السهم حيث يقع الوتر .
(٤) الذري الملجأ وكل ما يُستتر به ، وطحا ذهب .

مُدّوا الأكف مبايعين

في تنصيب السلطان عبد المجيد[1]

مَن كان يُؤثِرُ أن يجيبَ فقد دعا   (عبدُ المجيد) خليفةُ (المختارِ)
لَبُّوا (الخليفةَ) واشْرعوا لِنفوسِكم   سَنَنَ الوفاءِ ، وخُطَّةَ الإيثارِ
وَقفَ (النبيُّ) يَضِجُّ حول لوائِه   ويَصيحُ بالمتردّدين : بَدارِ[2]
مُدّوا الأكفَّ مُبايعينَ ، فإنّه   يومُ (النبيِّ) ، وموقفُ (الأنصارِ)
لا تَتْبَعوا المُتخلِّفين ، فإنهم   جُنْدُ الغُواةِ ، وشيعةُ الأغرارِ[3]
يبغُون دينَ المالِ في أربابِه   والدِّينُ دينُ الواحدِ القهّارِ
هل صِينَ حقُّ القومِ ، أو مُنِعَ الحِمى   بمُساوِمينَ على الذِّمارِ تِجارِ ؟
إنّ الخلافةَ قد تداركَ سُورَها   بأسٌ يُزيلُ شواهِقَ الأسوارِ
عَزّتْ بأسيافِ الغُزاةِ ، ولن ترى   عِزّاً كحدِّ الصّارمِ البتّارِ[4]
لَمّا رَمى القدرُ المُروِّعُ رُكنَها   كانوا لها جُنداً من الأقدارِ
أشَهِدْتَ ما عقدَ الهُداةُ وأَبرمتْ   أيدي الحُماةِ الجِلَّةِ الأخيارِ ؟
فَشَهِدتَ حَلَّ المُشكلاتِ على يدٍ   عقدتْ لِواءَ الجحفلِ الجرّارِ ؟

---

(١) محمد السادس آخر خلفاء بني عثمان . نصبه الأتراك الكماليون في ٢٤ نوفمبر عام ١٩٢٢ بعد أن نزعوا عنه السلطة الزمنية ثم خلعوه عام ١٩٢٤ . توفي في نيس بفرنسا عام ١٩٣٢ .
(٢) إسم فعل بمعنى أسرعوا .
(٣) جمع غرّ الغافل الذي لا خبرة له .
(٤) الصارم البتار السيف القاطع .

ورأيتَ كيف تعودُ طاغيةُ القُوى   بعد الطِّماح[1] بذلّةٍ وصَغارِ ؟

رفعوا المنارَ لكلّ شعبٍ حائرٍ   أعمى المطالبِ ، جامحِ الأوطارِ

يُزجي الرَّجاءَ بكلّ أغبرَ قاتمٍ   خافي المعالمِ ، طامسِ الآثارِ

والنّاسُ في الدُّنيا منارُ هدايةٍ   ومُضلِّلٌ لا يهتدي بمنارِ

***

قُلْ (للكنانةِ) جَدَّ كلُّ مجاهدٍ   ومضى إلى الغاياتِ كلُّ مُبارِ[2]

لكِ في الغُزاةِ النّاهضين بقومهم   عِظةُ الشّعوبِ ، وعبرةُ الأقطارِ

غضبوا ، فما ركبوا إلى استقلالهم   إلاّ عُبابَ دمٍ ، ولُجّةَ نارِ

ليس التغلُّبُ في الحياةِ لِمُدبرٍ   ذُلُّ الحياةِ عُقوبةُ الإدبارِ

المجدُ إقدامٌ ، ونهضةُ ثائرٍ   ما المجدُ مسكنةٌ وطولُ قرارِ

إن الشُّعوبَ إذا استقام سبيلُها   أَمِنَتْ غداةَ الجِدّ كلَّ عِثارِ[3]

***

- نوفمبر ١٩٢٢ -

(١) الكِبر والفخر .

(٢) المباري المُسابق المُعارِض .

(٣) الزلّة والكبوة .

هي الوثبة الأولى

في ذكرى محمد فريد[1]

ألا فاذكروا من قومنا كُلَّ مِقدامِ   ففي هذه الذكرى حياةٌ لأقوامِ

وما النّاسُ إلاّ الخالدون على البِلى   وصَرفِ الليالي ، من هُداةٍ وأعلامِ

حقائقُ ما في الدّهرِ من كلِّ قائمٍ   وجُلُّ البرايا من فضولٍ وأوهامِ

همو ثروةُ الأجيالِ، لولاهمُ انْطَوتْ   على فاقةٍ ما تُستطاعُ وإعدامِ[2]

إذا المرءُ لم يَعملْ لِما بعد يومِهِ   طَوى[3] كلُّ حيٍّ ذكرَهُ بعد أيّامِ

***

سلامٌ على الحيِّ المقيمِ ، وإن طوى   إلى المنزلِ الأقصى ثلاثةَ أعوامِ

على الكوكبِ الطّافي على لُجّةِ الرَّدى   إذا ما طوى الأقمارَ طُوفانُهُ الطّامي[4]

على القَدرِ المُوفي سلاماً ورحمةً   على كلِّ شعبٍ ذي هُمومٍ وآلامِ

خليفةُ أَهْدَى قادةِ النّيلِ خُطّةً   وأَبْسَلهم إن صيحَ بالذّائدِ الحامي

وأَثْبَتِهم في الحادثِ النُّكرِ موقفاً   وأَنْفَذِهم سَهْماً إذا أخطأ الرّامي

يُجانِبُ ساري الرُّعبِ[5] ساحةَ قلبِهِ   إذا همَّ يَلْقَى الخطبَ بالمنكبِ السامي

(١) هي الذكرى الثالثة لوفاته .

(٢) الإعدام من أعدم إعداما وعدماً افتقر وصار ذا عدم .

(٣) طوى نقيض نشر .

(٤) لجّة الأمر معظمه ، ولجّة الماء معظمه وخص بعضهم به معظم البحر والرّدى الهلاك والطامي من طما الماء ارتفع وعلا وملأ النهر .

(٥) الساري إسم فاعل من سرى بمعنى سار ليلاً .

يَرى شرَّ ما تَلْقَى البلادُ من الأذى   وُقوفَ بنيها بين يأسٍ وإحجامِ
رَسولُ حياةٍ للشُّعوبِ ويقظةٍ   يُهيبُ بقومٍ في الكنانةِ نُوَّامِ
فما زالَ حتَّى رِيعَ من وَثَباتِها   على بأسهِ الرِّئبالُ ذو المخلب الدّامي[1]
وحتَّى تولَّتْ (دُنشوايُ) بنابِهِ   يُداسُ ، ويُذرى من بنيها بأقدامِ
لَنِعمَ دواءُ الظُّلمِ يَشفِي سحيقَهُ   مجاريحَ شتَّى من أيامَى وأيتامِ

***

ألا فاذكروا الأبطالَ وابتدروا الوغى
وكونوا أُولي بأسٍ شديدٍ وإقدامِ
هي الوثبة الأولى وإنَّ وراءَها
لَمَا يستجيشُ[2] الوثبَ من كلِّ ضرغامِ

***

- ديسمبر ١٩٢٢ -

---

(١) اشارة الى اللورد كرومر .
(٢) استجاشه أي طلب منه المدد .

مهزلة الدستور[1]

قل للأُلى جعلوا الدُّستورَ مهزلةً   الدّهرُ يضحكُ من دُستورِكم عجبا
شرُّ الذُّنوبِ لديكم أن يُقالَ لكم   كُفُّوا الأذى ، ودعوا التَّضليلَ والكَذِبا
وأضعفُ النّاسِ رأياً مَن يهُيب بكم   لا تتركوا النّيلَ في أيدي العِدَى سَلَبا
الرُّشدُ أن تَتمادَوْا في غَوايتكم   والحقُّ أن تجعلوا للباطلِ الغَلَبا
أنحنُ أعداءُ مصرٍ ؟ فالبقاءُ لكم   إذا مضى عهدُنا في مِصرَ أو ذهبا
لا تطمعوا أن يُعزَّ اللهُ دولتكم   وإنْ تجاوزَ أدنى شأوِها الشُّهُبا
كنتم صعاليكَ شَعبٍ جاهلٍ رَفعتْ   أهواؤُه منكمُ الأقدارَ والرُّتَبا
تأهَّبوا إنّ أمرَ اللهِ مُنتظَرٌ   وليس بنفعكم أن تأخذوا الأُهَبا[2]

***

- إبريل ١٩٢٣ -

---

(١) في أثناء وزارة عبد الخالق ثروت تكونت لجنة لوضع الدستور وصدر في عهد وزارة يحيى ابراهيم في ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ .
(٢) جمع أُهبة العُدّة .

عزّت دماء المسلمين

أرأيْتَ صَرْحَ السِّلمِ كَيْفَ يُقامُ ؟ ... أرأيتَ كيف تهلَّلَ الإسلامُ[1]

أرأيْتَ إذ نَفَرَ الهُداةُ فأطفأوا ... نارَ القِتالِ ، وسَارَعَ الأعلامُ ؟[2]

لاحَ الوَميضُ ، ولو تأخَّر سَعْيُهم ... لَطَغَى على الحَرمَيْنِ منه ضَرامُ[3]

وجرى بأرجاء (الجزيرةِ) زاخرٌ ... ممّا تصونُ وتمنعُ الأرحامُ[4]

عَزَّتْ دِماءُ المُسلمينَ ، ولم تكن ... لِتَهُونَ وَهْيَ على السّيوفِ حَرامُ[5]

قال الحَسُودُ : انبتَّ حبلُ (محمَّدٍ)[6] ... ورَمَى (إماماً) بالجنودِ (إمامُ)

وأناخَ بالإسلامِ خَطْبٌ مالَه ... مِن بعدِهِ في (المشرقَيْنِ) قيامُ[7]

ماذا يقولُ الشّامِتون ، وقد هَوَتْ ... آمالُهم ، وانهارتِ الأحلامُ ؟[8]

طارت شَعاعاً بعد ما نَعِموا بها ... حيناً ، وَوَدُّوا أن تَطيرَ الهامُ[9]

أعلَى البقيّةِ يحقِدون ، وهَلْ لهم ... مِن بَعدِ ذلكَ مَطلبٌ ومَرامُ ؟

***

- ١٩٢٣ -

---

(١) الصرح البناء العالي ، وتهلل تلألأ وجهه من السرور .

(٢) نفر أسرع ، والأعلام جمع العلم وهو سيّد القوم .

(٣) لاح بدا وظهر ، والوميض والومض من لمعان البرق والمقصود هنا وميض النار ، والضرام لهب النار .

(٤) الجزيرة هي الجزيرة العربية ، والزاخر البحر الطامي ، والأرحام جمع الرحم وهي القرابة .

(٥) حرام أي مُحرّمة .

(٦) انبتّ انقطع ، والحبل الرباط ، ومحمد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٧) أناخ البلاء بفلان أقام عليه ، والمشرقان مشرقا الصيف والشتاء .

(٨) الأحلام الأماني الكاذبة .

(٩) شعاعاً أي متفرقة ، والهام جمع الهامة وهي الرأس .

حيّ الكنانة[1]

حيِّ الكنانةَ وانْظُرْ كيف تَدَّكِرُ ... واذْكُرْ لها الصُّنعَ بعد الصّنعِ يَبْتَدِرُ

خفَّتْ تُظلِّلُها الأعلامُ خافقةً ... يمشي الشّبابُ بها حرّانَ يَستعرُ

يمشي إلى المجدِ ما بادتْ معالمُه ... ولا عفا السَّنَنُ الوضّاحُ والأثَرُ

مَن كان ذا ولَعٍ بالمجدِ يطلبُه ... فالسُّبلُ واسعةٌ ، والنُّورُ مُنتشرُ

إنّا لَنحمِي تُراثَ الأوّلين ، فما ... تشكو العظامُ ولا تَستصرخُ الحُفَرُ

قُلْ للشّبابِ أُذكروا مَن كانَ يذكركم[2] ... أجنَّةً في ثنايا الغيبِ تنتظرُ

الباذلَ النّفسَ ما نَخْشَى فيُمسِكها ... عِندَ الفداءِ ، ولا يأبَى فيعتذرُ

والصّادقَ البأسَ يحمِي الواديَيْنِ إذا ... صَدَّ الحُماةُ ، ونامَ الذّادةُ الغُيُرُ

لا تنكروا ما شَهِدنا قبل مولدِكم ... لقد دعاكم فلبَّت مِنكمُ الصُّوَرُ

لو لانَ للغاصبِ العادي لأوْرثكم ... ذُلَّ الحياةِ ، فلا عزٌّ ولا خَطَرُ

مَن حارب اليأسَ حتّى ارتدَّ يدفعه ... جندٌ من الأملِ المقدامِ مُنتصِرُ

***

- ١٩٢٣ -

---

(١) لم يتمكن المحقّق من العثور على بقية القصيدة .

(٢) هو الزعيم مصطفى كامل رائد الوطنية المصرية .

قـل للحسـين

الحسين بن علي (1)

في المعاهدة الانجليزية العربية

قُلْ (لِلحُسَيْنِ) ولا تَ حينَ مَلامِ   مـاذا جَنَيْتَ على بَنِي الاسلام ؟

البَيْتُ والحَـرمُ المُطهَّـرُ مُوجَعٌ   ومُـروَّعٌ لا يحتمِي بذمام

باتـا على مَضَضٍ يهيجُ دخيلَهُ   جـارٌ يَبيتُ على جَوىً وسَقام (2)

كلٌّ عَبثْـتَ به ، وكلٌّ يشتكي   مـا ذاقَ باسْمِـكَ من سِهـامِ الرّامي

خَدعـوكَ بالتّـاجِ المُلفَّـق ، وابْتَنوا   لكَ عرشَ مملـكةٍ من الأوهام

واستحدثـوا لابْنَيْكَ ما لا تدَّعي   خُـدَعُ الـرُّؤى (3) ، وعجائـبُ الأيّام

مُلكٌ يَزولُ ، ودولـةٌ يهـوي بها   حـادِي التَّبـابِ (4) ، وسائـقُ الإعدام

اللهُ خَصمُـكَ والرّسـولُ فَزِدْهُما   حربـاً ، ولا تُؤذِنْهما بِسلام

وارْدُدْ على الوَحْـيِ المُنَـزَّلِ حُكمَهُ   فَلأنـتَ ربُّ الوَحْـي والأحكام

وامْلُكْ على جُنـدِ الملائـكِ أمرَها   فَلأنـتَ ربُّ الجُنـدِ والأعلام

***

(1) الحسين بن علي (نحو ١٨٥٢ - ١٩٣١) شريف مكة ، ملك الحجاز (١٩١٦ - ١٩٢٤) خلفه إبن سعود .

(2) الجوى شدة الوجد ، والسقام المرض .

(3) جمع رؤيا ما يراه الإنسان في منامه .

(4) الخسران والهلاك .

يا وارثَ البطحاءِ عن عدنانها (1)   وسليـلَ كـلِّ مُغـامرٍ مِقـدامِ

لستَ الصّميمَ المحصَنَ من أبنائها   حتىّ تُعيـدَ عبـادةَ الأصنـام

نظرتْ (أميّةُ) ما رَكِبْتَ و (هاشمٌ)   ورأت مكانك في العُباب الطّامي (2)

فاذا الوجوهُ من الحياءِ صوادفٌ   وإذا القلوبُ من البلاءِ دوامى

لـو خُيِّرَ الأعـرابُ في أنسـابهم   لتلَمسـوا الأنسابَ في الأعجامِ

إن يقطعوا الرَّحِمَ الرَّؤُومَ فحسبُهم   أنّ (ابن عَوْنٍ) من ذوى الأرحام

***

نُكِبَ الحجيجُ ، وبات كلُّ مُوحِّدٍ   قَلِقَ الهمـومِ ، مُسهَّدِ الآلامِ

يُمسَى لِمَا صنع (الحُسَينُ) ورهطُه   في مـأتمٍ بين الضُّلوعِ مُقام

ما أَضْيعَ (الحرمَيْن) في يد عُصبةٍ   ملكت سبيلَ الحجِّ والأحرام

***

إيهٍ شُعوبَ المسلمـين ، أنـوَّمٌ   أم أنتِ يقظَى بعد طول مَنام ؟

هُبِّي فقـد أمسى تُراثُكِ سِلعةً   تـأتى وتذهب في يـد المُستامِ (3)

اللّهُ أكبرُ مـا لـدينكِ مـانعٌ   إن نِمْتِ عنه ، وماله من حامِ

قُـل للحُمـاةِ الصّادقـين لِـربّهم   عِرضُ النُبوّةِ بـاتَ غيرَ حَـرام

إنّ الخـلافـةَ حقَّهـا وتـراثَهـا   لِمُدافعين عن الـذّمارِ كِـرام

(1) البطحاء بطحاء مكة ، وعدنان هو ابن اسماعيل بن ابراهيم ، جدّ القبائل العربية المقيمة في شمالي بلاد العرب في تهامة ونجد والحجاز .

(2) ما ركبت ما اقترفت ، والعباب الطامي الموج المرتفع .

(3) من استام السلعة سأله تعيين ثمنها .

والدّينُ في كل الممالكِ لم يَقُمْ … إلّا بأجردَ(١) سابحٍ وحُسامِ
فاستصرخوا أُسدَ الحفاظ ، فأنّما … تحمِي العرينَ مخالبُ الضرغامِ
إنّ الذي رفعت سيوفُ نبيِّكم … صَدَعتْ قُواهُ مَعاوِلُ الهُدّامِ
جاد (الحُسينُ) به ، وكان يصونه … بُخلُ البُناةِ ، وشدّةُ القُوّامِ
لا تُسلِمُوا الشّهداءَ في أركانِه … هو من دماءٍ برَّةٍ وعِظامِ
وَيْحُ (النبيِّ) أما يُباع رُفاتُه … بِسوَى لباسٍ لابنهِ وطعامِ ؟
دارُ النبوّةِ والهدايةِ أصبحت … دارَ الذُّنوبِ ، ومنزلَ الآثامِ
يا ربَّ ماذا في كتابك بعدها … لِنبِي المشارقِ من أذىً وعُرامِ(٢) ؟
بلغ البلاءُ بنا المدى ، وتراكضت … فِتَنٌ جوامحُ غيرُ ذاتِ لِجَامِ
إرفَعْ عن الاسلامِ سَوْطَكَ ، واكْفِهِ … ضَرَبَاتِ قومٍ من بنيهِ طَغامِ(٣)
نصروا العدوَّ على الوليِّ ، وضاربوا … بِسلاحِ كلِّ مُشاغبٍ ظَلّامِ
هُم آثروا دُنيا العقوقِ ، وتاجروا … فيها بدينِ الواحدِ العلّامِ
و شَرُوا لأنفُسِهم طويلَ ندامةٍ … بقليلِ مالٍ زائلٍ وحُطامِ(٤)
قَومٌ إذا دان الهُداةُ بأُلفَةٍ … دانوا بتفرقةٍ ، وطُولِ خِصامِ
مَهلًا خليفةَ ربِّنا من (هاشمٍ) … إنّ الروايةَ آذنت بختامِ

***

أغسطس ١٩٢٣

(١) الأجرد من الخيل السباق والسابح السريع .
(٢) العرام الأذي والشدة والشراسة .
(٣) الطغم أوغاد الناس الواحد والجمع فيه سواء .
(٤) حطام الدنيا كل ما فيها من مال يفنى ولا يبقى .

هتف الدليل

الميثاق المصري القومي وجهاد الأحرار

هَتَفَ الدليلُ وسَارَ ركبُ (النّيلِ) … بُوركتما من سائرٍ ودليلِ
السُّبْلُ يُمنٌ ، والرِّكابُ عنايةٌ … تُلقِي الأعِنَّةَ في يَدَيْ (جبريلِ)
تَمشي وتَتبعُها المناهلُ سمحةً … يَبذُلْنَ كلَّ مُصفَّقٍ معسولِ(١)
هِمَمٌ شددنَ رحالهنَّ على السُّهَى … وعَصفْنَ بين الغَفْرِ والإكليلِ(٢)
جاوَزْنَ كلَّ مَدىً إلى غاياتِه … وأَبَيْنَ كلَّ مُعرَّسٍ ومَقيلِ(٣)
يَحمِلْنَ آمالَ البلادِ مُنيفةً … تسمو بأتلعَ(٤) ما يُنالُ جليلِ
شارَفْتَنِي والدّهرُ في خُيلائِه … فَعجِبتُ من حَدَثانِه المحمولِ

***

اللهُ أكبرُ ، تلك رايةُ (حزبه) … عُقِدتْ برايةِ (جُندهِ المأمولِ)
(حزبُ النّجاةِ) أعدَّ أفضلَ عُدّةٍ … واستنَّ أقومَ سُنّةٍ وسبيلِ
عالي الزّئيرِ يَصونُ مجدَ بلادهِ … مثل الهِزَبْرِ(٥) يَصونُ مجدَ الغيلِ

(١) المنهل المورد ، والمصفّق الصافي من الشراب ، والمعسول الحلو الطيّب .
(٢) السهى كوكب خفيّ ، والغفر ثلاثة أنجم صغار .
(٣) المعرّس الموضع يُعرّس فيه القوم أي ينزلون من السفر للاستراحة ثم يرتحلون ، والمقيل موضع القيلولة .
(٤) الذي طالت عنقه أو قامته .
(٥) الأسد .

يهـوي لواءُ معـاشرٍ و(لواؤه) في رأس ممتنـعٍ أشـمَّ طويلِ (١)

عقـدوا لنـا (الميثـاقَ) مجـداً كُلَّه والمجـدُ للأحـرارِ أفضـلُ سُولِ

حمـلَ البـريدُ (كتابَـهُ) ، فكأنّما حمَـلَ البـريدُ به كتـابَ (رسولِ)

يلقـاهُ في (الفرقـانِ) شعـبُ (محمّدٍ) ويراه شعبُ (يسـوعَ) في (الإنجيلِ)

***

إنّ الحياةَ لدى النُّفـوسِ أمانةٌ (لله) ليس ضَياعُهـا بقليلِ

وأرى الفـلاحَ لمن يقـومُ بحقّها ويصونهُـا صَوْنَ امـرىءٍ مَسئولِ

والظّلـمُ مركبُـه الهـوى ، وسبيلُه طُغيانُ جبّـارٍ ، وضـعفُ جهولِ

إثـمٌ ينـوءُ الجاهلـون بشَطرهِ مـن كلّ مَيْتٍ في الحياةِ (دخيلِ)

إنّ الـذي خلـق الشّعـوبَ أَعِزَّةً جَعـلَ العـذابَ جزاءَ كلِّ ذليلِ

***

ضُمُّوا القُلوبَ (بني الكنانـةِ) واجمْعوا صَفَّـىْ نُفـوسٍ حُرّةٍ وعُقولِ

أنتـم بنـو الشُّـمِّ الفـوارعِ ما أتَى بانـي الدّهـورِ لمجدهـم بمثيلِ

خـيرُ البـلادِ ثَرىً (٢) ، وأكرمُهـا يداً جُعِلَـتْ لأكرمِ أُمَّـةٍ وقبيلِ

لا تُشْعِـروا (مِصرَ) الغليلَ، ولا يكن منـكم لمُضْطَغِـنٍ شِفـاءُ غليلِ (٣)

اللهُ أدْركَهـا ، وصـانَ كَيانَها بمُدرَّبِـينَ على القِـراعِ فُحولِ

غُلْـبٍ (٤) إذا كذبَ الحُماةُ بمشهدٍ صَدقـوا لهـا من فتيةٍ وكُهولِ

مِن كلّ سَمْـحٍ في الغِمارِ (٥) بنفسهِ جَـمِّ الضَّنَّانـةِ بالذِّمـارِ بَخيلِ

(١) العالي المرتفع .
(٢) الثري الندى .
(٣) الغليل حرقة الحزن وحرارته ، والمضطغن الذي ينطوي على الأحقاد ، والغليل الثانية الحقد .
(٤) جمع أغلب .
(٥) الشدائد .

حُرٌّ الذّمـامِ يَعـدُّهُ من دينهِ ويَراهُ مجـدَ أبٍ ، وعِـرضَ سليلِ (١)

يَرعـاهُ في شَرْخِ (٢) الصِّبـيَ ومَشيبهِ ويَصونُـه للجيلِ بعـدَ الجيلِ

ما العهـدُ من شَرفٍ وصِـدقِ مُروءةٍ كالعهـدِ من كَذِبٍ ومـن تضليلِ

***

ليت الأُلَى شرعـوا المذاهـبَ جَمّةً صدعـوا الشُّـكوكَ بمذهـبٍ مقبولِ

أوَ كلّما نصرَ الحقائـقَ أهلُها عثَـرَ الكَمِـيُّ بمُـدَّعٍ مخذولِ ؟ !

يَغْشَى الكفـاحَ من المُحـالِ بمُثْخَنٍ دامِي الجراحِ ، ويحتمي بقتيلِ ؟ !

عَصفَ الفـوارسُ بالجنـودِ ، فما ترى إلاّ فُلـولاً من وراءِ فُلولِ (٣)

شِلْـوٌ على شِلْـوٍ يطـيرُ فُضاضُهُ ودَمٌ يسيلُ على دمٍ مطلولِ (٤)

الحـقُّ يصرعُ كلَّ أشـوسَ باسلٍ ويَفُـلُّ كلَّ مُذرَّبٍ مسلولِ (٥)

(أُسطـولُ ربّـكَ) للقتـالِ وجيشُه إن جَدَّ جدُّ (الجيشِ والأسطولِ)

(لله) إن نَشَـطَ الرّمـاةُ كتائبٌ تَرمِي الكتائبَ عن يدَيْ (عِزريل) (٦)

هل تملكُ الـدُّوَلُ العصيَّةُ حيلةً إن قال ربُّكَ للممالكِ زُولي ؟

لا ييأسَـنَّ من الفِـكاكِ على المَدى شعـبٌ رهـينُ أداهـمٍ وكُبولِ (٧)

لا الشّرقُ بالواهـي ، ولا عصرُ الأُلَى خذلـوه عصرُ تَهيُّبٍ ونُكولِ (٨)

(١) السليل الولد .
(٢) أوله وريعانه .
(٣) جمع فلّ وهو المنهزم وأصل ذلك من الكسر .
(٤) الفضاض ما تفرّق من الشيء عند كسره ، والدم المطلول الذي هُدِر أو لم يُثأر له .
(٧) الأشوس الشديد الجريء في القتال ، وفلّ السيف ثلمه ، وذرّب السيف أحدّه .
(٦) الملك الموكّل بقبض الأرواح .
(٧) أداهم جمع أدهم وهو القيد سمي بذلك لسواده ، والكبول جمع الكبل أعظم ما يكون من القيود .
(٨) النكول النكوص والجبن .

مَن يدفعِ الطُّوفانَ أقبلَ من علٍ   يستنُّ في لُجَجٍ له وسُيولِ ؟
إنّ السّماءَ تدفقّتْ رحَماتُها   تَسقِي المشارقَ بعد طول مُحولِ[1]
وإذا الشُّعوبُ استصرَختْ أنصارَها   فاللهُ أكرمُ ناصرٍ وكفيلِ

***

- ١٩٢٣ -

(١) جدب .

في انتصار تركيا على اليونان

النصر المبين في الأناضول

من القلم الى السيف

ردوا غمراتِها[1] في الواردينا   وسيروا في المَمالكِ فاتحينا
لكم ما استَعمرَ الأعداءُ منها   وما استلبتْ أكُفُّ الغاصبينا
وما (مُلْكُ الهلال) بمُستباحٍ   وإن غَفَتِ القواضبُ عنه حينا
لها خُلُقُ الصَّواعقِ حين تَغْفى   فما يُمسِكْنَ حتّى يرتَمِينا
تَبيتُ على مَضاجِعها المنايا   مُولهَّةً تظنُّ بها الظنونا
تقرُّ ، فتفزَعُ الدّنيا وتأبى   ممالكُها الهَوادةَ والسُّكونا
وتبعثُها الوغَى فيسيلُ منها   عُبابُ الموتِ يطوِي المعتدينا
يُطوِّحُ بالكتائبِ والسّرايا   ويلتهمُ المعاقلَ والحصونا
سلِ (اليونانَ) كيف طغَى[2] عليهم   أما كانوا الطُّغاةَ القاهرينا ؟
إذا طلبوا النّجاةَ تلقّفَتْهم   يدا (عزريل) في المُتلقِّفينا
يشقُّ الموجَ إن فزِعوا إليهم   ويُزجِي من مخالبهِ سفينا
خُطوبٌ زُلزِلتْ (أزميرُ) منها   وزالت عن مَواقِعِها (أثينا)[3]

---

(١) غمرات الحرب وغمارها شدائدها .
(٢) الضمير هنا عائد على عباب الموت .
(٣) أزمير مرفأ في تركيا على بحر إيجه ، وأثينا عاصمة اليونان .

إذا ما ساقَ (قُسطنطينُ) جيشاً ... رَمى (الغازي) فساقَ له المَنونا[1]
وما بجنودِ (قسطنطينَ) نُكرٌ ... إذا كرَّ (الغُزاةُ) مُكَبِّرينا
يَردُّونَ السّيوفَ بِلا قتالٍ ... ويَلْوُونَ الأعِنَّةَ مُعرِضينا
إذا نَظموا الهزائمَ أَحْسَنوها ... وزَفُّوها روائعَ يزدهينا
وما تخفى فُنونُ الحربِ يوماً ... على الشَّعبِ الذي وَرِثَ الفُنونا

***

هزائم اليونان وجرائمهم

تولَّوْا كالرّياحِ تَهُبُّ نُكْباً[2] ... وطاروا كالنَّعامِ مُشرَّدينا
تكاد الأرضُ تُنكِرُهم إذا ما ... تولَّوْا في الأباطحِ مُدبرينا
تكاد بلادُها ترتابُ فيهم ... إذا مَرُّوا بهنَّ مُدمِّرينا
فذلك بأسُهم ، والبأسُ عَجْزٌ ... إذا رَحِمَ الضِّعافَ العاجزينا
وتِلكَ سَبيلُهم لا عَيْبَ فيها ... وإن زَهقتْ[3] نُفوسُ اللائمينا
ومَن زَعمَ المذابحَ مُنكَراتٍ ... فقد زَعمَ الملائكَ مُجرِمينا

***

أَلَمْ تَسَلِ المدائنَ كيف بادت ؟ ... أَلَمْ تبكِ المنازلَ إذ بُلينا ؟
كساهُنَّ الشُّحوبَ بِلىً عَبوسٌ ... وكان الحُسْنُ مِمّا يكتسينا

---

(١) قسطنطين قائد اليونان ، والغازي مصطفى كمال القائد التركي .
(٢) جمع نكباء وهي الريح إذا انحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين وهي ريح مهلكة للزرع والمواشي حابسة للقطر .
(٣) هلكت .

سَلِ الأطلالَ من سُفْعٍ وسُودٍ ... أهُنَّ إلى النَّواعِبِ ينتمينا ؟[1]
أُتيحَ لهنَّ من ظُلمٍ طِلاءٌ ... كَلَوْنِ القارِ هُنَّ بهِ طُلينا

***

ديارَ عُمومتي ، وبلادَ قومي ... متى دَرسَتْ رسومُكِ ؟ خَبِّرينا
أثارَ عليكِ من (فيزوفَ)[2] سُخطٌ ؟ ... أمِ اخترمتكِ أيدي السّاخطينا ؟
تَفجَّرَ فيكِ طُوفانٌ جحيمٌ ... هَوى بكِ مَوجُه في المُغْرَقينا
لَئِنْ جاش العُبابُ فَذُبْتِ فيه ... لقد ذابتْ نُفوسُ السّاكنينا
جَرَيْنَ على غواربِه[3] حَيارى ... دوائبَ يفترقنَ ويلتقينا
تظلُّ النّارُ تأكلُهم أُلوفاً ... وليسوا بالعُصاةِ المُذنبينا
تُصيبُ المُذعِنينَ فتحتويهمْ ... وتعصِفُ في وُجوهِ الجافلينا
وتغشى كُلَّ منزلةٍ ومَثْوى ... فيذهبُ كيدُها باللاّجئينا
إذا مالَ السَّبيلُ بها فَحارتْ ... هَدتْها صَيْحةُ المُسْتَصْرِخينا

***

وناعِمةِ الشّبيبةِ ذاتِ طفلٍ ... يُضيءُ وسامةً ، ويَرِفُّ لينا
تَلوذُ بمهدهِ وتضمُّ مِنهُ ... رياحينَ الرّياضِ إذا نَدينا
دَهاها الخطبُ أحمرَ في نُفوسٍ ... لَبِسْنَ الموتَ أسودَ إذ دُهينا
فعادَ الثَّدْيُ في فمهِ لهيباً ... وعادَ المَهْدُ في يدِها أتونا[4]

***

---

(١) السفع السوّد تضرب إلى الحمره ، والنواعب الغربان .
(٢) البركان المعروف في ايطاليا .
(٣) أعالي موجه جمع غارب .
(٤) الأتون مخفف من الأتّون الموقد .

تثورُ ، فلا تُريدُ سوَى طعامٍ   ولا يَفْنى القِرَى في المُطعمينا

تَسيلُ أكفُّهم كَرَماً وبرًّا   إذا جَمَدتْ أكفُّ البَاخلينا

تَبارَوْا في السَّماحِ فجاوَزوهُ   وفاتُوا فيه شأوَ السّابقينا

(بني الإغريقِ) سُدْتُم كلَّ قومٍ   وزدتُمْ في الكرامِ المُنعمينا

ترامي ذِكركم في كلِّ أرضٍ   فجابَ سُهولَها ، وطوى الحَزونا(١)

ذهبتُمْ بالصّنائعِ والأيادي   وجاءَ الأدعياءُ مُقلّدينا

***

تظلُّ النارُ مِلءَ الأُفقِ تعلو   وتَقذِفُ بالحيارى الذّاهلينا

تُريد حِمَى النُّسورِ فتتَّقيها   وتطلبُ في السَّحابِ لها وُكونا(٢)

فلولا الجوُّ يمنعُ جانِبَيْهِ   ملائكةُ السَّماءِ مُرفرفينا

هوَى القمرانِ من فَزَعٍ ، وألقى   حِمَى المرِّيخِ بالمُستضعفينا(٣)

هِضابٌ قُمْنَ من لَهَبٍ عليها   دُخانٌ كالجبالِ إذا رُئينا

بقايا الظُّلمِ من حُمْرٍ وسُودٍ   يُفارِقْنَ البلادَ وينقضينا

***

تَطلَّعتِ السَّماواتُ ارْتياعاً   وألقتْ نَظرةً تَصِفُ الشُّجونا

ترى الأرضينَ كيف عنَا(٤) بنوها   لآلهةٍ عليها قائمينا

فتلك قيامةُ الأحياءِ قامت   ولمّا يأتِ وعدُ السّالفينا

---

(١) جمع حزَن ما غلظ من الأرض .

(٢) جمع وكن مأوى الطائر في غير عش .

(٣) القمران الشمس والقمر ، والمريخ نجم من السيّارات وهو أقربها من الشمس .

(٤) خضع .

وتلك النّارُ تُلقِي النّاسَ فيها   بأرضِ (التُّركِ) أيدي المُضرمينا

رأَوْا أن يُطفِئوا ناراً بنارٍ   فهلْ بردَتْ قلوبُ الحاقدينا ؟

أبادت قومَنا إلاّ بقايا   أقاموا بالعَراءِ مُعذَّبينا

نُفوسٌ ما سُقِينَ به شراباً   سِوى الأسفِ المُذيبِ ، ولا غُذينا(١)

نَظَرْنَ الموتَ ، ثم نظرن أخرى   أتُدركهنَّ أيدي الرّاحمينا ؟

تضِجُّ الأُمّهاتُ مُفجّعاتٍ   وينتحبُ البنونَ مُفجّعينا

حنانَكَ ربَّنا ماذا لَقينا ؟   أيُجزَى الصّالحونَ كما جُزينا ؟

***

جنون اليونان وطبّ الغازي

أقاموها لأنفسهم شِفاءً   فما صدقوا ، ولا شَفَتِ الجُنونا

لئن ظَنُّوا (بجالينوس) شرًّا   لقد عَرفوا النَّطاسيَّ الأمينا(٢)

متى يلمسْ مكانَ السُّوءِ منهم   يُمِتْهُ ، وينزعِ الدّاءَ الدّفينا

(مَسيحٌ) من بني عُثمانَ سَمْحٌ   يُرينا الحقَّ أسطعَ واليقينا

أعزَّ اللهُ دوْلَتَهُ ، وأحيا   بهِ أُممَ المشارقِ أجمعينا

وهدَّ ببأسِه أُمَماً شِداداً   تَهيبُ بها وتأبى أن تلينا

بَنَى (هامانُها)(٣) للبَغْيِ صرحاً   تَهابُ قُواهُ أيدي الهادمينا

---

(١) من غذاه يغذوه غذاءً .

(٢) جالينوس (١٣١ - ٢٠١) طبيب يوناني له اكتشافات خطيرة في عالم التشريح والنطاسي الطبيب الحاذق . والمقصود هنا القائد مصطفى كمال .

(٣) هامان وزير فرعون ذكر في سورة غافر بالقرآن « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعليّ أبلغ الأسباب » .

رمى (الغازي) فَزلزلَ جانِبَيْهِ ... ودمّرَ رُكنَهُ الضّخمَ المكينا
تطيرُ العاصفاتُ به شَعاعاً ... وتنفضُه على الدُّنيا طحينا
ترى هَبَواتِه[1] في كلِّ أُفقٍ ... يَرُحْنَ على الجِواءِ ويغتدينا
يَرُعْنَ مسابحَ العِقبانِ[2] فيه ... ويُفزِعْنَ الغياهِبَ والدُّجونا
حَوالِكَ[3] لو جُمِعْنَ لكُنَّ ليلاً ... يخافُ صباحُه أن يستبينا

***

الغازي يرفع الهلال وينشر أعلام الخلافة

إذا ما الظُّلمُ ذُو الزِّلزالِ أمسى ... يَهُزُّ الأرضَ بالمستضعفينا
فَحسْبُ (المؤمنين) دِفاعُ رامٍ ... يَداهُ يدا (أميرِ المؤمنينا)
تطلَّع و(الهلالُ) يميلُ غرباً ... وأعلامُ الخلافةِ ينطوينا
فأشرفَ يستقيمُ على يَديْهِ ... وعُدْنَ به خوافِقَ يعتلينا
يُظلِّلنَ الممالكَ شاخصاتٍ ... يَصِلْنَ به الجوانحَ والعيونا
يَرُفُّ رجاؤهنَّ على رجاء ... يُناشِدُ (يثربَ) العهدَ المصونا
إلى (الحرمَيْنِ) مفزعُه، وفيه ... حِمَى الدُّنيا، ومحيا العالمينا

***

(١) جمع هبوة الغبار .
(٢) جمع عقاب طائر من الجوارح قوى المخالب .
(٣) جمع حالك المشتدّ سواده .

عهد وإشارة

(بني عثمانَ) مَن يكُ ذا امتراءٍ ... فإنّ نُفوسَنا لا يَمترينا[1]
ومَن يرْعَ الذِّمامَ لكم فَيصْدُقْ ... فإنّ اللهَ مَوْلى الصّادقينا
نَصونُ العهدَ إلاّ ما نسينا ... وكيف يَضيعُ حقُّ اللهِ فينا ؟

***

أعداء الخلافة وذكرى وقائع غاليبولي

أفي عِرضِ الخلافةِ وهو بَسْلٌ ... تجولُ مطامعُ المتألِّبينا ؟[1]
ومن أبطالِها وهُمُ الضّواري ... تنالُ مخالبُ المُتنمِّرينا ؟
رموا بجنودِهم من كلِّ فجٍّ ... وجاءوا بالسَّفائنِ مُهطِعينا[2]
وضَجّوا بالوعيدِ دماً وناراً ... وما يُغني ضجيجُ المُوعدينا
هو البأسُ المُصمِّمُ، لا نكوصٌ ... ولو ملأوا الفِجاجَ مُناجزينا
نسوا (بالدردنيل)[3] لهم قُبوراً ... تفيضُ لها دُموعُ الذّاكرينا
ترى الأسطولَ يَفزعُ حين يمشي ... بساحتِها، ويخشعُ مُستكينا

(١) إمترى شكّ .
(١) البسل الحرام ، والمتألّبون المتجمعون المحتشدون .
(٢) مُسرعين .
(٣) الدردنيل مضيق في تركيا بين البحر الإيجي وبحر مرمرة عبثاً حاول الحلفاء اقتحامه في الحرب العالمية الأولى ، والقبور هي قبور بوارجهم التي أُغرقت .

وما وادي الجحيمِ بمُستطاعٍ   وإن عزُبَتْ حُلومُ الغافلينا[1]
لئن جحدوا المصارعَ دامياتٍ   لقد شهِدتْ منايا الهالكينا
لبئس القومُ كالقُطعانِ سيقوا   إليه ، وبئسَ مرْعى المُصطلينا
أطاعوا الآمرين فأنزلوهم   بأرضٍ لا تُحِبُّ النّازلينا
تدورُ بهم جوانبُها وتهوي   وتَصعدُ في مطارِ الصّاعدينا
تُطارِدُهم إذا ذهبوا شِمالاً   وتطلُبُهم إذا انقلبوا يمينا
تثور فتملأُ الآفاقَ رُعباً   إذا ملأوا الفضاءَ مُحلِّقينا
إذا انطوت الجُنودِ بها رمَتْها   (فراعنةُ الشُّعوبِ) بآخرينا
كأنّ بها إلى المُهجاتِ يَمْضي   بها (عزريلُ) شوقاً أو حنينا
فما تضعُ السِّلاحَ وإن تشكّى   ولا تدَعُ النُّفوسَ وإن عيينا
عُبابُ دمٍ يقِلُّ سنينَ حمْراً   طوَى الأجيالَ فيها والقُرونا
هوَى صرحُ الدُّهورِ فذاب فيه   كما ذابتْ جُهودُ المُبْتنينا
وما فضْلُ الشُّعوبِ إذا أضاعتْ   أواخرُها تُراثَ الأوّلينا ؟

***

إثارة الحرب واستباحة الدماء والأعراض باسم الصليب

رموا باسمِ الصّليبِ فما أصابوا   ولا وجدوا الصَّليبَ لهم مُعينا
وما يرضَى (المسيحُ) إذا استباحت   دمَ الضُّعفاءِ أيدي الآثمينا

(١) هكذا كانوا يسمون جزيرة غاليبولي لشدة ما عانت جنودهم فيها من أهوال ، وعزبت غابت .

ولا (العذراءُ)[1] حين ترى العذارى   جوازعَ ينْتحِبْنَ ويشتكينا
رأت جللاً من الأحداثِ نُكراً   هَراقَ[2] العينَ واعتصرَ الجبينا
رأت (حُورَ الجِنانِ) مُصرَّعاتٍ   يُقرِّبْنَ النُّفوسَ ويفتدينا
يَقُلْنَ لها حنانَكِ أدركينا   فقد أزرى بنا ما تعلمينا
أقومُكِ أم ذِئابٌ عادياتٌ ؟   وأمرُ (يسوعَ)[3] أم ما تأمرينا ؟
أقاموها على الخُلَطاءِ[4] حرباً   تدكُّ مزاعمَ المتحضِّرينا
جنوها ظالمِين وغاب عنها   أعزُّ أُولي الحفيظةِ غائبينا
فما هابوا الفتى والشيخَ فيها   ولا رحِموا الرَّضيعَ ولا الجنينا
ولا تركوا بناتِكِ ناجياتٍ   ولا خفروا ذمامَكِ مُجْمِلينا[5]
إذا ضجَّ الدّمُ المُهراقُ ضجَّتْ   شعوبُكِ رحمةً للمُهرِقينا
وتأخذنا الخطوبُ ، فإن صبرنا   تداعَوْا في (الكنائسِ) جازعينا
رمونا بالتعصُّبِ فاشهديه   وكوني (حُجّةَ المُتعصِّبينا)
ذَريهم إذ عصَوْكِ ولم يثوبوا   إلى (الوحْيِ المنزَّلِ) أو ذرينا
همو جعلوا الصّليبَ أذىً وبغياً   عليكِ صلاةُ ربِّكِ أنصفينا

***

(١) السيدة مريم عليها السلام .
(٢) هراق الماء صبّه وأصله أراق .
(٣) المسيح عليه السلام .
(٤) القوم الذين أمرهم واحد .
(٥) خفروا حموا ، والذمام الحرمة والحق ، والمجمل المحسن .

فوز المجاهدين ودخولهم أزمير تحت لواء الغازي

أَقِلِّ الهـمَّ ، واتّئـدِي ، فإنّـا … سَيُدرِكُنـا غيـاثُ المُنجـدينا

سما (الغـازي المجاهـدُ) في جنودٍ … لربّـكِ ما لهـم من غالبينا

وجاء الفتـحُ أسطـعَ ، ما يُوارَى[١] … وطـار الـذُّعـرُ بالمُتقهقِرينـا

تمـرُّ الخيلُ بالأبطـالِ رَهْـواً … وتمضي في مواكبهـا ثُبينـا[٢]

يُردِّدْنَ الصّـهيلَ مُبشِّراتٍ … ويتلـون (الكتـابَ) مُبشِّرينـا

مشى (جبـريلُ) يدعـو القـومَ شتّى … فلَبُّـوهُ ، وخـرّوا ساجـدينـا

ونـادى (القائـدُ الأعلى) فجاءوا … إليه مُـكبِّـريـنَ مُهلِّـلينا

وهَـبَّ الشّعـبُ ملءَ الأرضِ يجزي … يدَ الغـازي ، ويلـقى الوافدينـا

مواكبُ من يَغِـبْ في الدّهـرِ عنها … فمـا شهِـدَ الملـوكَ مُتوَّجينـا

ولا عرفَ (الهـلالَ) يسـير فخماً … ولا نظـر السُّهـى[٣] يمشي رَصينا

مَشاهِـدُ خانـتِ الأنبـاءُ فيها … وضـاقَ بهـا بيانُ الواصفينـا

يظـلُّ الـكاتـبُ العربـيُّ فيها … يجَـورُ به لسـانُ الأعجمينـا

قَنعنـا (بالـرّوايـةِ) وانكفأنـا … نهُبُّ بقـومِنـا في القاعـدينا

يُهيّجُنـا الحـديثُ وتعتـرينا … خيالاتٌ يَلُحْـنَ ويختفينـا

***

(١) من وارى الشيء أخفاه .

(٢) الرهو السير في رفق وسهولة ، وثبين جماعات جمع ثبات وهي جمع ثبة .

(٣) كوكب خفي من بنات نعش الصغرى .

أزمير بين المسلّمين والمودّعين

(رُبَـى أزمـيرَ) ماذا تنظرينـا … وأيَّ عَطـاءِ ربّـكِ تشكرينا

صبـرتِ على الأذى فجـزاكِ نصراً … وسـاق إليكِ عُقبـى الصّابرينا

وردَّ عليكِ قومَـكِ بعـد يأسٍ … فمِـنْ غادين فيكِ ورائحينا

أتَـوكِ مُسلِّمـينَ فما شجاهم … سـوى خَبَـبِ[١] العِـداةِ مُودّعينا

تودُّ سُيوفُهـم أن لو أقاموا … وإن أخـذوا الأعِنَّـةَ زاهدينا

بقيّةُ مُفسـدينَ عتَـوْا، فأمسوا … حَصيداً[٢] في المصـارعِ خـامدينا

رمـت أيدي التَّبـابِ بهـم فبانوا[٣] … ومـا تأبَـى البقيّةُ أن تَبينا

أتَـوْا (أزمـيرَ) يَسْتعلُـونَ عِزًّا … ويستبقـونهـا مُتخـايلينـا[٤]

يَهُـزّون السُّيوفَ بهـا اغتراراً … ويُزجـون الجِيـادَ مُخدَّعينا

نَشـاوَى ، يحسَبـون الأُسْـدَ تُغضي … إذا أجمَـاتُهـا يومـاً غُشينا

وأقـربُ ما يكونُ الذّئـبُ حَتْفاً … إذا هاجَ الضرّاغـمَ مُستَهينا

نزوهـا نزوةً[٥] لم يعرفوها … وكانـوا قبـل ذلـك جاهلينا

أشـادوا بالـفتـوحِ مُحجَّلاتٍ[٦] … وصـاحـوا صَيْحـةَ المُتبجِّحينـا

(١) الخبب ضرب من عدو الخيل ونحوها .

(٢) أي كالزرع المحصود ، وأيضا من يحصد بمعنى يقتل ويستأصل .

(٣) التباب الهلاك ، وبانوا بعدوا وانقطعوا .

(٤) متكبرين والتخايل والاختيال بمعنى .

(٥) أي وثبوا وثبةً .

(٦) مُضيئاتٍ مُشرقة .

فكان (حماتُهم) حرباً عليهم ... وكانوا (الفاتحين الكاذبينا)
أتوا غَرِقينَ في صلَفٍ وكِبرٍ ... وعادوا بالهوانِ مُخيَّبينا

جلاء الأعداء عن الوطن العثماني وجناية المغرّرين

ألا بَعُدتْ ديارُ الظّاعنينا[1] ... ولا عطفوا الرّكائبَ راجعينا
تظلُّ الأرضُ تقذِفُهم سِراعاً ... فما ندري أخلقاً أم كرينا[2]
تطايرَ جمعُهم فَرَقاً ، وزالوا ... عصائبَ كالجرادِ مُطرَّدينا[3]
إذا بلغوا الدّيارَ تجهَّمَتْهُم[4] ... فساروا في البلادِ مُباعِدينا
خلائقُ ما يُقاربُها حِسابٌ ... وإن بَعُدَ المدى بالحاسبينا
ترامَوْا في السّفائنِ واستمرّوا ... يجوبونَ البِقاعَ مُولَّهينا
فضجَّ البحرُ من فَزَعٍ بُكاءً ... وماجَ البَرُّ من جَزَعٍ أنينا
جنايةُ معشرٍ طلبوا مُحالاً ... فَهمُّوا بالشّعوبِ مُغرِّرينا
أبادوا النّاسَ شعباً بعد شعبٍ ... وقاموا في المآتمِ ساخرينا

***

حكم السيف في أعداء الخلافة ووحوش الاستعمار في الشرق

تنفّستِ المشارقُ حين صاحوا ... بأبطالِ الخلافةِ بارزينا
لِتلكَ أحبُّ ما تَهبُ الأماني ... من النُّعمى ، وأبهجُ ما تُرينا

(١) الرّاحلين .
(٢) جمع كرات وهي جمع كرة .
(٣) فرقا فزعاً ، والعصائب جمع عصابة .
(٤) استقبلتهم بوجه كريه .

إلى أيّامنا في الدهرِ بيضاً ... نَخوضُ غياهبَ الأحداثِ جُونا[1]
وما للقومِ كالهيجاءِ وِردٌ ... إذا وردوا الحُتوفَ مُسالمينا
وما في الأرضِ أعدلُ من حُسامٍ ... إذا جَمحَ الهوى بالحاكمينا
وما حقُّ الحياةِ لنا بحقٍّ ... إذا خِفنا وعيدَ المُبطلينا[2]
ولولا البأسُ ما وَفَتِ الأماني ... ولا نَهضتْ جُدودُ العاثرينا
أمَنْ جَعلَ الهوانَ له حليفاً ... كمن جَعلَ العَنانَ[3] له قرينا ؟
ولولا النّقعُ[4] ينهضُ مُكفهِرّاً ... لما نَهضتْ عروشُ المالكينا

مجد العثمانيين وبأسهم وصدق إيمانهم

بني عثمانَ: مَنْ يضربْ بسيفٍ ؟ ... فما زلتم سُيوفَ الضّاربينا
ومن يَعبثْ به نَزَقُ[5] الأماني ... تُعِدْهُ سيوفُكم ثَبْتاً رزينا
وما لذوي الجهالةِ من عذيرٍ ... إذا ركبوا الحُتوفَ مُجرِّبينا
إذا ما النُّصحُ لم يكُ ذا غناءٍ ... فإنّ السّيفَ خيرُ النّاصحينا
خُلِقتُم للجِلادِ ، وأرضعتكم ... ثُديُّ[6] الأمّهاتِ مُدرَّبينا
وما للقومِ في الهيجاءِ كُفءٌ ... إذا وُلِدوا فوارسَ مُعلَمينا[7]
سَموْتُم في الشُّعوبِ بمُنجباتٍ ... يَفِئْنَ إلى غطارفَ مُنجبينا[8]

(١) جمع جون أسود .
(٢) المبطِل الذي يأتي بالباطل .
(٣) السحاب .
(٤) غبار المعركة .
(٥) النزق العجلة في جهل وحمق .
(٦) جمع ثدي .
(٧) المعلم الفارس جعل نفسه علامة الشجعان في الحرب .
(٨) يفئن يرجعن ، والغطارف جمع غطراف وهو السخيّ السريّ الشاب .

مُطهّرةِ البطونِ مُباركاتٍ ... يُربّينَ الرّجالَ مُباركينا
نَمَتْهُنَّ المنابتُ مُمرعاتٍ ... يطيبُ بها غِراسُ المُنبتينا
فإن يجهلْ «بني عثمانَ» قومٌ ... فما عرفوا الأُبوّةَ والبنينا
أولئك أفضلُ الأقوامِ خُلُقاً ... وأصدقُ أُمّةِ الفُرقانِ دينا
يحلّون (الكتابَ) حِمى نفوسٍ ... حَلَلْنَ من السّماءِ بحيث شينا[1]
أهابَ بهم (رسولُ الله) هُبُّوا ... فهَبّوا بالسُّيوفِ مُجاهدينا

***

المجاهدون ينادون الخلافة

يُنادون الخلافةَ لا تُراعي ... فلن نَرْضَى لِتاجِكِ أن يهونا
إذا بات العَرينُ بغيرِ حامٍ ... وريعَ (حِمى الخلائف) فاذكرينا
لكِ المهجاتُ نَبذلُها فِداءً ... ولسنا في الفداءِ بمُسرفينا
أمانةُ ربّنا صِينَتْ لدينا ... وكنّا للأمانةِ حافظينا
دَعَوْتِ (فأقسمَ الجيشُ اليمينا) ... وحسبُكِ (أن يُبيدَ الظالمينا)[2]
نُجاهِدُ وحدَنا، ونراه حقًّا ... وإن نكَصَتْ شُعوبُ المسلمينا
ونحن القومُ لا نَخْشَى المنايا ... ولا نتهيَّبُ الحربَ الزَّبونا[3]

يجيبون الداعي ويخطبون بالسيوف

علينا أن نُجيبَ إذا دُعينا ... ونَصدُقَ في الوغى مَن يبتلينا
نذمُّ القائلين، ولا حياةٌ ... لمن يأبى سبيلَ العاملينا

(١) شئنا .
(٢) تضمين لمطلع النشيد التركي الوطني وهو (حلف الجيش اليمين ، أن يُبيد الظالمين) .
(٣) الحرب الزبون الشديدة يدفع بعضهم بعضا من الكثرة .

إذا الخطباءُ للتّعليم هبُّوا ... خَطبنا بالسّيوفِ مُعلّمينا
ونكتبُ في الملاحمِ ما أردنا ... إذا التحمتْ صُفوفُ الكاتبينا
وأضعفَ ما يكونُ القومُ جُنداً ... إذا حَشَدوا الصّحائفَ صائحينا
تُجادلُ بيّناتُ البأسِ عنّا ... إذا ضجَّ الرّجالُ مُجادلينا
لنا الحُجَجُ التي لا رَيْبَ فيها ... إذا ارتابتْ قُلوبُ المُنكرينا

***

ينصرون الله ويجاهدون فيه وفي رسوله

لِنصرِكَ ربَّنا خُضْنا المنايا ... وفيكَ وفي رسولِكَ ما لَقينا
دَعَوْتَ إلى الجهادِ ونحن صرعَى ... فما أَبتِ السُّيوفُ، ولا عَصينا
نهضنا تَخذُلُ الأوصالَ منّا ... مناكبُ يَسْتَقِمْنَ ويلتوينا
نَنُوءُ من الجِراحِ بما حملنا ... ونمشي للكفاحِ مُصفّدينا[1]
نضِجُّ مُكبّرين إذا رَمَيْنا ... ونستبقُ الجِنانَ إذا رُمينا
إذا لم نملإِ الدُّنيا سلاماً ... فلسنا للسُّيوفِ بمُغْمِدينا

***

يعتبون ثم يعطفون

نُقاذِفُ عن ذوي الأرحامِ طُرًّا ... ويقذفنا العِدى ببني أبينا[2]
ونعلمُ أنهم قومٌ ضِعافٌ ... شَقُوا بالغاصبين كما شَقينا
يُسامُونَ الهوانَ أذىً وبغياً ... ويأتون الدّنيّةَ صاغرينا
إذا انبعثتْ قذائفُهم غَضِبْنا ... فإن بعثوا القُلوبَ لنا رضينا
تَبيتُ صُفوفُهم تهفو إلينا ... وإن مَضَتِ الطّلائعُ تتّقينا

(١) ننوء ننهض مثقلين ، ومصفدين مقيّدين .
(٢) إشارة الى أخوانهم المسلمين الذين سيقوا إلى محاربتهم وهو من أفظع جنايات الاستعمار .

يُريدونَ الحياةَ ككلِّ شعبٍ ... وتقتلُهم قُوى المُستعبِدينا
أولئك قومُنا اللهمَّ فافتحْ ... لنا ولقومِنا الفتحَ المُبينا

***

سيف خالـدة[1]

أروني (سيفَ خالدةٍ) وعُدُّوا ... مناقبَها العُلَى للمُعْجَبينا
أَروهُ ممالكَ الدُّنيا وقُصّوا ... على الأممِ الحديثَ مُفاخِرينا
لئن جهِلَ التفوُّقَ مُدَّعوهُ ... فتلك مَراتبُ المتفوِّقينا
وما للعبقريَّةِ في سواكم ... سوى الذِّكرى ودعوى المُرجفينا
عَهِدنا الغيدَ يُؤثِرن الحَشايا ... ويُغْلِينَ القلائدَ والبُرينا[2]
فما بالُ التي جَعلتْ حُلاها ... حَديدَ الهندِ في المُتلبِّبينا[3]
رمت بالسّابحاتِ[4] تَسُحُّ ركضاً ... إلى الغَمَراتِ تَلْقَى الدّارِعينا
تَحُطُّ قِناعَها ، وتخوضُ فيها ... فوارسَ بالحديدِ مُقنَّعينا
وتَلْبَسُ من دَمِ الأبطالِ مِرطاً[5] ... تَفيضُ له نُفوسُ اللاّبسينا
تَزينُ جُفونَها بالنّقعِ فَرحى ... إذا ما زَيَّنَ الكُحلُ الجفونا
وما تَضَعُ السِّلاحَ بناتُ قومي ... ولا تَدَعُ الحِمَى للواغِلينا
حرائرُ ما شُغِلْنَ بمُستَحَبٍّ ... سِوَى الشَّرفِ الرفيعِ ، ولا عُنينا
نَمَتْهُنَّ المَناسبُ مُشرِقاتٍ ... سُلِلْنَ من القواضبِ وانْتُضينا

---

(١) السيدة خالدة أديب الكاتبة التركية .
(٢) جمع بُرَة ماتتحلّى به المرأة من أساور ونحوها .
(٣) حديد الهند كناية عن السيف ، والتلبُّب لبس السلاح .
(٤) السّابحات من الخيل السّريعة .
(٥) المرط كساء يؤتزر به .

إذا ما الخيلُ سِرْنَ نَفَرن بيضاً ... يُبادرنَ الرِّعالَ[1] ويَنْبَرينا
يُغِرْنَ فَيَسْتَلِبْنَ الجيشَ ضخماً ... إذا استُلِبَ العقائلُ أو سُبينا
فمن يَشهدْ حُماةَ الملكِ يَشهدْ ... خِلالَ النّقعِ آساداً وعِينا[2]
يُعاجِلْنَ الصُّفوفَ مُغامِراتٍ ... ويغشَوْنَ الحُتوفَ مُغامِرينا
فيا لكَ سُؤْدُداً وطِرازَ مجدٍ ... يَروعُ جلالُه المتأنِّقينا
تدفّقَ رَونَقُ (الإسلامِ) يسقي ... جوانِبَه ويستسقِي المُتونا[3]
وجالَ (الوحيُ) ذو الإشراقِ فيه ... فسالَ على أكُفٍّ القابسينا
أكنتم أُمّةً خُلِقتْ سُيوفاً ؟ ... تعالى اللهُ خيرُ الخالقينا
تخوضُ الحربَ شُبّاناً وشيباً ... وتغشى القتلَ أبكاراً وعونا[4] ؟
لكم (نورُ الفتوحِ) يُضيءُ فيها ... إذا هزّتْهُ أيدي المِصْلَتينا[5]
سنا (عثمانَ) ذي النُّورَيْنِ فيه ... وسِرُّ اللهِ للمتوسِّمينا
طوى الأجيالَ ما وارَاهُ غِمدٌ ... ولا عرفَ الصياقلَ والقيونا[6]

الموقف الجديد ومؤتمر مودانيا

تجلّتْ غمرةُ اليونانِ عنكم ... وجاءت غمرةُ المُتحالِفينا

---

(١) جماعة الخيل .
(٢) العين بقر الوحش .
(٣) جمع متن ومتن الأرض ما ارتفع منها واستوى .
(٤) الأبكار جمع بكر ، والعون جمع العوان النصف في سنها .
(٥) نور الفتوح كناية عن سيف عثمان والمِصلتون جمع مصلت ومصلات وهو الشجاع الماضي أو هي المصلِتون جمع مُصلِت من أصلت السيف جرّده من غمده .
(٦) الصياقل جمع صيقل وهو الذي يسن السيوف ويجلوها ، والقيون جمع قين وهو الذي يصنعها .

مَلَلتُمْ ما يَمَضُّ[1] الحُرَّ منهم   وما مَلّوا الدُّعابةَ والمُجونا

تَواصَوْا (بالهَوادةِ) وهي زُورٌ   ونادوا (بالسّلامِ) مُضلِّلينا

رأوا عزماً يَطُمُّ[2] على العوادي   ويَغمرُ حِدَّةَ المُتمرِّدينا

فَباءُوا بالتي لا ظُلْمَ فيها   وجاءوا بالقُضاةِ مُحكِّمينا

فلما اسْتطاعوا لِحُكمِ اللّيثِ رَدّاً   ولا وَجدوا لهم من ناصرينا

رَضُوا بعد التوثُّبِ ، واستكانوا   لِأَغلبَ[3] يَصرعُ المتوثِّبينا

إذا نَفَر الحِفاظُ به تناهَوْا   يَغُضُّونَ النّواظرَ خاشعينا

يَضِنُّ بحقِّهِ ، والحقُّ عِرضٌ   إذا انْتَهكَتْهُ أيدي الطّامعينا

أصمُّ العَزْمِ[4] ما وَجدوهُ إلاّ   كَرُكنِ الطَّوْدِ مُمْتَنِعاً ركينا

يُريدُ الأمرَ لا يَبغي كفيلاً   سِوَى البأسِ الشّديدِ ، ولا ضمينا

أرادوا ظُلْمَنا ، فأبَى عليهم   وعلّمهم سجايا الأكرمينا

فعادوا بالمهانةِ في ذَويهم   وعُدنا بالكرامةِ في ذوينا

يُشاوِرُ سَيْفَه ، والسّيفُ أجدى   إذا لم يُجْدِ لَغْوُ القائلينا

يردُّ الذّاهلين إلى نُهاهم[5]   ويكشِفُ حَيرةَ المُتعسِّفينا

دَعوا أُسطولَهم فاهتاجَ ذُعراً   وباتَ جُنودُهم مُتفزِّعينا

لئن أخذوا السَّبيلَ إلى (فَروقٍ)   لقد أخذوا سبيلَ الذّاهبينا

وإن شَقُّوا الخنادقَ في جِناقٍ[6]   فقد شَقُّوا القُبورَ مُموِّهينا

(١) يؤلم .

(٢) يعلو ويُغطّي .

(٣) هو عصمت باشا الذي اجتمع المؤتمرون في داره بمودانيا .

(٤) إشارة إلى قولهم إن في سمعه وقرا .

(٥) جمع النهية : العقل .

(٦) الجناق والجُنُقُ حجارة المنجنيق .

(بني عثمانَ) أَعْنَقتِ المطايا[1]   وجَدَّ الجِدُّ بالمُتردِّدينا

خُذوا سُبُلَ العُلَى رَكضاً وسيروا   مَيامينَ الرِّكابِ مُوفَّقينا

لَعمرُ الجامحِينَ لقد أردتم   فألْقوا بالأعِنَّةِ مُذعِنينا

إذا خَفضوا الجَناحَ لكم رَضيتم   أعزّاءَ المعاطِسِ[2] كابرينا

وإن طلبوا العَوانَ[3] بعثتموها   وسِرتم باللّواءِ مُظفّرينا

تُحِبُّون الهَوادةَ ما اسْتقاموا   ولستُمْ للقتالِ بكارهينا

***

دار الخلافة ومقدونيا

حُماةَ المُلكِ هل للملكِ ذُخرٌ   سِوَى بأسِ الحُماةِ الباسلينا ؟

وما تنأى (فَروقُ) إذا هممتم   ولا تأبى (أدرنةُ) أن تدينا

قبورُ الفاتحينَ تَرِفُّ شوقاً   وتسألُ ما وقوفُ القادمينا ؟

مضاجعُ للخلائفِ شيّقاتٌ   تحنُّ إلى نوازعَ[4] شيِّقينا

لكم (مَقْدُونِيَا) شرقاً وغرباً   فَزُوروا داركم وصِلُوا القطينا[5]

صِلوا إخوانَكم وبني أبيكم   وإن كَرِهتْ نُفوسُ الكاشحينا[6]

أقاموا بالديارِ مُروَّعاتٍ   يُنادون الحُماةَ مُروَّعينا

ديارُ هوىً هلكن أسًى ، فلمّا   أتاهُنَّ البشيرُ ضُحًى حيينا

يكَدْنَ من الحنينِ يجِئْنَ رَكباً   يُحَيِّينَ اللّواءَ ويحتفينا

***

(١) أعنق الفرس أسرع وسار العَنق وهو سير فسيح واسع .

(٢) الأنوف .

(٣) الحرب العوان هي أشدّ الحروب .

(٤) النوازع جمع النازع الغريب .

(٥) السّاكن .

(٦) جمع كاشح العدو الباطن العداوة كأنه يطويها في كشحه أي فيما بين السرّة ووسط الظهر .

تهلّلتِ (الخلافةُ) إذ نَعُوها — وجاءوها (بسيفَرَ) وارثينا

تولَّوْا عن مغانمِها خزَايا — وعادوا بالحقائبِ مُخْفِقينا

وما لِعُهودِ (سيفَرَ) من بقاءٍ — إذا دَلَفَ الكُماةُ مُدجَّجينا

وما خُطَطُ الدُّهاةِ بمُغنياتٍ — إذا خُطَطٌ (بأنقرةٍ) قُضينا

مَهبُّ الحادثاتِ إذا ترامَتْ — بها الأقدارُ حُمراً يلتظينا[1]

يَدعْنَ رواكدَ الأقطارِ وَلْهى — وما يَدرينَ ماذا ينتوينا

إذا بلغ المطارُ بهنّ أرضاً — بلغن من العِدَى ما يشتهينا

يَزُرْنَ مَساقِطَ الآجالِ هِيماً — يَرِدْنَ بها النّجيعَ فيرتوينا[2]

منازل فتيةٍ فزعوا إليها — بآمالِ العُناةِ المُرهَقينا

يعدُّون الخُطى يَنْقُصْنَ حيناً — ويستوفونها مُتلفِّتينا

يخافون الكلامَ فإن تناجَوْا — تناجَوْا بينهم مُتخافتينا

أصابوا غِرّةً فمشوا دبيباً[3] — وساروا خِفيةً مُتسلِّلينا

يهالُ الغيبُ ذو الأهوالِ منهم — بمُستخفين فيهِ وساربينا[4]

رأوها نكبةً هَوْجاءَ تأتي — زَلازِلُها على المُستسلِمينا

ورُوِّعتِ الخلافةُ في حِماها — وضجَّ بنو الخلافةِ نادبينا

فباعوا اللهَ أنفسَهم وهبُّوا — كأصحابِ النبيِّ مُهاجرينا

همُ ابتدروا العَرينَ فأنقذوهُ — وهم كانوا الحُماةَ المانعينا

(سيوفُ الله) ليس له سواه — و(راياتُ الهُداةِ المُلهَمينا)

***

(١) التظت النار تلهّبت .

(٢) هيما عطاشا ، والنجيع الدم المائل للسواد .

(٣) الغرة الغفلة ، والمشي الدبيب المشي الضعيف البطيء كمشى الطفل والنملة .

(٤) السارب الظاهر الجليّ .

ترى القُوّادَ والوزراءَ صَرْعَى — على عاري الصَّعيدِ[1] مُجَنْدَلينا

يُلاقون الحُتوفَ[2] وما أساءوا — ولا كانوا الجُناةَ الخائنينا

وما من حيلةٍ في التُّركِ تُجدِي — إذا ذَعروا المقانبَ[3] مُقدِمينا

وهل في طاقةِ القُوّادِ شيءٌ — إذا دهموا الجُيوشَ مُطوِّفينا ؟

همُ امتلكوا النُّفوسَ فأخضعوها — وجاءوا بعد ذلك خاضعينا

وهُمْ ساقوا الكتائبَ ثم سيقوا — كأمثالِ العقائرِ[4] مُوثَقينا

ألَحَّ الأُسْرُبُ[5] المسمومُ يَفري — جماجِمَهم ، فخرُّوا هامدينا

يشقُّ لهم عيونَ الصِّدقِ[6] تمحو — حقائقُها ظُنونَ الزّاعمينا

ترى عُقْبى الأذى فتفيضُ غَمّاً — وتَقذِفُ بالنُّفوسِ دَماً سخينا

تَتابعَ من (يدِ الغازي) عليهم — وإن قذفته أيدي القاتلينا

مُثقِّبُ كُلِّ مُعْتصِمٍ وحصنٍ — رماهم في القُبورِ مُثقَّبينا

كذلك وَعْدُ ربِّكَ حين يأتي — ومن ذا يَعصِمُ المُستهتِرينا ؟

***

تَظَلُّ دموعُ (قُسطنطينَ) تَهمي[7] — لِقَتلَى بالدّماءِ مُضرَّجينا

تولّى خَوْفَ مصرعِهِ حثيثاً — وخابتْ حيلةُ المُتربِّصينا

(١) الصعيد التراب والطريق والأرض المستوية ، والمجندل المصروع .

(٢) جمع الحتف وهو الموت .

(٣) جماعات الخيل .

(٤) جمع عقيرة ما عقر من صيد أو غيره .

(٥) الرصاص .

(٦) كناية عن الجراح .

(٧) همت الدموع سالت .

يَذمُّ العرشَ والتّاجَ المُحلّىً ... ويلعنُ قومَه في اللاّعنينا

يَعيبون الفِرارَ عليه ظُلماً ... وأيُّ النّاسِ يُرضي العائبينا ؟

أما كانوا حديثَ الدهرِ لولا ... شرائعُه العُلَى للهاربينا ؟

يجُودُ بعرضِه ويَصونُ منهم ... بقايا العارِ للمُستهزئينا

لئن جَحدوا مناقِبَهُ وكانوا ... يُقيمون المواكبَ شاكرينا

فما جحدت (بلاريسا) الرَّوابي ... ولا الشُّمُّ الفوارعُ من (ملونا)[1]

إذا جدَّ النِّزالُ ارْتدَّ يعدو ... وأقبلَ بالفوارسِ راكضينا

فجاءوا بالنُّفوسِ محُصَّناتٍ ... وقَرُّوا في البُيوتِ مُعسكرينا

فوارسُ لا يَروْنَ الجُبنَ عاراً ... إذا غَنِموا النُّفوسَ مُتاركينا

فما تجنِي هزائمهُم عليهم ... وإن زانتْ سُيوفَ الهازمينا

ولا تمضي مَغانمُهم إذا ما ... مضتْ أسلابهُم في الغانمينا

أ(قُسطنطينُ) مُتَّ ، وما أرانا ... على حُبِّ البقاءِ بخالدينا

كفى بالموتِ صَحْواً للسَّكارَى ... وشكراً للصُّحاةِ المُدركينا

لعلّكَ كُنتَ تَطمعُ في حياةٍ ... يَسرُّكَ طولهُا في المُنظَرينا[2]

ولو أُوتيتَ سؤلكَ لم تَنَلْها ... مطامعَ تصرعُ المُتطاولينا

(بنو عثمانَ) أحداثُ الليالي ... و(مُلْكُ التُّركِ) دهرُ الدّاهِرينا

يَزولُ القومُ بعدكَ من مَوالٍ ... وأحلافٍ ، وليسوا زائلينا

فإن تكُ قد سَبقْتَ ذَويكَ فرداً ... فموعدُهم غداً في اللاّحقينا

***

(١) إشارة إلى فرار قسطنطين بجيوشه التي كان يقودها في الحرب اليونانية السابقة وكان يومئذ وليا للعهد .

(٢) من نظره وأنظره أمهله .

الميثاق المليّ المقدس وآمال الشرق

(حمُاةَ الشّرقِ) بُورِكتِ المواضي ... وطُوبَى[1] للحُماةِ الذّائدينا

أقمتم للأُلَى ظلموا وجاروا ... مآتِمَ تملأُ الدُّنيا رَنينا

وصُنْتُم مجدَكم عن كلِّ عادٍ ... بكلِّ غَضَنْفَرٍ[2] يحمِي العَرينا

أرادوا شأْوَهُ العالي ، فكنتم ... مَواليَهم وكانوا الأسفلينا

لكم نَصرُ الأُلى في (يومِ بدرٍ) ... أُمِدُّوا بالملائكِ مُردِفينا[3]

مَضَى الحكمُ الذي قضتِ المواضي ... فتِلكَ مَصارعُ المُتجبِّرينا

سَلُوا أُممَ المشارقِ ما دَهاها ... وكونوا للمشارقِ مُنقِذينا

تُؤمِّلُ أن يُصانَ بكم حِماها ... ويُوشِكُ ما تُؤمِّلُ أن يكونا

هو (الميثاقُ) ذُو الحُرُماتِ لَسْتُمْ ... طِوالَ الدّهرِ عنه بحائدينا

تَنزّلَ من بقايا الوَحْيِ نُوراً ... يُضيءُ النَّهجَ للمُتَرسِّمينا

وما نَفَعَ النُّفوسَ ولا هَداها ... كنُورِ اللهِ خيرِ المُنزلينا

أرونا البطشةَ الكبرى سِراعاً ... فإنّ لكم لَبطشُ القادرينا

هُمُ اتّخذوا الشُّعوبَ لهم عَبيداً ... وعاثوا في المَمالكِ مُفسِدينا

أقيموا الحقَّ ليس له سواكم ... وَسُوسوا النّاسَ أجمعَ والشُّؤونا

فذلك عَهدُكم للهِ فيهِ ... وللمختارِ عَهْدُ الرّاشدينا

***

(١) يقال طوبى لك أي لك الحظوالعيش الطيب .

(٢) الغضنفر الأسد .

(٣) إشارة إلى قول الله عز وجل «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مُمدّكم بألف من الملائكة مُردفين » أي متتابعين .

قَضيتُمْ (بالكِتابِ) فهل رأيتم ... كآياتِ الكتابِ حِمىً حصينا ؟
وهل نفذتْ قُوى الطّاغين فيه ... ونالت منه أيدي الماكرينا ؟
أَحِصْنَ اللهِ يُوعِدُ(1) كلُّ رامٍ ... ويطمعُ أن يكونَ له مُهينا ؟
وما زَجرَ الحُصونَ الشُّمَّ إلاَّ ... حَفَفْنَ به يَطُفْنَ ويحتمينا
سبيلُ المجدِ إيمانٌ وحقٌّ ... وسَيْفٌ يَردُعُ(2) المتهجِّمينا
يَعِفُّ عن المظالمِ والدَّنايا ... ويرفُقُ بالضِّعافِ الوادعينا
ويجتنِبُ المناهِلَ مُتْرعاتٍ ... تَطيبُ نِطافُها للنّاهلينا(3)
يرى حَرَّ الغليلِ وإن تمادَى ... أحبَّ مَواردِ المُتعفِّفينا
تهيَّبَ رَبَّهُ فازدادَ مجداً ... وكان بكلِّ مكرُمةٍ قَمينا(4)
يُشيرُ فتفزعُ الغَبراءُ منه ... ويَفزعُ من شَكاةِ العاتبينا
ويُوهِنُ حادثاتِ الدَّهرِ رُعباً ... ويخشَى أن يُصيبَ الواهنينا
سِلاحُ الحقِّ يقطعُ كلَّ عَضْبٍ(5) ... ويَصدعُ قُوَّةَ المُتهوِّرينا
وما الإيمانُ للأقوامِ إلاَّ ... سبيلُ اللهِ يَهدي السّالكينا
إذا لم يَرْفَعِ البُنيانَ عدلٌ ... هَوتْ جنَباتُه بالرّافعينا
وإن ضاعَ التّعاونُ في أُناسٍ ... عفتْ آثارُهم في الضّائعينا
(بني عثمانَ) رَدَّ اللهُ فيكم ... (خلائفَه) ، وأحيا التّابعينا

(1) أوعده تهدّده .
(2) يكفّ ويردّ .
(3) مترعات مملوءة ، والنطاف الماء الصافي جمع نطفة .
(4) القمين الخليق .
(5) العضب السيف القاطع .

فذلك عهدهم ، لا الأمرُ فَوْضَى ... ولا الدُّنيا بأيدي اللاّعبينا
وتلك شرائعُ الإسلامِ عادت ... تجبُّ شرائعَ المُسْتَعمِرينا
رَفعتُمْ من حضارتِهِ مَناراً ... يَفيضُ شُعاعُه للمُدْلجينا(1)
فأين السُّبلُ بالرُّكبانِ حَيْرَى ؟ ... وأين حَضارةُ المتوحِّشينا ؟

***

التاج البريطاني وأَيْمان المستعمرين

أ (بالتّاجِ المُعظَّمِ) كلَّ يومٍ ... يُراءون الممالكَ مُقسِمينا ؟
وما للتّاجِ في الدُّنيا قَرارٌ ... إذا صَدقَ الأُلى عقدوا اليمينا
يُكفِّرُ من كبائرِهم ويعفو ... وإن أَبَوا الإنابةَ(2) عامدينا
يرى المُستغفرينَ أشدَّ ذنباً ... ويجعلُ رجزَهُ(3) للتّائبينا
هو الإلحادُ إن جنحوا إليه ... فقد علموا جزاءَ المُلحِدينا
ولن ترضى (الجلالةُ) عن أناسٍ ... تراهم في الضّلالةِ سادرينا(4)
تُهينُ (الأنبياءَ) إذا استباحوا ... محارمَها ، وتنفي (المُرسَلينا)
لها في كلِّ مملكةٍ وشعبٍ ... شرائعُ تُعجِبُ المتعبِّدينا
إذا حُمِلَتْ إليها الشّمسُ غُنْماً ... فلا طَلعتْ على المتذمِّرينا
ترى الدُّنيا لها مُلْكاً مُباحاً ... ومَن فيها عِباداً طائعينا
(عُروشُ الأرضِ) إرثٌ في يَدَيها ... و(تيجانُ الملوكِ الأقدمينا)

(1) المُدلج الذي يسير الليل كلّه أو في آخره .
(2) من أناب إلى الله رجع وتاب .
(3) الرجز العذاب أو هو أشده .
(4) السادر المتحيّر والقليل المبالاة .

تروعُ بعرشِ (عُثمانَ) الدَّراري   وتستهوي الشُّموسَ بتاجِ (مينا)[1]

كذلك تخدعُ القومَ الأماني   وتكذبُ تُرّهاتِ المدّعينا

***

مكرهم بالخلافة وسعيهم الدائب لتمزيق المسلمين

أرادوا بالخلافةِ ما أرادوا   وردُّوا المُسلمينَ مُمزَّقينا

يُقيمون الممالكَ واهياتٍ   يَمِلْنَ مع الرّياحِ ويَنْثَنينا

بَنوها أربعاً[2] ولو استطاعوا   لشقّوها ممالكَ أربعينا

يَديِّون الضَراءَ[3] لنا وما هم   وإن خَدعوا الصِّغارَ بضائرينا

إذا دأبَ القضاءُ يُريد أمراً   تقاصرَ عنه سَعْيُ الدّائبينا

تكشّفتِ الأُمورُ لنا ، فلسنا   عن السَّنَنِ السَّويِّ بناكبينا

***

مؤتمر لوزان

وفي (لوزانَ) إذ فَزعوا إليها   وجاءوا بالوُفودِ مُكاثرينا

رأوا ناراً يَطيرُ لها شُواظٌ   تطيرُ له نُفوسُ الموُقِدينا

إذا هاجوا الأُسودَ فأفزعوهم   أهابوا بالممالكِ غاضبينا

وقالوا أُمّةٌ سكْرَى وشعبٌ   يُريد بنا الهَوانَ ويزدرينا

يرى الدُّنيا العريضةَ في يَدَيْهِ   ويَعتدُّ الشُّعوبَ له قطينا[4]

لَعمرُ الكاشِحينَ لقد رَجَعنا   على الأمرِ المدبَّرِ مجُمِعينا

---

(١) الملك منيا أول من وحّد القطرين في مصر الفرعونية القديمة .

(٢) يقصد الشاعر بذلك تقسيم الشام إلى سوريه وفلسطين ولبنان والأردن .

(٣) يمشون مستخفين للختل والمخادعة .

(٤) القطين هنا الخدم .

فيا لكِ صخرةً صمّاءَ تأبى   جَوانبُها على المُتمرِّسينا[1]

تمادَوْا في الوعيد وسيَّروها   دَعاوَى تُضحِكُ المتأمِّلينا

فما سَمِعَ الأُسودُ لهم عُواءً   ولا خافَ الذُّبابُ لهم طنينا

يَسدُّ وَقارُ (عِصْمَتَ) مَسْمَعَيْهِ[2]   إذا عَكَفوا عليه مُهوِّلينا

إذا ما الصَّمتُ أعجبه تولّى   به صَلَفٌ يَهولُ السّائلينا

فلا صَيْحاتُ (فنزيلوس) تجُدِي   ولا (كِرزونُ) يطمع أن يُبينا[3]

أتَوا مُتفائِلينَ لهم ضَجيجٌ   فَردَّ جمُوعَهم مُتطيِّرينا

إذا راضوه أعجزهم شِماسٌ[4]   يُطيلُ ضَراعَةَ المتكبِّرينا

***

المؤتمرون في الحفلة الراقصة

أما والرّاقصاتِ لقد طربنا   لأنباءِ الحُماةِ الرّاقصينا

أساطينُ الممالكِ حيث كانوا   وساداتُ الشُّعوبِ البائسينا

شرائعُ للحضارةِ نزدريها   وإن فُتِنَ الغُواةُ بها فُتونا

إذا شَربوا الكؤوسَ رَمَى إليهم   بكأسٍ مُرَّةٍ للشّاربينا

وإن شَدَتِ القِيانُ[5] أجال صوتاً   يشُقُّ مرائرَ المُتطرِّبينا

مَقاوِمُ تتركُ الألبابَ حَيْرَى   وتُعجِزُ حيلةَ المُتحيِّلينا

***

---

(١) تلك هي صخرة الحلفاء التي هوّل كرزون بها في المؤتمر ، وتمرّس بالشيء احتكّ به .

(٢) أُذُنَيْه .

(٣) فنزيلوس رئيس وفد اليونان في مؤتمر لوزان ، وكرزون وزير خارجية انجلترا (١٩١٩ - ١٩٢٤) رأس مؤتمر لوزان (١٩٢٢ - ١٩٢٣) .

(٤) الشماس للرجل الإباء والامتناع .

(٥) جمع قينه المغنية .

ضحكة عصمت باشا في المؤتمر

تبسّمَ ضاحكاً والأرضُ تعلو ... وتَسفُلُ بالدُّهاةِ العابسينا

فقالوا حادثٌ جَللٌ وخطبٌ ... يُنازِعنا القرارَ ويزدهينا

وطار البرقُ يُنبِيءُ كلَّ شعبٍ ... ويخشى أن يَزِلَّ وأن يَمِينا(1)

يجوبُ الأرضَ مُرتاباً مَرُوعاً ... ويلقى النّاسَ مُتَّهماً ظنينا(2)

وحسبُك رَوْعَةً نظراتُ عينٍ ... ترى (عِزريل) بين الضّاحكينا

***

سعاياتهم في المؤتمر للتفريق بين الترك والروس

سعوا بالرُّوسِ يلتمسون أمراً ... ومَن ذا يتبع الرّأيَ الغبينا ؟(3)

أرادوا بالنّائمِ أن يؤُوبوا ... بأسلابِ الضّراغمِ فائزينا

فما ملكوا (لِعصمتَ) من قيادٍ ... ولا مَلكَ الدُّهاةُ (تشتشرينا)(4)

همُ الأحلافُ نقبلُ ما رضوه ... ونَنقمُ ما أبَوْا في النّاقمينا(5)

تولّى مُلكُ (قيصرَ) والتقينا ... على أطلالِهِ مُتأنِّقينا

هي الدُّنيا الجديدةُ نرتضيها ... على (العهدِ الجديدِ) وتَرتضينا

لكلٍّ من شُعوبِ الأرضِ حقٌّ ... فما بالُ الجُفاةِ الجاحدينا

سنحمي النّاسَ من عَنَتٍ وظُلمٍ ... ونكفِي الأرضَ شرَّ العابثينا

أَمَنْ يبغي السَّويّةَ(6) في بنيها ... كمن يبغِي الشُّعوبَ مُسخَّرينا ؟

***

(1) يكذب .
(2) الظنين والمتهم بمعنى وهو من يُساء به الظنّ .
(3) الرأي الغبين هو الضعيف لا فطنة فيه ولا ذكاء .
(4) رئيس وفد الروس في المؤتمر .
(5) هذا البيت وما بعده إلى آخر الباب مسوق على لسان التحالف التركي الروسي .
(6) الإستواء والإنصاف .

المؤتمر وعصبة الأمم في مشكلة الموصل

أقاموا عُصبةَ الأُممِ احتيالاً ... وجاءوا بالشُّعوب مُخاصمينا

حَلفتُ بمن أضاءَ العدلَ فيهم ... لتلكَ عصابةُ (المُتَلَصِّصينا)

لئن زعموا الأذى والبَغْيَ عدلاً ... فما خَفِيَ الصّوابُ ولا عَمِينا

***

أوهام كيرزون ومزاعمه في المؤتمر

أخا الأُسطولِ ما للتُّركِ حقٌّ ... ولا بك رِيبةٌ في المُنصفينا

يُريدون الحياةَ عُلىً ومجداً ... وتلك مطالبُ (المُتطرِّفينا)

حددتَ(1) القومَ إذ وفدوا سكارى ... وهمّوا بالوفودِ مُعربِدينا

فإنّ لكم لَعُقبى الخيرِ فيهم ... وإنّ لهم لعُقبى الزّائغينا

تورّطتِ الممالكُ في الخطايا ... ونِيطَ بكم جزاءُ الخاطئينا

أيكفرُ بعضُها فيفيضُ زَيْتاً ؟(2) ... ويطغَى بعضُها ماءً وطينا ؟(3)

دَعِ الأُسطولَ يَهْدِ النّاسَ ، وابعثْ ... جُنودَك في المشارقِ واعظينا

أخا الأسطولِ بُورِكَ من مَسيحٍ ... وبُورِكَ في ذويك الصّالحينا

كأنّ اللهَ ربَّكمُ اصطفاكم ... وأنشأكم طَهارَى طيِّبينا

وأفْسَح في السّماءِ لكم ، فكنتم ... ملائكةً إليه مُقرَّبينا

وهبتم للممالك ما تمنّتْ ... وقُمتُمْ في الشُّعوبِ مُهذِّبينا

لكم أُممُ الزّمانِ دماً ومالاً ... وأنتم سادةُ المُترفِّقينا

إذا التّيجانُ عاثَ الفقرُ فيها ... أتيتم أهلَها مُتصدِّقينا

(1) حدّه دفعه ومنعه .
(2) إشارة إلى الموصل .
(3) إشارة إلى مصر .

ملكتم من عطاءِ اللهِ فيهم ... مَقاودَ تملكُ الشّعبَ الحَرونا[1]
فَسُودوا في الممالكِ واستبدُّوا ... بتيجانِ (الملوكِ المُعوزينا)
بكم تحمي (الخلافةُ) جانبَيْها ... وتدفعُ غارةَ المُتحفِّزينا
و(ميراثُ النبيِّ) لكم ، وأنتم ... (وُلاةُ البيتِ) غيرَ مكذَّبينا
خذوا آثارَهُ[2] من غاصبيها ... ولا تَثِقُوا بقولِ المُفترينا
خُذوها للمتاحفِ واجعلوها ... (بلُنْدُنَ) عُرضةً للنّاظرينا
لكم شرفُ المناسبِ في قُريشٍ ... وإن جَهِلتْ ثِقاتُ النّاسبينا
وما ينسى (أبو لهبٍ)[3] بنيهِ ... ولا يأبى ذويه الأقربينا

***

السلطان المخلوع[4]

(سليلَ التّاج) والدُّنيا جزاءٌ ... وعُقبى الأمرِ للمُتدبِّرينا
وما تُبقي الشُّعوبُ على مُلوكٍ ... مَشائيمِ العهودِ مُبغَّضينا
مصيرُكَ للنفوسِ أجلُّ ذِكرى ... وخطبُكَ سُلوةٌ للمؤْتَسينا[5]
أكنتَ ترى الخلافةَ جُحْرَ ضَبٍّ ... غداةَ تُطيعُ أمرَ المُجحرينا ؟[6]
تَذِلُّ وما على الغبراءِ عِزٌّ ... كعزِّكَ لو رأوكَ به ضنينا

(١) المقاود جمع مقود ما تقاد به الدابة من حبل وغيره ، ويقصد الشاعر مقاود الذهب الذي قالوا إنهم وجدوه أنفع سلاح في الشرق .
(٢) المخلّفات النبوية التي طلبها كيرزون .
(٣) رأس الكفر في قريش جاء ذكره في سورة المسد بالقرآن .
(٤) محمد الخامس (١٩٠٩ - ١٩١٨) .
(٥) ائتسى تعزّى وتصبّر .
(٦) أجحر الضبَّ وغيره ألجأه إلى جحره .

وتُذعِنُ للتحكُّمِ فوقَ عرشٍ ... تَدينُ له قُوى المُتحكِّمينا
وتقضي الأمرَ مفسدةً وشرًّا ... ومثلُكَ لا يُطيعُ الآمرينا
أمن يحمي الخلافةَ (خارجيٌّ) ؟ ... لَبِئْسَ الحكمُ حكمُ القاسطينا[1]
(لَفنزيلوسُ) إن صدقوا فتاها ... ومولى حقِّها في الطّالبينا
أعزُّ حُماتِها إن نابَ[2] خطبٌ ... وخيرُ كُفاتِها المُتخيَّرينا
وماذا (للخوارجِ) إن أقاموا ... لها (كيرزونُ) أو (هارِنْجتونا)[3]
مضى بك خاطفُ القرصانِ يعدو ... فلا رجعتكَ أيدي الخاطفينا
أكُنتَ خليفةً أم كنتَ شاةً ... تولّتْ تتبعُ الذّئبَ اللّعينا ؟

***

نُسائلُ عارفاتِ الطيرِ عنه ... ألا أينَ الخليفةُ ؟ : نبِّئينا
تَفيّأَ ظلَّهم فمضوا سِراعاً ... (بظلِّ الله) للمُتفيِّئينا
فما خدعوا الخليفةَ بالأماني ... ولكن غرّهم في الخادعينا
يعدّون الملوكَ لغيرِ شيءٍ ... ويُلقون (الروايةَ) هازلينا
أرادوا عندهم نفعاً وليسوا ... ولو بلغوا المِئينَ بنافعينا
لئن جهِلَ الأُلى نكثوا وخانوا ... لقد علموا جزاءَ النّاكثينا
كأنّي بالصّوافنِ[4] عادياتٍ ... يَنَلْنَ حِمى الملوكِ ويحتوينا
يَدُسْنَ معاقدَ التّيجانِ شتّى ... وينزعنَ العصائبَ يحتذينا
ويطوينَ (الجلالةَ) في جِلالٍ[5] ... نُهينَ لها الجباهَ مُعظِّمينا

(١) الذين يجورون ويحيدون عن الحقّ .
(٢) أصاب .
(٣) هارنجتون رئيس وزراء انجلترا .
(٤) جمع الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم .
(٥) جمع جُلّ وهو ما تلبسه الخيل لتصان به .

وما للمجرمين إذا رأوها … يثورُ غبارُها من شافعينا

(طريدَ اللهِ) هل لك من مجُيرٍ … تلوذُ بركنِه في اللائذينا ؟

أخوفٌ غالَ نفسكَ أم رجاءٌ … رمى بك في الفريقِ المُصْحِرينا[1]

إذا ما جئتَ (مكّة) فانْأَ عنها … مناسكَ لا تحُبُّ الغادرينا

ولا تَزُرِ (البَنِيَّةَ)[2] واجْتَنِبْها … إذا ازدلَفتْ وُفودُ الزّائرينا

وَدَعْ (طه) (بيثربَ) لا تَرُعْها … وقوماً في (البقيع)[3] مُوسَّدينا

ولا تَلْمِمْ (بزمزم) إنّ فيها … لكَ المُهْلَ[4] الذي يشوي البطونا

ولا تَلْمسْ كتابَ اللهِ واخْسَأْ … إذا رفعتْهُ أيدي اللامسينا

وإن طَمحَ الرّجالُ إلى حياةٍ … فغُضَّ الطَّرفَ بين الطّامحينا

وَحسْبُكَ (بالحُسَينْ)[5] خدينَ صدقٍ … إذا استَصفَيْتَ في الدُّنيا خدينا

هوَى الإسلامُ بينكما صريعاً … وطاحَ بَنوهُ حولكما عِزِينا[6]

رماهُ بطعنةٍ صدعتْ قُواه … وجئتَ فنالَ مقدمُكَ الطّعينا

يدٌ عَصفتْ بهامتهِ فمالت … وأُخرى استأصلت منه الوتينا[7]

عفا المهدُ الأنيقُ فصار لحداً … وغُودِرَ في غَيابتهِ رهينا

به انبرتِ القوابلُ فانْتَضته … وفيهِ طوته أيدي الدّافنينا

حنانَك ربَّنا وهُداكَ إنّا … بُرئنا من ذوينا الصّابئينا[8]

---

(١) السائرين في الصحراء .

(٢) الكعبة .

(٣) مدافن المدينة المنورة للعهد الأول .

(٤) المهل ماذاب من النحاس والحديد والقطران وغيره من السوائل المكروهة .

(٥) الحسين بن علي ملك الحجاز .

(٦) جماعات متفرقين .

(٧) عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٨) الخارجين من دين إلى دين آخر .

ديارَ الوحي يُزجي الرُّوحُ منه … كصَوْبِ المُزْنِ مِدراراً هَتونا

يجود رُباكِ مُونِقةً حساناً … ويجري فيكِ سَلسالاً مَعينا

تُضيءُ به الشِّعابُ إذا ادلهمَّتْ … وتكرهُه النُّفوسُ إذا صَدينا

إذا لم يرتعِ الأقوامُ فيهِ … فما عرفوا ربيعَ المُسنِتينا[1]

لَعبدُ (اللاّتِ) أكرمُ فيكِ عهداً … وعبدُ (يغوثَ) ممّن تحملينا[2]

(وحيدَ الدّين)[3] ضجّ الدِّين منها … جرائرُ جاوزت منك المئينا

إذا ما الرأيُ ثابَ إليكَ فاذكر … ذُنوبَك وابكِها في النّادمينا

ودَعْها فتنةً عمياءَ ، واصبرْ … لحُكْمِ اللهِ ، واعصِ المُوعِزينا

***

الخليفة عبد المجيد[4]

(أميرَ المُؤمنينَ) طَلعتَ يُمناً … وكنتَ الخيرَ لِلمُتَيَمِّنينا

وما بَلغَ الجَلالُ وإن تناهى … جَلالكَ في الهُداةِ الطالعينا

لو أنّ البيتَ سار إلى إمامٍ … لجاءكَ بالوفودِ مُهنِّئينا

أتى جبريلُ يَشهدُ حين حيًّا … (رسولُ اللهِ) خيرُ الشّاهدينا

لعمرُ المُنكِرين لقد توالت … بِسُدَّتِكَ[5] الملائكُ طائفينا

---

(١) من أسنت القوم أصابهم الجدب والقحط .

(٢) اللات إحدى إلهات العرب في الجاهلية . كان لها صنم ومعبد في الطائف ، ويغوث اسم صنم من أصنام قوم نوح .

(٣) على أيامه احتلت دول الحلفاء استنبول ووقعت معاهدة سيفر التي سلخت عن السلطنة الدول العربية .

(٤) آخر خلفاء بني عثمان . نصبه الترك الكماليون بعد أن نزعوا عنه السلطة الزمنية عام ١٩٢٢ ثم خلعوه عام ١٩٢٤ .

(٥) السُدّة الرواق .

لئن جحدوا الذي لك من ولاءٍ ... فقد بلغ (الصفّا) وأتى (الحُجونا)[1]

عقدنا العهدَ إيماناً ومجداً ... كذلك عهدُنا في العاقدينا

نُطيعُ من (الخليفةِ) كلَّ أمرٍ ... ونعمل (للخلافةِ) مخلصينا

ولسنا ما دعا الدّاعِي لشيءٍ ... سِوَى الحقِّ المُبينِ بمُؤْثِرينا

يَضِجُّ المُسلمون بكلّ أرضٍ ... يُحَيّون (الإمامَ) مُبايعينا

وما (عبدُ المجيد) بذي خفاءٍ ... ولا هو رِيبةُ المتوهِّمينا

نَمَتْهُ السّابقاتُ من الأيادي ... وَجَرَّبَه الثِّقاتُ مُبالغينا

فما وجدوه إلاّ الخيرَ محْضاً ... ولا اخْتاروه إلاّ مُوقنينا

أقرُّوا المُلكَ فاستعلت ذُراه ... وهمّوا بالخلافةِ ناهضينا

وسنُّوا للخلائفِ ما علِمنا ... فصِينَ الدِّينُ والدُّنيا ، وزِينا

سبيلُ (محُمَّدٍ) وذَوي هُداهُ ... حُماةِ الحقِّ خيرِ المُرْشِدينا

تباعدَ عهدُهم فمشوا إليه ... على (نُورِ الكتابِ) مُسدَّدينا

لِربِّك حُكمُه والأمرُ شُورى ... وتلك حكومةُ المُتحفِّظينا

إذا طَغَتِ السّياسةُ في بلادٍ ... فتلك سياسةُ المُستأثِرينا

وإن زعموا لحُكمِ الفردِ معنىً ... فتلك خُرافةُ المُتألِّهينا

***

مصر تستغيث وتفزع

بني (عُثمانَ) أنتم إن دَعَوْنا ... ذَوِي الأرحامِ خيرُ العاطفينا

فويحي للأُسودِ إذا استباحت ... (حِمَى الحَرَمَيْنِ) أيدي النّاهبينا

أعينوا مصرَ إنّ لِمِصرَ فيكم ... رجاءً تستعزُّ به متينا

(١) الصفا اسم أحد جبلي المسعى والصفا أيضا موضع بمكة ، والحجون موضع بمكة ناحية من البيت ، وقيل جبل بمكة .

نَقومُ بنصرِها ، ونكون فيها ... لأنصارِ الحمايةِ خاذلينا

أضاعوا حقَّها ، وجنوا عليها ... وساموها الهَوانَ مُساومينا

فيا لكِ خُطّةً شططاً ورأياً ... يَقُضُّ[1] مضاجعَ المُتبصِّرينا

إذا جَعلوا العُقوقَ لها جزاءً ... أبَيْنا أن نَعُقَّ وأن نخونا

نخافُ الواحدَ القهّارَ فيها ... ونَرقُبُ وعدَه حتّى يحينا

ذكرتم مصرَ ما نَقعتْ صَداها ... بذكرٍ من بنيها النّاعقينا[2]

أغيثوا أهلَها وتداركوهم ... ولمّا يذهبوا في الغابرينا[3]

أغيثوا أُمّةً فزِعَتْ[4] إليكم ... تهزُّ حُماتَها المُستبسِلينا

أعيدوا النّيلَ سيرته وردّوا ... إلى استقلالِه الشّعبَ الحزينا

أَمِنْ شَرَفِ الخلافةِ أن ترَوْه ... أسيراً في الأداهم[5] أو سجينا ؟

هو الذُّخرُ الثّمينُ ولن تُصيبوا ... كمِصرَ وشعبِها ذُخراً ثمينا

إذا طرقتكمُ الأحداثُ بِتْنا ... قياماً في المضاجعِ مُشفقينا

نُثَبِّتُ مِن جوانِحنا وتهفو ... بهِنَّ زلازلٌ ما يَرْعَوينا

أهاب المُوعدون بنا رُويداً ... فما نفعَ الوعيدُ ولا خَشِينا

***

تقلّب الأهواء وصدق الولاء

نُهينُ النّاكثين ونجتويهم[6] ... ونرفضُ خُطّةَ المُتقلِّبينا

(١) يقضّ المضجع يخشّنه .

(٢) نقع الصدى سكّن العطش وقطعه ، والنّاعقين من نعق الغراب صاح .

(٣) ولمّا يذهبوا أي أنهم لم يذهبوا إلى الآن وأن ذهابهم متوقع ثبوته والغابر الماضي .

(٤) استغاثت ولجأت إليكم .

(٥) الأداهم القيود جمع أدهم .

(٦) نكرههم .

إذا اسْتَعـرَ التَّناحـرُ وارتمينـا   مَشَـوا بـين الصُّفـوفِ مُذَبْذَبينا
تَدورُ قلوبهُـم ، فإذا ظفرتم   تبـاروا بالأكـفِّ مُصفِّقينا
وإن ينـزل بكم خطـبٌ تولَّوْا   يضـجُّ عُواتُهـم[1] في الشّامتينـا
أولئـكَ مُستقَـرُّ الـدّاءِ منّا   متّـى تتلمّسـوا الـدّاءَ الكمينـا
جعلنـا حبَّـكم نُسُـكاً وزُلْفَى[2]   وبعضُ الحـبِّ زُلفَـى النّاسِكينا
ولسنـا بالتِجـارِ نُريدُ رِبْحاً   فيذهـب سعيُنـا في الخـاسرينـا
لنـا الأخـلاقُ نجعلهـا عَتاداً   نَقيهِ من الغوائـلِ[3] ما يقينـا
فما نخشى الخُطـوبَ وإن ألحّتْ   ولا يفنَـى العتـادُ وإن فنينا
إذا عَمَـرَ الخزائـنَ أشعبـيٌّ[4]   فتلـك خـزائـنُ المُتورِّعينـا
ونكتُـم ما نقـولُ فإنْ فعلنـا   فخيـرُ بنـي الكنانـةِ فاعلينـا
وأبعـدُهـم نُفوسـاً عـن ريـاءٍ   وأصبـرُهـم إذا ملّـوا السِّنينـا
يضـجُّ الأكثـرون إذا صَمَتْنـا   وتلـك خلائـقُ المُتبرِّجينـا
عَرَفْنـا حقَّـكم ، وطغَـى أُناسٌ   فما عرفـوا الحُقـوقَ ولا الدُّيونا
ولا حَفِظـوا لِمصرَ سوَى نُفوسٍ   دَأَبْـنَ على الأذَى ما يأتَلينا[5]
يَرَيْنَ ذَهـابَهـا خطبـاً يسيراً   إذا نِلْنَ السَّـلامـةَ أو بَقينا
ومـا قومٌ يكون الأمـرُ فيهم   لِسـادَةِ (دُنشـواي)[6] بسالمينا

***

(١) العُواة الذين يعوون مثل الكلاب والذئاب .
(٢) النسك العبادة ، والزلفى القُربة .
(٣) الدواهي .
(٤) نسبة إلى أشعب اسم رجل اشتهر بالطمع ، وفي المثل أطمع من أشعب .
(٥) ما يُقصّرن .
(٦) الإنجليز ، وحادثة دنشواي مشهورة جاء ذكرها في الجزء الأول من الديوان .

شهداء الحرية وضحايا الظلم في مصر

سلـوا (شُهـداءَكـم) وتـذكّروهـا   مصـارعَ تُفـزعُ المُتذكِّرينـا
سلـوا أين الأُلى هتفـوا لمصرٍ   أفي الأحياءِ أم في البائدينا ؟
سلـوا الأحياءَ والموتـى جميعاً   سلـوا الثّـاوينَ والمتغرِّبينـا
سلـوا الـدُّنيا العريضـةَ أو سلوهم   متـى ساسـوا الممالـكَ مُصلِحينا ؟
عَتَـوْا في الأرضِ والتهمـوا بنيها   فكانـوا وَحشَهـا الجَشِـعَ البطينا[1]
ولـولا ما جنـى السُّفهـاءُ فيها   لما ملكـوا الشُّعـوبَ مُسَيْطِرينا
إذا نزلَ (البريطانـيُّ) أرضاً   فقـد نَزلَ الـرَّدى بالآمنينـا

***

الميثاق الوطني

لنـا الميثـاقُ نَحفـظُـه ، ونمضي   على مِنهـاجِـه في النّاهجينـا
رَضينـا حُكمَـه الأعلى ، فلسنا   إلى حُكمٍ سواهُ بنازعينا[2]
نُبيدُ حوادثَ الأيّـامِ صبراً   ونعصِفُ بالشّـوامخِ ثابتينـا
ونأبـى أن نُغيِّرَ ما عَقَدنا   إذا انقلـبَ الـدُّعـاةُ مُغيِّرينا
نُراقِـبُ حقَّ مِصرَ إذا أُمِرْنا   ونصدُقهـا الـوَلاءَ إذا نُهينا
إذا وَجـدتْ شِفـاءَ الغيظِ فينا   فـزادَ اللهُ غيـظَ المُحنَقينـا
نَصـونُ حِمَـى البـلادِ وإن أُصِبْنا   ونثبُـتُ في الجهـادِ وإن مُحِينا
فذلك (عهدُنـا الأوفَى) لِمصرٍ   وتلـك سبيلُنـا للمُقتَدينا

***

(١) عتوا استكبروا وجاوزوا الحدّ ، والبطين العظيم البطن من كثرة ما يأكل .
(٢) نزع الى الشيء ذهب إليه .

أهاب (المؤمنون) به دُعاءً … تلقّتهُ الجموعُ مؤمِّنينا

يضمُّ كتابُه دُنيا المعالي … ودينَ المجدِ للمتمسّكينا

يُثيرُ الهامِدينَ وهم رُفاتٌ[1] … وينهضُ بالجُذوعِ الجامدينا

كأنّ الكيمياءَ تَسُلُّ[2] منه … عجائبَ سرِّها للعارفينا

تبورُ مذاهبُ الزُّعماءِ إلاّ … إذا جاءوا الرّوائعَ مُعجزينا

وإن وَهَنَ الحُماةُ أو اسْتكانوا … فليسوا في الجهادِ بمُفلِحينا

ولن تلِدَ الحياةُ الخُلْدَ إلاّ … لِمَنْ وُلِدُوا نوابِغَ نابهينا

وفد الحزب الوطني في لوزان وأنقره

أَتوا (لُوزانَ) يلتمسون فيها … دُعاةَ الحقِّ في (المُتآمرينا)

فما رَأَوْا الدُّعاةَ أُولِي وَفاءٍ … ولا وَجَدُوا القُضاةَ بسامعينا

إذا جَدَّ النِّضالُ أَبَوْا عليهم … ومالوا بالمناكبِ هازلينا

أقاموا دَوْلَةً للظُّلمِ أُخرى … وراحوا بالضِّعافِ مُوكَّلينا

فيا لكَ (مَعْرِضاً) ما فاز فيه … سوى (كرزونَ) شيخِ العارضينا

تناهت عبقريّتُه وتمّتْ … براعةُ قومِه المُتفَنِّنينا

يضنُّ بحقِّ مصرَ على بنيها … وما ضنَّتْ على المُتطفِّلينا[3]

ويغضبُ أن يكونَ لها لسانٌ … يُذيعُ شكاتَها في المُشْتكينا

ويَعجَبُ أن يَرى منها رجالاً … يجوبونَ البلادَ مُناضِلينا

فريسةُ قومِه عكفوا عليها … وصَدُّوا عن بنيها الصّارخينا

(١) حطام .

(٢) تنتزع منه وتخرج برفق .

(٣) من تطفّل صار طفيلياً وهو منسوب إلى رجل اسمه طفيل .

أما والمُوجَعِين لقد أصابوا … (بأنقرةٍ) شِفاءَ المُوجَعينا

تولَّوْا بالجراحِ تفيضُ سُمًّا … وما شَعَرتْ نُفوسُ الجارحينا

يَؤُمُّون (المثابةَ) لو أقاموا … شعائرَها لساروا مُحْرِمينا[1]

مُقدَّسةَ المسالكِ والنّواحي … تُضيءُ بمُشرقِين مُقَدَّسينا[2]

تولَّوا بالكرامةِ حِزبَ مصرٍ … وشُدُّوا أَزرَها[3] مُتطوِّعينا

حفاوةُ قومِنا ، وقِرى ذَوينا … وعَطفُ الأُخوةِ المتودِّدينا

نَحُلُّ ديارَهم ، فنزورُ منهم … مَساميحَ النُّفوسِ مُحبَّبينا

ونَنْأى ، والقلوبُ هوىً وشوقاً … قُلوبُ الجِيرةِ المُتزاوِرينا

وحَسْبُكَ نَجدةً ودفاعَ خطبٍ … إذا عَقَدوا اليمينَ مُعاهِدينا

نَجيءُ ببيّناتِ الحقِّ تَتْرَى[4] … ويأبى باطلُ المُتخرِّصينا

سَيعلَمُ قومُنا أنّا وَفَيْنا … وأنّا قد كَفَيْنا ما يَلينا

حَفِظنا العهدَ غيرَ مُذمَّمينا … وأدَّيْنا الأمانةَ مُحسِنينا

إذا استبقَ الرِّجالُ السُّبْلَ شتّى … فإنّ لنا سبيلَ المُهتدينا

ومَن يَعملْ لأجرٍ يبتغيهِ … فعندَ اللهِ أجرُ المُتّقينا

***

نشرت في كتيّب عام ١٩٢٣ .

(١) المثابة مجتمع الناس ومرجعهم وفي القرآن (وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمنا) ، والمحرم هو الذي يحرم للحج .

(٢) من قدّس الله فلانا طهّره وبارك عليه .

(٣) الأزر الظهر .

(٤) تتتابع .

الصَّنم

أقول للقوم إذ طاح اللَّجاجُ[1] بهم ... لا تطلبوا حكماً ، ميثاقُنا الحَكَمُ

أتغضبون إذا لم يَرْضَ باطلَكم ... قاضٍ من الحقِّ ترضَى حكمَه الأُمَمُ ؟

ما الجِدُّ والهزلُ في ميثاقنا شَرَعٌ[2] ... ولا الوجودُ سواءٌ فيه والعدمُ

يا سعدُ[3] ما راعني ما نِلْتَ من خطرٍ ... وإنّما راعني أن يُعبَدَ الصَّنَمُ

أفي الكنانةِ والإسلامُ حائطُها ... للجاهليَّةِ من أعلامها حَرَمُ ؟

ماذا تخافُ إذا لم تخشَ عاقبةً؟ ... لا أنتَ جانٍ ، ولا الديّانُ[4] مُنتقِمُ

كُنْ كيف شئتَ ولا تعبأْ بمُعترضٍ ... الشَّعبُ مُستسلِمٌ ، والأمرُ مُنتظِمُ

***

- يناير ١٩٢٤ -

(١) التمادي في الخصومة .

(٢) سواء .

(٣) الزعيم سعد زغلول .

(٤) من أسماء الله عزَّ وجلَّ .

مهزلة النواب

على لسان قصّاب رشحه حزب الوفد المصري للنيابة عن الأمة في مجلس النواب

خُذوني إلى دار النيابةِ وَاسْألوا ... (ضحاياي) عن بأسي وصِدقِ بَلائي

كأنّ صُفوفَ القومِ في جَنَباتِها ... إذا جَدَّتِ الهيجا[1] صَفيفُ شُواءِ

***

- يناير ١٩٢٤ -

(١) الهيجا والهيجاء الحرب .

يوم السّبت (1)

سأُتبع يومَ السَّبتِ ما عِشتُ لعنةً ... يَطيرُ بها عادٍ من الدّهرِ ضابحُ[2]

يحيدُ فتلقاهُ ، وينأى فتنتحي ... تُدافِعهُ عمّا انتوى وتُكافحُ

يظلُّ كذي الذّنبِ الطّريدِ انبرت له ... عصائبُ شتّى شرُّها مُتطايحُ[3]

إذا ما ارتمى في الأرضِ ضاقت فِجاجُها ... وعضّت عليه سُبلُها والمنادحُ[4]

هو اليومُ يومُ الشُّؤمِ ضَجَّ نذيرُه ... ومرَّ به طيرٌ من النّحسِ بارحُ[5]

رمَى مصرَ بالنّكباءِ، وانْسابَ ناجياً ... كما انسابَ عِفريتٌ من الجنِّ جامحُ

فيا لكَ من رامٍ عنيفٍ ، وهَدَّةٍ ... هي الموتُ إلاّ ما تبجّحَ مازحُ

يقولون نُوّابٌ، ودارُ نيابةٍ ... ومُلكٌ، ودستورٌ من الحقّ واضحُ

وحُكّامُ عدلٍ شائعٍ، ووزارةٌ ... هي الشّعبُ،أورُوحٌ من الشّعبِ صالحُ

وساوسُ أقوامٍ مهاذير[6]، ماهم ... من الرأي هادٍ، أو من اللُّبِّ ناصحُ

يُنادون باستقلالِ مصرَ ودولةٍ ... من الوهمِ لم يَبْلُغْ بها السَّمعَ صائحُ

(١) هو يوم افتتاح البرلمان الأول في ١٥ مارس ١٩٢٤ في ظلّ الاحتلال الانجليزي وكان سعد زغلول يتولى رئاسة وزارة الأغلبية آنذاك . ويعتبر افتتاح البرلمان نجاحاً للسياسة الانجليزية التي كانت تهدف إلى تخريج سياسيين مصريين مزودين بسلطات لا تناقش تخولهم ربطبلادهم مع بريطانيا بأية ارتباطات يراها الانجليز .

(٢) من ضبح صوّت .

(٣) عصائب جمع عصابة الجماعة من الرجال ، ومتطايح مُتطاير مُهلِك .

(٤) الأراضي الواسعة البعيدة .

(٥) الطير البارح الذي يمرّ عن يمينك .

(٦) جمع مهذار الهاذي أي الذي يخلطفي منطقه ويتكلم بما لا ينبغي .

كأنّ الألى جاءوا بها جاوزوا المَدى ... كأنّ الذي لا يَقبلُ الزُّورَ كاشحُ[1]

كأنّ نُفوسَ القومِ سَكْرَى، كأنّها ... خَيالٌ تُناجيه النُّهى والقرائحُ[2]

كأنّ الذي يشدو بمكروهِ ذكرِها ... وذكرِ الألى غشّوا بها الشّعبَ نائحُ[3]

أُسائلُ نفسي وَهْيَ وَلْهَى من الأسى ... أرائكُ مُلكٍ ما أرى أم مَذابحُ ؟

ألا إنّه يومٌ عصيبٌ، وموقفٌ ... رهيبٌ، وخطبٌ للكنانةِ فادحُ

فلا مرحباً بالسّبتِ إن حانَ حينُه ... فذلك يومٌ أغبرُ الوجهِ كالِحُ[4]

تُسائلني الأيّامُ عُذراً ، ولا رضَى ... ولا عُذرَ حتّى يمسحَ السّبتَ ماسحُ

جزى الله(سعداً) إنّها شهواته ... طغت ريحُها ، فالشرُّ غادٍ ورائحُ

أباحَ حِمَى مصرٍ وسودانِها معاً ... فأمعنَ مُغتالٌ ، وأوغلَ طامحُ[5]

يُسامِحُ أعداءَ البلادِ، ويعتدي ... على قومِه ، شرُّ الحُماةِ المُسامِحُ

***

٢٠ مارس ١٩٢٤ -

(١) الكاشح العدوّ الباطن العداوة .

(٢) العقول والطبائع .

(٣) باكٍ .

(٤) عابس .

(٥) جامح .

بطل المفاوضة والشعراء [1]

ما لي دعوتُ فلم أجِدْ ... في الشّعبِ أجمعَ من مجُيبْ ؟

ذَنبي إليه أمانةٌ ... هي عنده شرُّ الذُّنوبْ

الحقُّ أنّ سَبيلَنا ... خَطِرُ المطامعِ والدُّروبْ

عَقَرَ المطيَّ وطَاحَ بالـ ... ـرُكبانِ من فرطِ اللُّغوبْ [2]

تتساقط الشُّهداءُ فيـ ... ـهِ تَساقُطَ الزَّهرِ الرَّطيبْ

يرِثُونَ ما في الحورِ والـ ... ـولدانِ من حُسْنٍ وطيبْ

لكنّه دينُ الرّئيـ ... ـسِ ، وحُكمُ كلِّ فتىً مُصيبْ

حُبُّ الرئيسِ وحزبِه ... مِلءُ الجوانحِ والقُلوبْ

هو عُدّةُ الشّعبِ الأبـ ... ـيِّ ، وعِصمةُ الوادي الخصيبْ

نَرمِي بهِ غِيَرَ الزّما ... نِ ، ونتّقِي شرَّ الخُطوبْ

بَطلُ المفاوضةِ المخو ... فُ ، ولَيْثُها الخَطِرُ النَيوبْ [3]

لا بالصَّدوفِ إذا تحا ... جزتِ الكُماةُ ، ولا الهَيُوبْ [4]

ما (للخياليّين) في ... تلكَ المناقبِ مِن نَصيبْ

---

(١) إشارة إلى قول سعد وأعضاء حزبه إن الحزب الوطني جماعة من الشعراء والخياليين .

(٢) التعب والإعياء .

(٣) الأسد الغليظ الناب .

(٤) الصدوف الكثير الإعراض والإنصراف ، وتحاجز تدافع ، والكماة الشجعان جمع كميّ ، والهيوب الخائف الخذر .

مَن علَّمَ الشُّعراءَ تَدْ ... بِيرَ الممالكِ والشُّعوبْ ؟

هُمْ عُصبةُ الطَّمعِ الخَدو ... عِ ، وشيعةُ الأمَلِ الكَذُوبْ

زَعَموا الجلاءَ محُقّقاً ... واللهُ علاّمُ الغُيوبْ

نحنُ الضِّعافُ ، ولِلعَدُوِّ ... صَرامةُ[1] الأسَدِ الغَضُوبْ

الجَيشُ صَعبُ البأ ... سِ ، والأسطولُ مَرهوبُ الوُثوبْ

أينَ البوارجُ والكتا ... ئبُ للمعاركِ والحروبْ ؟

صَدَقَ الرّئيسُ وجاءَ في الـ ... إقناعِ بالعجبِ العَجيبْ

يا سُوءَ مُنقلَبِ الرّئيـ ... ـسِ وحِزبِه الفَرِحِ الطَّروبْ

اليومَ تهنئةُ العرو ... سِ ، وفي غدٍ شَقُّ الجيوبْ

***

-١٩٢٤-

---

(١) الصرامة القسوة والشدّة والصارم يطلق على الأسد .

الرغبات والتحفظات

لئن ظهرت لنا (رَغَباتُ) قومٍ … لقد ضاقَ (التحفّظُ) بالبقايا
تَلوذُ بموضعِ الكِتمانِ حَيْرى … وتَقذِفُها الضمائرُ والطّوايا
ومَن زعمَ الزُّجاجَ يكون حُجباً … فقد زَعَمَ الشُّموسَ من الخفايا
فقل (للوفد) كيف سُحِرتَ حتّى … ذَهلتَ عن الحوادثِ والوصايا
ألا لله دَرُّكَ حين تمشي … على الجسرِ المُقامِ من الضّحايا
وما الزّعماءُ إلاّ في ضلالٍ … إذا جعلوا الشُّعوبَ لهم مطايا
إذا طلبوا المغانم لم يبالوا … بما تَلْقَى البلادُ من الرّزايا
وَفَيْنا بالعُهودِ ، فضجَّ قومٌ … يَعُدّونَ الوفاءَ من الخطايا
تتابعتِ السِّهامُ فما رأينا … سِوَى مُهجِ الرُّماةِ لها رمايا
كأنَّ الحقَّ مَقْتَلُ كلِّ نفسٍ … فمن يَضرِبْهُ لا يُوقَ المنايا[1]
وليس الشُّؤمُ فيما نال علمي … سوى شُؤمِ الضّرائبِ والسّجايا[2]
وما نكبت مواليَها المعالي … كما نكبت مواليَها الدّنايا
نريد الغايةَ القُصوى لمصرٍ … ويطلبُ غيرُنا (بعضَ المزايا)
أتسألُ فيمَ تختلفُ المساعي ؟ … وتعجبُ كيف تَلتبسُ القضايا ؟
رُويدكَ سوف تُنبئُكَ اللّيالي … فتعلمَ ما تُكِنُّ من البلايا

***

- ١٩٢٤ -

(١) ضربُ الحقَّ أقامه ونصبه من ضرب الصلاة أقامها وضرب الخيمة نصبها ، ويُوقَى من وقاه الله السُّوء صانه وستره عنه .

(٢) الضرائب جمع ضريبة وهي الطبيعة والسجيّة .

دلوا الزعيم على السبيل(١)

يا قومُ ما ذنبُ الرّئيسِ … إذا تمسّكَ بالدّليلْ ؟
ما كان من رُسلِ الخيا … لِ ، ولا دُعاةِ المستحيلْ
إنجيلُه نَشْرُ السّلا … مِ ، ودينُه أَخْذُ القليلْ
(سعدٌ) رسولُ الخيرِ والإصـ … ـلاحِ ، بُورك من رسولْ
ما النّيلُ ؟ ما السُّودانُ ؟ ماط … ـولُ التوجُّعِ والغليلْ ؟
ما الملحقاتُ ؟ وما الجـ … ـلاءُ ؟ وما التّمادي في العَويلْ ؟
يا قومُ لُوذوا في الجِدا … لِ بحكمةِ الرأيِ الأصيلْ
صَدقَ الرّئيسُ ، فقدِّسـ … ـوهُ ، ونزِّهوه عن المثيلْ
أيصيحُ صائحكم بما يُؤ … ذيهِ من قالٍ وقيلْ ؟
ويَرى عليه لنفسه … حقَّ الزّميلِ على الزّميلْ ؟
الله أكبر ما لكم … لا تبتغون ذوي العقولْ
يا معشرَ الشُّعراءِ لَسْـ … ـتُم بالثِّقاتِ ولا العُدولْ
لا تطمعوا في شعبِ مصـ … ـرَ ، فليس بالشّعبِ الجَهولْ
هو ما يقولُ زعيمُه … ويريد من أَرَبٍ وَسُولْ
هو لا يضنُّ بألفِ مصـ … ـرٍ في الفداءِ وألفِ نيلْ
فدعوا العَناءَ ، وآمنوا … بزعامةِ الشّيخِ الجليلْ
نِعمَ الزّعيمُ شِعارُهُ … دُلّوا الزّعيمَ على السّبيلْ !!

***

- ١٩٢٤ -

(١) كان سعد زغلول يردّ على نواب الحزب الوطني في دار النيابة بقوله (دلّوني على السبيل) .

من مصر إلى لبنان (1)

لِمَن دمٌ في مَغانِي الحيِّ مطلولُ(2)
يبكي عليه هوىً في السِّربِ مخذولُ ؟

أطمَعْنَ ذا الشّوقِ حتّى لم يَدَعْ أملاً ... ثُمَّ انصرفنَ وما فيهنَّ تأميلُ
يُحدِثنَ في الحبِّ ديناً كلُّه بِدَعٌ ... والحبُّ دينُ الهُدى ما فيه تبديلُ
يا ساريَ البرقِ هل لي منك راحلةٌ ؟ ... أم أنتَ عن دارِها بالشّامِ مَشغولُ؟
حمَلتُ حُرَّ الهوى والشّوقِ في كَبِدٍ ... وَلْهى ، يَلوذُ بها حرّانُ متبولُ(3)

يا قلبُ وَيحكَ لا (الأردنُّ) طوعُ يدِي
إن جئتَ مُستَسقياً يوماً ولا (النّيلُ)

مالي وللماءِ ما تجري جداولُه ... إلاّ جرى بالمنايا فيه (عزريلُ)؟!
أهتاجُ للموتِ يغشاني ويُمسِكني ... أنّي على ظَمَئي والوِردُ(4) مقتولُ
يا طائرَ الشّامِ هزّتهُ خمائلُه ... رأدَ(5) الضُّحى، واستخفّتهُ الأظاليلُ
هيّجتَ في النّيل طيراً ما بأيكتهِ ... لينٌ ، ولا عُودُه ريّانُ مَطلولُ(6)

(1) نظمت هذه القصيدة جوابا على قصيدة لشبلي ملاط نشرتها جريدة البرق إحدى جرائد سورية يقول في مطلعها :
هي المواطن حتى انقضّ زغلول ... في النّيل كالباز فَلْيَستبشرِ النّيلُ
(2) هُدر أو لم يُثأر له .
(3) المراد القلب والمتبول من تبله أسقمه وأفسده .
(4) القوم الواردون الماء .
(5) رأد الضحى وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .
(6) أصابه الطلّ وهو النّدي .

يَستشرِفُ الطّيرَ تستهوي عصابتَها(1) ... عمياءُ آفاقُها غُبْرٌ مجاهيلُ
أسرى القطا حين تستغشي غياهبَها(2) ... وانِي المطارِ، وأهدى الجنِّ ضِلّيلُ
ما ينتحِي القَدرُ الجاري بها أمداً ... حتّى يكونَ له ردٌّ وتحويلُ
ماذا يرى النّاسُ في شَعْبٍ تُهدِّمُه ... أهواءُه ، وتُعفّيهِ الأباطيلُ ؟
إلاّ يكن طَللاً يُشجيكَ دارسُه ... فإنّه منزلٌ بالسُّوءِ مأهولُ
كأنّهُ حينَ غالتهُ عَمايتُه ... على الهوانِ وحُبِّ الضّيمِ مجبولُ
مَشى به الجِدُّ، ثم ارتدّ مُنقلِباً ... فَعَلَ النّزيفَ به من دائهِ غُولُ

ألقى به الشُّؤمُ في هَوجاءَ ليس بها
إلاّ اللّجاجُ ، وإلاّ القالُ والقيلُ

طاشتْ به تُرّهاتُ اللاّبسين له ... ثوبَ الرِّياءِ ، وغرّته التهاويلُ
صاحَ النّذيرُ فلم يفزعْ لِصيْحتِه ... إلاّ السّماواتُ لمّا اهتزّ (جبريلُ)
مَن لي بقومٍ إذا ساروا لِطِيَّتِهم(3) ... ساروا سواءً ، فلا نُكْبٌ ولا ميلُ ؟
مَن علّمَ القومَ أنّ الجِدَّ تصديةٌ ... لِلاّعبين ، وأنّ المجدَ تضليلُ ؟

ما انفكّتِ اللَّقوةُ الشّقواءُ جائلةً
في الجوِّ حتّى ثوى في الوكرِ (زغلولُ)(4)

تَفدِي الجِواءَ إليهِ وهو مُنكدِرٌ ... دامِي الجناحِ على النّكباءِ محمولُ
ترمِي به كلُّ خفّاقِ المدى قَذِفٍ ... ما تنتهي سعةٌ منه ولا طولُ
حتّى إذا خرَّ طارتْ حول موقعِه ... هلكَى النّفوسِ ، وضجَّ العصرُ والجيلُ

(1) العصائب جمع عصابة وهي الجماعة من الطير .
(2) والقطا جمع قطاة طائر في حجم الحمام وقد يطلق الحمام عليه ، واستغشى ثوبَه وبثوبه تغطّى به ، والواني الضعيف .
(3) الطِّيّة الحاجة والوطر أو الضمير والنية ، يقال مضى لطيته أي لنيّته التي نواها .
(4) اللّقوة يفتح اللام وكسرها العقاب الأنثى ، والشقواء الشقيّة .

أمـا لِقومـي وإن جلَّـتْ مُصيبتُهم … إلاّ التّغـاريدُ تُزجَـى والتّهاليلُ ؟

(روايةٌ) في شُعـوبِ الشّرق رائعةٌ … لهـا على مَلعـبِ الأجيالِ (تمثيلُ)

يا (سعـدُ) عَلِّلْ نُفـوسَ القـومِ ثانيةً … إن كان يَنفـعُ بعـدَ اليومِ تعليلُ

قُلْ للمحامـين رُدُّوا من أَعِنَّتِكم[1] … ضَاعَ الحِمَى، وَاسْتُبيحَ اللَّيْثُ والغيلُ

وَيْلي على الفارسِ المِغوارِ إذ حَسرتْ … عنه الـدُّروعُ ، وخانتـه السَّرابيلُ[2]

دَارتْ رَحَى الحربِ فينـا دَوْرَةً عجباً … فارتـدَّ مُسْتَبسِـلٌ، وانقضَّ إجفيلُ[3]

إنّـي نصحتُ لِقومـي قبلَ مَصرعِهم … لـو أنّ نُصـحَ ذوي الألبـابِ مقبولُ

مالي وللشّعـر ، هل تَهـدي رَوائِعُه … مَـن ليس يَهْديه (قُـرآنٌ) و(إنجيلُ)؟

ليسـوا بِقومِـي إن طَالتْ جهالَتُهم … وظَـلَّ يخدعُهـم ظنٌّ وتخييلُ

قَومِـي الأُلَى لا غطـاءٌ فوق أَعيُنِهم … ولا حجابٌ على الألبـابِ[4] مسدولُ

يا وَيْحَ للشرق ، هل قامـت به أُمَمٌ … تَستنفِـدُ العـدَّ، أم قامـتْ تَماثيلُ؟

سالـت عليهـم ذِئابُ الغَـرْبِ تأكلُهم … كذلكَ العاجـزُ المغلـوبُ مأكولُ

أَقـولُ للقـومِ فوضَى في مَذاهبِهم … سِيرُوا على سَنَـنِ[5] الأحياء أو زُولوا

لوذوا بركنٍ من الأخـلاقِ مُمتنعٍ … تَهـوي الفيالـقُ[6] عنـهُ والأساطيلُ

لا هُمَّ أدرِكْ شُعوبـاً بَاتَ يُرمِضُها[7] … عَيْشٌ لهـا في رُبـوعِ الشّرقِ مملولُ

لا هُمَّ إن تكُنِ العُقبَـى لِمُحتَسِبٍ … فَهَـبْ لنا الصبْـرَ حتّى يُدرِكَ السُّولُ

***

١٩٢٤

(١) الأعنة جمع العنان وهو سير اللجام سُمّيَ بذلك لأنه يعترض الفم فلا يلجه .
(٢) جمع سربال وهو القميص وقيل الدروع .
(٣) الإجفيل الجبان .
(٤) العقول جمع اللُّب واختص بالعقل الخالص من الشوائب أو ما ذكا منه فكل لُبٍّ عقل ولا يُعكس
(٥) السنن الطريقة .
(٦) جمع الفيلق الجيش العظيم .
(٧) أرمضه أوجعه أو أحرقه غيظاً .

عهد الله[1]

أميطـي الغيبَ ، وادّرعـي الشُّهودا … فمـن نَفَحـاتِ عهـدِكِ أن يعودا

ومـا بالسمهـريِّ[2] يغيـبُ عيبٌ … إذا سكنَ الجـوانـحَ والكُبودا

وهـل بالسَّهـمِ نُكرٌ حـين يمضي … فيُؤثِـرُ في مـواقعـهِ الرُّكودا ؟

لأَنـت سلاحُ كلِّ فتـىً أبيٍّ … يَصـولُ ، فيصرعُ البطـلَ النَّجيدا[3]

يَحيدُ عَنِ الكريهـةِ[4] كلُّ وانٍ … وتَمنعـهُ الحميَّةُ أن يحيدا

حثيثُ الـكرِّ يستبـقُ المنايا … إذا الفَـرِقُ الهَيُوبُ مشَى الوئيدا[5]

تضيقُ به الوغـى ضربـاً وطعناً … ويعتنـقُ[6] الفـوارسَ مُستزيـدا

وليدُ عَجاجـةٍ ، وعقيـدُ طاوٍ[7] … يَصيدُ عِنـانُـه الأجـلَ الصَّيودا

***

رِدِي الغَمَـراتِ ناراً أو ذُعافاً … وذُودِي القـومَ إذ كرهـوا الوُرودا

إذا ظَمِئَـتْ نُفوسُهُـمُ ارتوينـا … وروَّينـا الأعِنَّـةَ والبُنودا[8]

(١) قيلت تحيّة لجريدة الأمة بمناسبة استئناف صدورها بعد تعطيلها .
(٢) الرمح الصلب .
(٣) النجد الشجاع الماضي في ما يعجز غيره .
(٤) الشدّة في الحرب .
(٥) الفرق الشديد الفزع الجبان ، والهيوب الذي يخاف الناس ، ومشى الوئيد أي متثاقلاً .
(٦) يأخذهم بأعناقهم .
(٧) العجاجة واحدة العجاج الغبار والدخان ، والطاوي الضامر من الخيل
(٨) جمع بند العلم الكبير .

مناهلُ تُنكِرُ الوُرّادَ إلاّ ... إذا شربوا الرَّدى عالين صيدا[1]

خُذي بِنُفوسنا إذ كلُّ نَفْسٍ ... تَظُنُّ الجُبنَ يُورِثُها الخُلودا

نَجودُ بها إذا الأقوامُ ضَحُّوا ... بمصرَ ونيلِها كَرَماً وَجُودا

ونَنهضُ لِلجهادِ إذا تَولَّوْا ... وظَلُّوا في مجاثِمِهم قُعودا

تهادوا (بالحماية) في رِداءٍ ... يُريكَ بَياضُه الأحداثَ سودا

وزَفُّوها مُقَنَّعةً فزفُّوا ... بها الأغلالَ شتَّى والقُيودا

لئن حَملَ الحِمايةَ جاليُوها ... لقد حملوا المَنايا واللُّحودا

هتكنا الحُجْبَ والأستارَ عنها ... ومزّقْنا المطارفَ والبُرودا[2]

فتلك مخالبُ الأغوالِ فيها ... وأنيابُ الأُلى غلبوا الأسودا

عَصَيْنا مِصرَ إن عَدَتِ العوادي ... فلم نَعْصِ الهَوادةَ والهُجودا[3]

ولسنا صُفْوةَ الأعلامِ فيها ... إذا لم نَمنعِ العَلَمَ المجيدا

***

أَبيدِي الغدرَ، واكْتسحي الجُحودا ... وزيدِي جَدَّنا الأعلى صُعودا

نَهِينُ الغاصِبينَ إذا استَبدُّوا ... ونأبى أن نكونَ لهم عبيدا

ونَفْدِي مِصرَ بالمُهجاتِ تُزْجَى ... إذا زَجّوا الكتائبَ والجنودا

حَفِظنا حُرمةَ الأبناءِ فيها ... وأكرمنا الأُبوّةَ والجُدودا

***

بلادَ النّيلِ من يَجزيكِ شرًّا؟ ... ومن يأبى لشعبكِ أن يسودا؟

دعِي المُتهيِّبينَ، ولا تخافِي ... على استقلالِك الخَصْمَ العنيدا

***

(١) جمع أصيد الذي يرفع رأسه كبرا .

(٢) المطارف جمع مطرف الرداء من خزّ ذو أعلام ، والبرود جمع بُرْد الثوب المخطط .

(٣) الهوادة اللين والرفق ، والهجود النوم .

إلينا إن نَقِمتِ الغَدرَ منهم ... وأنكرتِ التَّجهُّمَ والصُّدودا

إلى أعلامكِ الشُّمِّ الرّواسي ... إذا ما همَّ رُكنُكِ أن يميدا

هَبِي شرَفَ الحياةِ لنا، فإنّا ... مَنحناكِ المواهبَ والجهودا

نَخُصُّكِ بالوَلاءِ المحضِ منّا ... ونُؤثِرُ بالهَوى الشّعبَ الوَدودا

فمن يَطلبْ من الأقوامِ عهداً ... فإنّ اللهَ قد أخذَ العهودا

***

يوليو ١٩٢٤ -

لواء الله (1)

(لِـواءَ الله) بُورِكَ مِن لواءِ ... وهـل بجنـودِ ربّـكِ من خَفاءِ ؟

تُظلِّلُهـا الملائـكُ حـين تمشي ... وتقـدمهـا صُفُـوفُ الأنبيـاءِ

إذا ما النّصرُ أظلمَ جانباهُ ... تَبلّـجَ في كتائِبهـا الوِضاءِ(2)

كتائـبُ تركبُ الأقـدارَ خَيْلاً ... وتَتّخِـذُ المعاقِـلَ في السّماءِ

تَسُـلُّ سُيوفَهـا ، فَتَـكِلُّ عنها ... مَضـاربُ كُلِّ أَشطـبَ ذِي مَضاءِ(3)

جِهـادٌ تقـذف الآياتُ فيهِ ... بِـكلِّ مُدمِّـرٍ عَجِـلِ الفَنـاءِ

تطـايَر بالكتـائـبِ والسّرايـا ... فغادَرهـا كمنتشـرِ الهباءِ

يَشُـقُّ جَوانِـحَ الشُّـمِّ الجواري ... ويعصفُ بالسَّوابحِ في الجِواءِ(4)

حُمـاةَ الحـقِّ صُدُّوا كلَّ عادٍ ... ورُدُّوا المُبطلـين عن الهُراءِ(5)

وَصُونـوا الشَّعـبَ عن أهـواءِ قومٍ ... أضاعـوهُ بمُنقطـعِ الـرّجاءِ

يَصيحُ به الحُماةُ وقـد تردَّى ... بمَذْأَبـةٍ تجَـاوبُ بالعـواءِ(6)

أقـام بهـا يُصانِـعُ كلَّ طاوٍ ... شـديدِ الختـلِ ، مُستعـرِ الضَّراءِ(7)

---

(1) قيلت القصيدة تحية لجريدة اللواء المصري .

(2) تبلّج أشرق وأضاء ، والوضاء جمع الوضيء النظيف الحسن .

(3) الأشطب السيف .

(4) الجواري السفن الحربية ، والسوابح الطائرات .

(5) الكلام الكثير الفاسد .

(6) المذأبة الأرض الكثيرة الذئب ، وتجاوب تتجاوب .

(7) الطاوي الذي يخفي قصده ونيّته ، والختل الخداع ، ومستعر متّقد ، والضراء الضراوة .

تراه على الـكِلاءَةِ والتَّوَقِّي ... مُلِـحَّ النّـابِ يكرعُ في الدّماءِ(1)

أَغـارَ ، ومـا تَغَيَّـبتِ الدّراري ... وعـاثَ ، ومـا غفـا ليلُ الرِّعاءِ(2)

لَعمـرُ النّاكِثـين(3) لقـد وَفَيْنا ... على ما كان من مَضَضِ الوفاءِ

نَصـونُ لِمصرَ حُرمَتهـا ، ونَحمي ... حقيقَتهـا ، ونَصـدُقُ في الفِداءِ

سَجيَّتُنـا وسنّـةُ مَن وَرِثنا ... مِـن السَّـلفِ المُقـدَّمِ في السَّناءِ

أَئِمَّـةُ نَجـدةٍ ، ودُعـاةُ حقٍّ ... أقامـوا المجـدَ مُمتنِـعَ البناءِ

عليهـم من جلال الـذّكر سُورٌ ... تروعـك منـه سِيما الكبرياءِ(4)

يهـابُ الدّهـرُ جانِبَـهُ، فَيَنأى ... ويُغضِي النَّجـمُ عنـه من الحَياءِ

جَثـتْ هِمَـمُ الخلـودِ على ذُراهُ ... وأقعـت(5) حولـه ذِمَـمُ البَقاءِ

لعمـرك ما حياةُ المرءِ إلاّ ... جَـلالُ الـذّكرِ في شرفِ الجَزاءِ

إذا لم تَبْـنِ قومَـكَ حـين تبني ... فأنـت ومـا تَشيدُ إلى العَفاءِ(6)

***

حُمـاةَ النّيل كيف بنـا إذا ما ... أضـاعَ النّيلَ (وَفـدُ الأدعياءِ)

هُمُ ائتَمـروا بـهِ فَتَداركوهُ ... وَرُدُّوا عنـه عاديَةَ(7) القَضاءِ

أَيذهـبُ بـين (مَأدُبـةٍ) و(أُخرى)؟ ... فَبِئْسَ الضّيفُ ضيفُ (ذَوِي السَّخاءِ)

نُبـاعُ ، ومـا أَتـى الأقـوامَ شرعٌ ... ببَيْعٍ في الشُّعـوبِ ولا شِراءِ

---

(1) الكلاءة الحفظ ، وكرع في الماء مدّ عنقه وتناول الماء بفيه من موضعه .

(2) الرعاء جمع الراعي وهو كل من وَلِيَ أمر قوم .

(3) من نكث العهد نقضه ونبذه .

(4) السيما العلامة .

(5) أقعى في جلوسه تساند إلى ما وراءه أو جلس على إليَتيْه ونصب فخذيه .

(6) الهلاك .

(7) العادية الحدّة والظلم والشرّ ومنها عوادي الدهر أي عوائقه .

فَهلاً إذْ أَبى النخّاسُ[1] أمستْ ... تُسامُ نفوسُنا سَوْمَ الغلاءِ ؟

أَلا لا يطمعِ الأقوامُ فينا ... فلسنا بالعبيدِ ولا الإماءِ

وكيف يُرَدُّ للجهَلاءِ حكمٌ ... إذا جَهِلَ الشُّعوبَ (أولو الدّهاءِ)

لَئِنْ نكَبوا الكِنانةَ حِينَ جاءوا ... لقد نُكِبوا بِشعبٍ ذي إباءِ

(بني التّاميزِ) لا تَثِقُوا بوفدٍ ... يُبايعُكم على صِدقِ الولاءِ

أرى الزُّعماءَ قد لبسوا جميعاً ... لكم ولقومهم ثَوْبَ الرِّياءِ

دَعُوا (رُسلَ الوِفاقِ) وما أرادوا ... فإنّا لا نُريد سوى (الجلاءِ)

لَئِنْ أودى الغليلُ بنا فهذا ... أوانُ الريِّ لِلمُهَجِ الظِّماءِ[2]

***

- ١٩٢٤ -

(١) بيّاع الرقيق .

(٢) العطاش .

تمرُّ بهم مُخيّبةً ، وتأتي ... لها زَفَراتُ مُرتَمِضٍ[1] كئيبِ

نفضتُ الواديَيْنِ فما استفاقوا ... وتلك نكيثةُ[2] الدّاعي المُهيبِ

***

جريدة الأخبار في ١٤ فبراير ١٩٢٦

(١) المرتمض المحترق من الحزن .

(٢) النكيثة أقصى الجهود .

الدفاع الوطني[1]

هذا (الدفاعُ)، وهذه الأجنادُ   أأمِنتَ أن تتوثّبَ الآسادُ ؟
مِصرُ الطريدةُ هبَّ من أعلامها   بطلٌ هَوادتُه وغىً وطِرادُ[2]
مِن جانبِ الغيلِ المنيعِ تتابعت   وَثَباتُه ، وتجاوب الإرعادُ[3]
شَرَعَ التقدُّمَ بالفيالقِ قومُه   فتعلّم الأبطالُ والقُوّادُ
قومٌ إذا لَمعتْ مَفاخرُ بيتِهم   لمعت سيوفٌ في الجهادِ حِدادُ
كشفوا الظّلامَ ، فهم نُجومُ هدايةٍ   وَرَسَتْ جوانبُهم ، فهم أطوادُ
لِلشُّمِّ ميعادٌ يجيءُ ، وهذه   ملءُ الحوادثِ ما لها ميعادُ
تَطغَى الزّلازلُ حولَها وتُريدها   فإذا السماواتُ العُلَى أسنادُ[4]
هم في الكنانة (آلُ بدرٍ) ماهم   إلاّ الشّهادةُ مطلبٌ ومُرادُ

---

(١) جريدة سياسية مديرها حسن حسني كامل شقيق الزعيم مصطفى كامل صدرت في ٧ مارس ١٩٢٦ لتكون لسان حال الحزب الوطني آنذاك ، وقدمت الصحيفة هذه القصيدة بقولها (جادت قريحة الشاعر العبقري المعروف من بين شعراء هذا القطر بفيّاض البيان والعبقرية المطبوعة على صوغ لآلىء العقيان ، فأرسل للدفاع تحيّته المملوءة بآيات الوطنية المفرغة في قالب الحكمة التي يعوزها أبناء هذا الوطن تذكاراً للماضي الزاهر ونبراساً في معترك هذا الظرف الحاضر . .) .

(٢) يقال هم فرسان الطراد أي يحمل بعضهم على بعض .

(٣) من أرعده تهدّده وأنزل به الرعدة .

(٤) جمع سند ما يُستند إليه .

إن صال منهم في الكريهةِ مُقدِمٌ   صالَ (الزُّبَيرُ) وأقدم (المقدادُ)[1]
وُلِدُوا حياةً للبلادِ ، فبوركتْ   تلك البطونُ ، وبورك الميلادُ
دَرَجوا على الإيمانِ أبيضَ ساطعاً   لا الكفرُ شِيبَ به ، ولا الإلحادُ
الأمّهاتُ المجدُ حين ولدنهم   والسُّؤددُ الآباءُ والأجدادُ
طُوِيَتْ على أحشاءِ مِصرَ ضُلوعُهم   فالقومُ وِجدانٌ لها وفُؤادُ
عُنوانُها ، والحادثاتُ هَوادةٌ   ومِثالُها ، والحادثاتُ جِلادُ
ولقد أراهم والحياةُ بأسرها   والدّهرُ أجمعُ مأتمٌ وحِدادُ
وأرى بِداري من (عليٍّ) دمعةً[2]   هي للعيونِ الباكياتِ عَتادُ
هاجَتْهُ مصرُ تُضامُ وهي عزيزةٌ   وتُسامُ خَسْفاً ، والحُماةُ شِدادُ
قصفوا بأيديهم سِلاحَ جُنودِها   فَهَوى لها عَلَمٌ ، وخرَّ عِمادُ
فإذا المعاقلُ والحُصونُ مَصارعٌ   وإذا الأسِنَّةُ والظُّبي أصفادُ[3]
حَسَراتُ حُرٍّ لا تُفارِقُ نفسَه   حتّى يُفارِقَ قومَهُ استِعبادُ
أتُرابُ شعبٍ أم تريكةُ ناقفٍ[4]   عَصفتْ بها الأحداثُ فَهْيَ رمادُ ؟
ما الشّعبُ فوضى لا يُصانُ له حِمىً   إلاّ ذُبابٌ هالكٌ وجرادُ

***

---

(١) الزبير بن العوام قرشي من الصحابة شهد بدراً واليرموك وفتح مصر . قتل يوم الجمل (٦٥٦) ، والمقداد بن الأسود صحابي اشترك في يوم بدر وفي فتح مصر .

(٢) إشارة الى اجتماع كان بين على فهمي كامل وبين الشاعر بمنزله جرى فيه ذكر الشؤون المصرية العامة .

(٣) جمع صفد القيد والوثاق .

(٤) التريكة البيضة ينقفها الفرخ أي يثقبها ليخرج منها .

أَسفِي على الوادِي يَنامُ حُماتُه … ويَعيثُ في جَنَباتهِ المُرتادُ

رزقُ الذئابِ أُبيحَ غيرَ مُكدَّرٍ … ومن الشُّعوبِ ضراغمٌ ونِقادُ[1]

الصيدُ من نُسُكِ الحياةِ لِمُتَّقٍ … يخشَى عذابَ الهُونِ حين يُصادُ

فإذا الأُلى زَهدوا كأن لم يُؤمنوا … وإذا الغُزاةُ كأنهم زُهّادُ

دينٌ تتابعَ بالهدايةِ رُسلُه … والأنبياءُ الجِلَّةُ الأمجادُ

أحكامُه الجُرْدُ الصّوافِنُ ترتمي … وحُدودُه الأسيافُ والأجنادُ

والقاذفاتُ[2] من الجحيم صواعقاً … هي للممالكِ والشُّعوبِ حَصادُ

والسّابحاتُ على الغمارِ كأنها … للجنِّ في الحدثِ الجليل مَصادُ[3]

والرّاصداتُ لها[4] تبيتُ عُيونُها … يَقظَى إذا أخذ البِحارَ رُقادُ

والطائراتُ تفوتُ كلَّ مُحلِّقٍ … وتظلُّ ناهضةَ القوى تنطادُ[5]

تلك الحياةُ جرت إلى غاياتها … فاللُّجُّ سُبْلٌ، والرّياحُ جيادُ[6]

وإذا سألتَ عن الصِّعابِ وحكمِها … فالعلمُ للصَّعبِ الأبيِّ قِيادُ

جدَّ (الدّفاعُ) فللكنانةِ حقُّها … والحقُّ يُؤخَذُ عَنوةً ويُعادُ

إنّ الرجالَ مُجاهدٌ لبلادهِ … فادٍ يذود عن الحمى، ويُذادُ

وفتىً ضنينٌ في الجهادِ بنفسِه … سَمحٌ بآلافِ النُّفوسِ جَوادُ

(آلَ الشّهيدِ)[7]، وما دعوتُ سوى الأُلى … هم للبلادِ القادةُ الأنجادُ

---

(١) النقاد صغار الغنم الواحدة نَقَدة للذكر والأنثى .
(٢) المدافع .
(٣) الغمار جمع غمر وهو الماء الكثير ، والمصاد أعلى الجبل يعتصم به والمقصود المراكب الحربية .
(٤) الغواصات .
(٥) ترتفع .
(٦) اللّج جمع اللجّة معظم الماء ، وجياد جمع جواد أي سريع الجرى .
(٧) الزعيم مصطفى كامل .

أنتم أولو الحقِّ المقدَّمِ فانهضوا … بالأمرِ تنهضْ أُمّةٌ وبلادُ

ميثاقُكم مجدٌ لِمصرَ وسُؤددٌ … وسبيلُكم فيها هُدًى ورشادُ

علّمتمُ النّاسَ الجهادَ أذلّةً … والعزُّ بأسٌ صادقٌ وجهادُ

لولا مَواقِفُكم، وصِدقُ بلائكم … تَحمونَ أبناءَ البلادِ لبادوا

أيّامَ يحمي السُّبْلَ ذو جَبريّةٍ … جَمُّ الصَّواعقِ، مُبرِقٌ مِرعادُ[1]

يَقضي على مِصرَ القضاءَ، سَبيلُه … عَسْفٌ، ومِلءُ كِتابهِ استعبادُ

لمّا رَميتُمْ تفتحونَ فِجاجَها … هَوتِ الصُّروحُ، وزالتِ الأسدادُ

فإذا الوقائعُ ما بهنّ مُكذِّبٌ … وإذا الفيالقُ ما لهنّ عِدادُ

وإذا الفتوحُ تحار فيها (جِلّقٌ)[2] … وتغار من أنبائها (بغدادُ)

سكنت رُبَى الوادي المُروَّعِ، وانجلى … فَزَعُ النُّفوسِ، وما انجلى الجلّادُ

أَمِنَ الحُتوفِ لِذي المخافةِ مأمنٌ … ومن الأسنّةِ مَضجعٌ ووِسادُ ؟

باتت عيونُ الجاهلين قَريرةً … والعيشُ هَمٌّ ناصبٌ وسُهادُ

إنّ الأُلى تركوا البلادَ ذليلةً … لَهُمُ الأُلى ملكوا الرِّقابَ وسادوا

أَلِكلٍّ طائفةٍ زعيمٌ صالحٌ … وبكلِّ ناحيةٍ أذىً وفسادُ ؟

يا أُمّةَ الوادي تَموجُ ذِئابُه … ويُجلِّلُ السّارين فيه سَوادُ

هذا إمامُكِ، فاسلكي سُبُلَ الهُدى … نِعمَ الإمامُ الكوكبُ الوقّادُ

سيري على السَّنَنِ السويِّ فإنّه … نورُ (الشّهيد) على المدى يزدادُ

ثِقةٌ وإيمانٌ، وصِدقُ عزيمةٍ … تلك الذخائرُ ما لهنّ نَفادُ

***

٨ مارس ١٩٢٦

---

(١) إشارة إلى جبروت اللورد كرومر وشدّة شراسته في معاملة المصريين .
(٢) موضع في جنوبي سوريا ، حشد فيه البيزنطيون جيشهم قبل مواقعتهم العرب في أجنادين .

بكت القيود وضجت الأصفاد[1] !!

أتنامُ عينُكَ ، والعيونُ سُهادُ ؟ ويقَرُّ جنبُكَ ، والجُنوبُ قَتادُ ؟[2]

قُمْ للدّفاعِ ، فما لقومكَ مُنصِفٌ يُرجَى ليومِ ظَلامةٍ ويُرادُ

الحقُّ بعدكَ مأتمٌ يُطوَى به عِلمُ الشرّيعةِ ، والقضاءُ حِدادُ

والعدلُ سارٍ لا يُضيءُ سبيلَه نورٌ ، ولا ينجابُ عنه سوادُ

ومِنَ المداره[3] للقُضاةِ إذا التوتْ سُبُلُ الظنونِ بهم هُدىً ورشادُ

ضجّتْ لمصرعكَ الكنانةُ ضجّةً كادت تميد لهولها الأطوادُ

لمّا نُعيتَ إلى الممالكِ أجفلتْ (أمُّ القُرى)[4] وتفزّعتْ (بغدادُ)

حملوا على الأعوادِ منكَ بقيّةً خشعتْ لفرطِ جلالها الأعوادُ

ومضوا بعهدٍ للمُروءةِ صالحٍ ألوَى[5] بنضرتهِ بِلًى ونفادُ

فإذا العَتادُ الضّخمُ لوعةُ جازعٍ وإذا الذّخيرةُ حُفرةٌ ، ورَمادُ

مَن للبريءِ إذا توثّبَ ظالمٌ يبغي الفريسةَ ، وانبرَى يرتادُ ؟

وطغَى على الوادي ، فأصبحتِ الرُّبَى وكأنّها تحتَ العُبابِ وِهادُ ؟[6]

مَن يدفعِ الطُّوفانَ لا يعتاقُه سُورٌ ، ولا يُعْدَى عليه مَصادُ ؟

---

(١) قيلت في رثاء الوطني أحمد لطفي وكيل الحزب الوطني .

(٢) القتاد شجر صلب له شوك كالأبر .

(٣) جمع مدره وهو السيد وزعيم القوم .

(٤) مكة المكرمة .

(٥) ذهب .

(٦) الربى الأراضي المرتفعة ، والوهاد الأراضي المنخفضة .

مَن للبلادِ إذا الخطوبُ تألّبتْ وتفرّقتْ من حولها الأجنادُ ؟

وأبى الحماةُ ، فما يُصانُ لها حِمىً تحتَ العَجاجِ ، ولا يُصابُ عَتادُ ؟

***

أين الكتائبُ في البلادِ مُغيرةً ما للفتوحِ ، وما لهنَّ عِدادُ ؟[1]

ولِمَن نُفوسٌ رِيعَ من صَعَقاتها (عِزريلُ) مُنطلقاً بها ينطادُ ؟

بكر (التّجارُ) بها، فما سطعَ الضُّحى حتى اشتراها منهمُ (الجلاّدُ)

كسدت على أيدي الدُّعاةِ، وما بها لولا مُساومةُ الدُّعاةِ كسادُ

لم أدرِ أهْيَ بِضاعةٌ مجلوبةٌ أم أمّةٌ محروبةٌ[2] وبلادُ ؟

داءُ الممالكِ أن تُصابَ بقادةٍ تُزْجَى على حُكمِ الهوى وتُقادُ

أُنظُرْ إلى عُقبى الأمورِ وما جنَى قومٌ سياستُهم أذىً وفسادُ

وسَلِ الكنانةَ : هل قَنعتِ بما ارتضَى بعدَ الإباءِ حُماتُكِ الزُّهّادُ ؟

حُرّيّةُ (الدُّستورِ) روّعَ سربَها عَسَفٌ ، وأرهقَ حزبَها استعبادُ[3]

لا يهتفُ الدّاعي بحقّ بلادهِ إلاّ طغى صَلَفٌ ، ولجَّ عِنادُ

وكأنّما (السّودانُ) في أسماعهم خطبٌ تذوبُ لذكرهِ الأكبادُ

أخذوا الحديثَ فزخرفوه ، وعندهم أنّ الحديثَ مضَى، فليس يُعادُ

النّيلُ مُشتركُ المرافقِ بيننا والقومُ لا شَططٌ ولا استبدادُ[4]

---

(١) في هذا البيت وما يليه اشارة الى الحركة الوطنية التي قامت في مصر عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وكيف أن الزعماء الذين استغلوا هذه الحركة أضاعوا على البلاد ثمارها وباعوا ضحاياها الغالية بثمن بخس .

(٢) مسلوبة .

(٣) يمثل هذا البيت وما يليه مسلك النواب السعديين ورئيسهم في دار النيابة ضد نواب الحزب الوطني القليلي العدد بينهم .

(٤) هذا وما بعده معنى سياسة السعديين وحلفائهم .

نحن الضّعافُ ، فهل تورّعَ غالبٌ ؟ … وَانْقادَ للعاني الضّعيفِ مُراد ؟

ملكوا بني الدنيا ، فلولا عَدْلُهم … ذهبوا كما ذَهبتْ ثمودُ وعادُ

لا يطمعِ المغرورُ ، ما لِثوائهم … أَجَلٌ ، ولا لجلائهم ميعادُ

تلك الوَصاةُ، فهل لمن يَبغي الهُدَى … في مِصرَ سَمْعٌ صادقٌ وفؤادُ ؟

من لي (بأحمدَ) في العظائمِ مُقدِماً … يَرِدُ الغِمارَ تعافُها الوُرّادُ ؟

هل كان إلاّ للكِنانةِ نجدةً … إن صيحَ أين حماتُها الأنجادُ ؟

(شيخُ النيابةِ) حال بينها الأُلى … دَسُّوا الدّسائِسَ للرّجالِ وكادوا[1]

عقدوا العُهودَ عُرىً كواذِبُها الأذى … وحيالُها الأضغانُ والأحقادُ

جُرْحٌ بأحشاءِ الكِنانةِ ، ما له … أبداً سِوَى كَفَنِ الجَريحِ ضِمادُ

صدَقَ المُخادِعُ ما (لأحمدَ) في الأُلى … أخذوا الأرائكَ خِلْسَةً أندادُ

لولا حميّتُه لكان محلَّه … فيهم محلَّ اللّيْثِ حيثُ يُصادُ

أرأيتَ إذ تُلقَى السُّيوفُ بواتراً[2] … عند اللقاءِ ، وتُحمَلُ الأغمادُ ؟

وشَهِدتَ حين جرى القَضاءُ فأصبحت … تُقْصَى الكُماةُ عن الوغَى وتُذادُ ؟

إنّ الذي زرعَ الإباءَ لقومهِ … أودى به قبل الأوانِ حَصادُ

أَوَ كلّما نبتَ الصّلاحُ بأرضِنا … نَبتتْ مَناجلُ للفسادِ حِدادُ ؟

قُلْ للأُلى وَضعوا السِّلاحَ تأهّبوا … إنّ الرِّجالَ تأهُّبٌ فجهادُ[3]

لستُم كمن جَدَّ الرُّماةُ ، فأعرضوا … ومضى الكُماةُ مُغامِرين ، فحادوا

النّيلُ ينظرُ أين قادتُه الأُلى … مَنعوا الحِمَى؟ أتفرّقوا أم بادوا؟[4]

(١) إشارة إلى المعاكسات الخفية التي دبرت لمحاربة الفقيد في الانتخابات .

(٢) جمع باتر القاطع .

(٣) الخطاب لرجال الحزب الوطني .

(٤) هلكوا .

أَمْسَى كأن لم يمنعوهُ، ولم يكن … ضَربٌ وطَعْنٌ صادِقٌ وجِلادُ

لما استقلَّ أولو الحِفاظِ فغُيِّبوا … نُكِبَ العَرينُ ، وريعتِ الآسادُ

وتُنوزِعَ الوادي ، فذَلَّ قطينُه … واعتزَّ فيه الغاصِبونَ وسادوا

يلهو المُصفَّدُ بالقيودِ، وقد بَكَتْ … منه القُيودُ ، وضجّتِ الأصفادُ

تلك البليّةُ أو يكونَ لقومِنا … بعد الغَوايةِ مَرجِعٌ ومَعادُ

***

نشرت في ١٣/ ٩/ ١٩٢٦

أحيَيت سُنة مصطفى

في رثاء علي فهمي كامل

برق بأنباءِ الأحبّةِ سارِ — صَدعَ القُلوبَ ، وطار بالأبصارِ
بلغ المطار به محلّةَ رازحٍ — نهضت إليه روائعُ الأقدارِ
قطع الصّلاةَ عليه قبل تمامِها — فطوى أوائلَها بلا استغفارِ
وأقامَ للأحزانِ من صلَواتها — نُسُكَ الهُداةِ ، وسُنّةَ الأبرارِ
صلّوا بني الوطنِ المُصابِ، فإنّما — بلوى الشُّعوبِ، ونكبةُ الأقطارِ
أودى (عليٌّ) بعد (أحمدَ)[٢] فانظروا — مهوى الجبالِ ، ومَغربَ الأقمارِ
وسلوا الكِنانةَ هل لها من ناصرٍ — يُرجَى لمنع حِمًى، وصَوْنِ ذِمارِ ؟
عصف الزّمانُ بها ، فطاحَ لِواؤها — وهَوتْ سُيوفُ حُماتِها الأحرارِ
أَفضى الجِهادُ بهم إلى مكروهةٍ — تَغتالُ بأسَ الفارسِ المِغوارِ

(١) هو شقيق الزعيم مصطفى كامل وزميله في الجهاد ، توفي في ٣١ ديسمبر ١٩٢٦ . وقد قدّمت جريدة العلم هذه القصيدة بقولها « مأتم مصر في صورة من الشعر ، ومظهر الصدق والوفاء في زفرة من أليم الحزن ، ونفثة من موجع الرثاء . كان الفقيد العظيم والزعيم الوطني الجليل الشهيد علي فهمي كامل يحمل في نفسه البارة الكريمة مكانة خاصة ومنزلة رفيعة للشاعر الباكي والصديق الوفيّ أحمد محرم وهذا ما حفظه كميراث وطني جليل لشاعر الأمة المخلص عن شقيقه الرئيس الأكبر مصطفى كامل الذي كان الشاعر ولا يزال من أصدق رجاله وأوفى أصدقائه ، هذا إلى ذلك التقدير الشخصي العظيم من الراحل الكريم للشاعر الوفي . وهذا معنى ما في رثائه من لغة العاطفة الرقيقة التي تتردّد في صوت الواجب الوطني » .

(٢) هو المرحوم أحمد لطفي .

يُلقِي السّلاحَ وراءها ، ويحلُّها — كالليثِ عاد مُقلَّمَ الأظفارِ
سَلَبَ الجبانُ بها الشجاعَ ذِراعَه — وهَوى الضّعيفُ بهامةِ[١] الجبّارِ
حُفَرٌ تموتُ بها القُوى ، ومنازلٌ — تَقرِي[٢] التُّرابَ نَضارةَ الزُّوّارِ

***

قُمْ يا (عليُّ) فأنت أكرمُ قائمٍ — بالأمرِ بعد رِفاقِكَ الأخيارِ
فِيمَ الرُّقادُ، ومصرُ في أصفادِها[٣] — والشّعبُ رَهنَ مَذلّةٍ وصغارِ ؟
أشَفَيْتَ نفسَك حين مِلتَ إلى الكرى[٤] — ونزلتَ منزل هَدْأةٍ وقرارِ ؟
أين الشّفاءُ لمن تضمَّنَ قلبُه — ما بالكنانةِ من جوًى وأُوارِ ؟[٥]
كنتَ (الزّعيمَ الحقَّ) في أبنائها — لولا الحياءُ وصالحُ الإيثارِ
أكرمتَ حزبَك عن مَطامِعِ عُصبةٍ — شتّى المطامعِ ، جمّةِ الأوطارِ
عَقدتْ على الغدْرِ العُهودَ ذميمةً — ولوتْ وُجوهَ مُساومينَ تِجارِ
ووقفتَ جيشاً في طليعةِ فِتيةٍ — بيضِ الصّحائفِ وُضّحِ الآثارِ
عَرفوكَ كَنْزَ هُدًى ، وذُخرَ مُروءةٍ — ورأوك سيفَ وغًى، ولَيْثَ مَغارِ
أسفِي عليكَ ، ذهبتَ غيرَ مُودَّعٍ — ومَضَيْتَ بين عَشيّةٍ ونهارِ
أسفِي على الجارِ القريبِ يؤمُّه — عادى الرَّدى[٦]، فيؤمُّ أبعدَ دارِ
جارَ الوفاءِ فُجعتُ منكَ بنازحٍ — نائي المحلّةِ ، مُوحَشِ المُزدارِ[٧]

(١) رأس .
(٢) تُطعم .
(٣) قيودها .
(٤) النوم .
(٥: الجوي شدة الوجد من الحزن ، والأوار الحرّ .
(٦) الهلاك .
(٧) المكان الذي يُزار .

أنـت الصّـديقُ دفنـتُ أكرمَ صُحبةٍ ... فيهِ ، وأصـدقَ ذِمّـةٍ وجوارِ
لّما نُعيتَ إليَّ في وَضَحِ المُنَى ... سَـدَّ الظّـلامُ عليَّ مَطلـعَ داري
أمسكتُ دمعـي فاستهـلَّ، وهاجني ... تَهطـالُ آخـرَ دافـقٍ مِدرارِ
فعَرفـتُ أبنائـي ، ولسـتُ لهـم أباً ... حتّـى يُقيمـوا سُنّتـي وشِعاري
صحـبٌ صِغـارُ السِّـنِّ ما بِنُفوسِهم ... لُـؤمٌ ، ولا أحلامُهُـم بصِغارِ
عرفـوا الـزّعيمَ، فغالهـم ما غالني ... لِفراقـهِ ، واسْتَعبـروا اسْتِعباري[1]

***

يا فارسَ الـوادي ، وحـارسَ ضأنِه ... الضـأنُ فوضَى، والذّئـابُ ضواري
قُمْ غـيرَ خوّارِ القنـاةِ فقـد وهت ... عَزَمـاتُ كلِّ مُنـكّبٍ خوّارِ[2]
أنـت الجـديرُ بأن تُفـارقَ أُمّةً ... وقـعَ الرعـاةُ بهـا على الجزّارِ
نَمْ غـيرَ مكفـورِ الجهـادِ، فإنّها ... أيامُ كُلِّ مُشاغـبٍ كفّارِ
جَمْـعٌ يُعظِّـمُ كلَّ خَبٍّ[3] ماكرٍ ... ويهُـينُ كلَّ مُجاهـدٍ صبّارِ
قُمْ يا خطيبَ النّيلِ في مَرْضَى الهَوى ... واشْفِ النُّهـى ببيانِـكَ السحّارِ
راعَ المنابـرَ خطـبُ مِنبـرِكَ الذي ... نَسفَ الجبـالَ ، ومـال بالأسوارِ
لّما استبقـتَ القـولَ في أعوادهِ ... سِيقَـتْ إليه يدُ القضـاءِ الجاري
أشرفـتَ منـه تهُـزُّ شعبـاً رابضاً ... والموتُ خلفَـك رابضٌ مُتوارِ
مَيْتٌ على ميتٍ ينـوحُ، وذاهبٌ ... يبـكي لِظَعَـنِ ذاهـبٍ سيّارِ
لاقيتَ ربَّـك قائماً تقضي الذي ... يقضي الـوفيُّ لأُمّـةٍ وديارِ

---

(١) حزنوا حزني .
(٢) الخوّار الضعيف الرخو ، والقناة القامة يقال صُلب القناة .
(٣) الخب الخدّاع .

مِثـلَ الشُّجـاعِ هَوَى الحِمامُ بِسَرْجِهِ ... تحتَ العَجـاجِ ، فَطـاحَ في المضمارِ
أحييتَ سُنّـةَ (مصطفـى)[1] ولَقيتَه ... حـيَّ المناقـبِ خالـدَ التّذكارِ
فاذهـبْ جُزيتَ من الإلّـه مثوبةً ... ممّـا اصـطفـى لفـريقـهِ المختارِ

***

نشرت في ٤/ ١/ ١٩٢٧

---

(١) مصطفى كامل .

عزّ الشهيد

في أربعين علي فهمي كامل

بلغتْ مطيُّكَ أوّلَ الرُّكبانِ   ورمتْ برحْلِكَ(1) أبعدُ الأوطانِ

حدَتِ النّوى(2) بك أربعينَ عوابساً   شُوهَ الوُجوهِ، ذميمةَ الألوانِ

مالَ الأسى برحالِها، وجرى دماً   ماءُ الشُّؤونِ، فمالَ بالأرسانِ(3)

تمضي جوافلُها بأغبرَ مُوحشٍ   تنسابُ فيه نواعبُ الغِربانِ

وادي النّوى اختطّتْ(4) به لذوي الأسى   مَسْرى الهُمومِ، ومَسرحَ الأحزانِ

يُزجي الرّكائبَ كلَّ يومٍ شَطْرَهُ(5)   غادى الفراقِ، ورائحُ الإخوانِ

زالوا سراعاً كالحُصونِ هوى بها   قدرٌ من الزّلزالِ ذي الرَّجَفانِ

عَدَتِ الخطوبُ، فطاحَ في غمَراتِها   شَعْبٌ بأفياءِ الكِنانةِ عانِ(6)

ضاحِي المَقاتلِ، ما يَزالُ يَنوشُه(7)   ضاحى العَداوةِ، بارزُ الشّنآنِ

ما انفكَّ يُجزَعُ بالحُماةِ أعزّةً   مُستكبرينَ على ذَوي التّيجانِ

(1) الرحل ما يُستصحب من الأثاث في السفر .
(2) حدت ساقت ، والنوى البعد مؤنثة لا غير .
(3) الشؤون جمع شأن وهو العرق الذي تجري منه الدموع ، والأرسان جمع رسن الحبل .
(4) اتخذت وعيّنت .
(5) تِلقاءه .
(6) الأفياء جمع فَيْء وهو الظل ، والعاني المُتعَب .
(7) ضاحي المقاتل أي مقاتله بادية ظاهره ، وينوشه يطلبه .

مُتمرِّدينَ على الزّمانِ يَسومُهم   سِمةَ الهَوانِ، وخُطّةَ الإذعانِ

نَهضَ الأُباةُ بهم إلى مُستشرِفٍ   تنجابُ عنه قوارعُ الحِدْثانِ(1)

عالٍ لَوانَّ الجِنَّ في سُلطانِها   همَّتْ به لَهَوتْ على الأذقانِ

يَستصغِرُ الخَطرَ المَهيبَ نزيلُه   ويراه أهْيَبَ منزلٍ ومكانِ

مَرقى الرّجالِ إلى الخُلودِ وسُلَّمٌ   ينحطُّ عنه العاجزُ المُتواني

وإذا رُزِقْتَ النّفسَ دائبةَ القُوى   فاهْنأْ، فلستَ على الزّمانِ بفانِ

أ(عليٌّ) ما بكَ غيرُ روْحةِ نازعٍ   قَلِقِ المطالبِ، ثائرِ الأشجانِ

ضاقتْ به الدّارُ الشّقيّةُ فانْتحى   دارَ النّعيمِ، ومنزلَ الرِّضوانِ

عزَّ (الشّهيدُ) وراحَ تاركُ حقِّه   في ذِلّةٍ من عَيْشِه وهَوانِ

***

ألقيت في حفل الأربعين في فبراير ١٩٢٧ .

(1) المستشرف المرتفع ، وقوارع الحدثان نوازل الدهر الشديدة .

أبكي على الوطن اللهيف

في الشهيدين
مصطفى كامل وعلي فهمي كامل

قُصُّوا الحديثَ عن الفريقِ النّائي   وصِفوا لمصرَ مَصارعَ الشُّهداءِ

وتداركوا دِينَ الجهادِ، وفَسِّروا   للجاهلينَ شرائعَ الزُّعماءِ

إيمانُ أحبارٍ، وفِقهُ أئمّةٍ   ذَهبوا، فَضاعَ على يدِ الفُقهاءِ[٢]

المُنكرين على الحُماةِ وفاءَهم   المُؤثرين تقلُّبَ الأهواءِ

القانعينَ من الحياةِ بباطلٍ   ومن المطامعِ والمُنى بِهَباءِ

النّازلينَ على مشيئةِ مَن يرى   أنّ القويَّ أحقُّ بالضُّعفاءِ

شُغِلَ الفوارسُ بالوغى، وأراهمو   شُغلوا ببَيْعٍ خاسرٍ وشراءِ

السُّوقُ قائمةٌ، ومصر بضاعةٌ   نُكِبَتْ بأخذٍ مُوجِعٍ وعطاءِ

زعموا الشُّعوبَ لكلِّ ذي جَبَريَّةٍ   أسرابَ ضأنٍ، أو قطيعَ إماءِ[٣]

وَغَلَوْا[٤]، فظنّوا اللهَ مُخلفَ وعدِه   واللهُ فوقَ مَزاعمِ الجُهلاءِ

يَئِسوا من العُقْبى، فتلك نفوسُهم   تُزجَى جنازتُها بغيرِ رجاءِ

كبّرتُ للموتى تُضيءُ قبورُهم   وبَكيْتُ بعضَ منازلِ الأحياءِ

---

(١) في الذكرى التاسعة عشرة لوفاة الأول وتأبين الثاني .

(٢) يقصد الشاعر بذلك وبالأبيات التالية الساسة الذين لم يكن لهم همٌّ سوى الحصول على مكاسب شخصية .

(٣) عبيد والواحدة أمة الخادمة المملوكة .

(٤) تشدّدوا وتصلّبوا حتّى جاوزوا الحد .

يهوين في لُجَجِ الظّلامِ كما هوت   هلكى السّفينِ تَغيبُ في الدّأماءِ[١]

أبكي على الوطنِ اللّهيفِ؛ وليْتَني   أدركتُ سُؤْلي، أو أصبتُ شِفائي

هَدَّتْ جبابرةُ الغُزاةِ كِيانَهُ   فهوى، وتلك جنايةُ السُّفهاءِ

***

نادوا (شهيدَيْ مِصرَ) في قبرَيْهما   وصِلوا دَوِيَّ[٢] ندائكم بندائي

نادوا اللِّواءَيْنِ اللّذين طوى الرّدى   فالجندُ منتظِرٌ بغيرِ لواءِ

نزل القضاءُ به فَعُوجِلَ (مُصطفى)   وهوى (عليٌّ) فارسُ الهيجاءِ

أهوَ الجلاءُ دَها الكِنانةَ فيهما   فأثابَ كلَّ مُطالِبٍ بجلاءِ؟

رُزْءان ما بلَغتْ بعيدَ مَداهما   هِممُ الخُطوبِ، ولا قُوى الأرزاءِ

صَدَعا جبالَ المشرقَيْنِ، وزلزلا   أُممَ الزّمانِ، وساكِني الغبراءِ

يا مصرُ غُضّي من جمالِكِ، واحْجُبي   سُلطانَ حُسْنكِ عن هوى الأبناءِ

عَبَثوا بحُرمتِه، وواجبِ حقّهِ   وجزوا صَنيعَكِ فيه شرَّ جزاءِ

هم أخطأوا معنى المحبّةِ وادّعوا   حِذقَ الثّقاتِ، وفطنةَ الحكماءِ

أَجِدُ الحنينَ إليكِ سُلوةَ نازعٍ[٣]   وأرى تودُّدَهم أليمَ جَفاءِ

ذهب اللّذان تساقيا صفوَ الهوى   عفَّ الكؤوسِ، مُهذَّبَ النُّدماءِ

لم يبقَ بعدهما لِمُضمِرِ لوعةٍ   من حبّكِ المُضني سِوى الأقذاءِ[٤]

عرفا الصّبابةَ نَجْدةً ومُروءةً   والحُبَّ مَحمِيَةً[٥]، وصِدقَ بلاءِ

---

(١) البحر .

(٢) صوت .

(٣) السلوة السلوّ، والنازع الغريب .

(٤) جمع قذى وهو ما يقع في العين أو في الشراب من تبنة ونحوها .

(٥) مصدر من حَمى الشيءَ من الناس منعه عنهم .

فَتَدفَّعا[1] يستهلكانِ على الصِّبَيَ   نَفْسَـيْنِ تزدادان طولَ بقاءِ
جُودٌ كجـودِ الأنبياءِ ، ولن تَرى   في العاشِقِـينَ خلائـقَ البُخلاءِ
وإذا رُزِقـتَ الصِّدقَ في أهلِ الهَوى   فـالنّفسُ أهـونُ قُربـةٍ[2] وفداءِ

***

عَجِـلَ الرِّفـاقُ فمزّعَتْهـم نيّةٌ   بَعُـدَ المطـارُ بهـا عن العَنْقاءِ[3]
خُلِقـوا لِوَشْكِ نَوىً وطُـول تفرُّقٍ   ونَظنُّهـم خُلِقوا لطـول ثَواءِ
جرَتِ الظُّنـونُ الهُـوجُ خلفَ مَطيِّهم   فهـوَيْنَ من تَعـبٍ وفـرطِ عَياءِ
لا البـرقُ مُخبِرُ أيّةً ذهبـوا، ولا   رُسـلُ البـريدِ تَجيءُ بالأنباءِ
الدّهـرُ أخـرسُ ، والبـلادُ صوامتٌ   والنّـاسُ بـينَ تفجُّعٍ وبُكاءِ
والطَّـيرُ من غادٍ عليَّ ورائحٍ   تهـذِي بقُـربِ تجـاورٍ ولِقاءِ
أَسَفِـي عليهـم يرتَمِـي بِرِحالهم   حـادي الصَّبـاحِ ، وسائـقُ الظَّلماءِ
مُغفِينَ من فَرْطِ اللُّغوبِ[4] ، ومـا درت   تلك الجفـونُ لَذاذةَ الإغفاءِ
تركوا الـدّيارَ تذوبُ شوقـاً بعدهم   وتَضِـجُّ من أسفٍ وطـولِ عَناءِ
ظَلَمـتْ فراعِنَـةُ الخُطـوبِ قطينَها   وقَضى عليهـا الدّهـرُ شرَّ قضاءِ
هي أُمّـةٌ أخَـذَ الهـوى بزمامِها   ورمَـى الدُّعـاةُ عُيونَهـا بغطاءِ
فَتدافعـتْ طَوْعَ العـواصفِ ترتدِي   هَبَـواتِ[5] كلِّ سفيهـةٍ هَوجاءِ
ثمّ انثَنـتْ صَرعَـى تَمُـجُّ كلومُها   ذَوْبَ الـكلِى ، وعُصـارةَ الأحشاءِ

---

(١) فاضا .
(٢) ما يُتقرَّب به الى الله تعالى من أفعال البر والطاعة .
(٣) طائر مجهول الجسم لم يوجد .
(٤) أشدَ الأعياء والتعب .
(٥) جمع هبوة الغبرة .

ضاقت بها الـدُّنيا ، فما من مَذهبٍ   والـرّأيُ أفيحُ[1] واسـعُ الأرجاءِ
هذا السَّبيلُ، فأين مُرتـادُ الهُدَى ؟   هـذا الـدواءُ، فأين نِضـوُ[2] الدّاءِ ؟
لِلحـقِّ في ظُلَـمٍ[3] الأمـورِ مَسالكٌ   بِيضُ المعالـمِ غـيرِ ذاتِ خَفاءِ
نحـنُ الحُماةُ الصّادقـين ، وهذه   سِمَـةُ الهُـداةِ ، وسُنّـةُ الأُمناءِ[4]
إن يَمْضِ أعـلامُ الجهـادِ فما مضتْ   بيضُ الظُّبَـي ، ومساقـطُ الأشلاءِ
فتقدَّمـوا يا قومِ ، لا يقعُـدْ بكم   عنـد اللّقـاءِ تهيُّبُ الجُبنـاءِ
مِصرُ المَضيمـةُ[5] تستثـيرُ إباءَكم   ولَهْـى ، تخـافُ شماتةَ الأعداءِ
ضِنُّـوا بمـيراثِ الدُّهـور ، وحصِّنوا   شرفَ البنـين ، وسُؤدَدَ الآباءِ
لا تجزَعـوا للحادثـات تُصيبُكم   وخُـذوا سبيلَ الفِتيةِ الحُنَفاءِ[6]
الدّهـرُ يومُ مَذلَّـةٍ ومَهانـةٍ   والدَّهـرُ يومُ حَمِيَّةٍ وإباءِ
غَوَتِ النُّفـوسُ ، فَسـادَ كلُّ مُخادعٍ   ومضى بأمـرِ القـومِ كلُّ مُراءِ[7]
هل في المشـارقِ مَن يُردِّدُ صَيْحتي ؟   أم في الكنانـةِ من يُجيبُ دُعائي ؟
إنّ الـذي جعـلَ الحياةَ شريعةً   أوحَـى حقائقهـا إلى الشُّعراءِ

***

١١ / ٢ / ١٩٢٧

---

(١) واسع .
(٢) النضو المهزول كأنه جرّد من اللحم .
(٣) جمع ظُلمة .
(٤) السمة العلامة ، والسنة الشريعة والطبيعة .
(٥) المقهورة المظلومة .
(٦) جمع حنيف المستقيم المتمسك بالاسلام .
(٧) المرائي الذي يتظاهر بخير دون حقيقة .

الشام

يا بريدَ النِّيلِ إن جئتَ الشّآما … فاقضِ للأهلين عن مصرَ الذِّماما

إنّ في تلك المغاني لَهوىً … صادِقَ العهدِ ، وأحباباً كِراما

عَقَدَ الحُبُّ المُصفّى بيننا … عُروةً تأبى مَدى الدّهرِ انفصاما[1]

ما ترى الأُردُنَّ بالنّيلِ احتفى … وترى النّيلَ على الأُرْدُنِّ حاما[2]

للشّآميينَ منّا ولنا … منهمُ العهدُ الذي يَبقى لِزاما

ضمّنا للدّهرِ ساقٍ حُوَّلٌ … يَخدعُ الشَّرْبَ[3] ، ويلهو بالنَّدامى

فَشرِبْنا الصَّفوَ من راوُوقِهِ … وتساقينا القَذَى جاماً فجاما[4]

نحن في القُطرينِ إخوانُ الهوى … نَرِدُ النَّهرَيْنِ شَهداً وسِماما[5]

أَلبَسَتْنا الضّادُ في عَليائها … من سَنَى[6] الأنسابِ ما يجلو الظّلاما

فطلعنا في بني الدُّنيا هُدىً … وسطعنا في نواحيها سلاما

---

(١) العروة من الثوب ما يدخل فيه الزر عند شدّه ، وانفصم تصدّع .

(٢) الأردن نهر في فلسطين طوله ٢/٥ كم له منبعان الحاصباني بلبنان والبانياس بسورية يصب في البحر الميت ، والنيل نهر في افريقية الشرقية طوله ٦٥٠٠كم يخرج من بحيرة فكتوريا فيجتاز أوغندا والسودان ويجري في بلاد النوبة وفي مصر يبلغ القاهرة ومنها يتشعب بالدلتا فينصب في البحر المتوسط .

(٣) جمع شارب .

(٤) الراووق الاناء يروق فيه الشراب ، والقذى ما يقع في الشراب ، والجام الكأس .

(٥) جمع سم .

(٦) السنى الضياء .

أُممُ المشرقِ لولا ما بنا … من حياةٍ أصبحت مَوْتى رِماما

والزّمانُ الضّخمُ لولا أنّنا … من بنيهِ هانَ قدراً ومَقاما

نحن سُسْنا الأمرَ سِلماً ووغىً … ومَلكنا الدّهرَ شيخاً وغُلاما

أُمّةٌ للخلدِ تستعصي على … عِزّةِ الموتِ ، وتأبى أن تُضاما

طاولت (فِرعونَ) في سُلطانِهِ … وابتنت في تاجهِ المُلكَ الجُساما[1]

ومضتْ تعلو ، فلمّا زُوحِمَتْ … طاولت (هارونَ) عِزًّا و(هِشاما)[2]

راعتِ الأملاكَ في أجنادهم … وانْتَحتْ تغزو الخواقينَ[3] العِظاما

يا بني الآدابِ حَيُّوا عَلَماً … تسكتُ الأعلامُ إن قال احتشاما

إنْ ذكرتم دولةَ الضّادِ فلا … تَنْسَوُا التّاجَ ، ولا الشّيخَ الإماما

إنّ (جَبْراً)[4] والدّعاوى جَمّةٌ … لَفَتاها حين لا ترجو اعتصاما

عبقريٌّ ذادَ عن أحسابِها … فتجلّتْ عبقرياتٍ وسَاما

تَبهرُ الأرضَ ، وتعلو صُعُداً … فَتُضيءُ الشُّهبَ أو تَسقي الغماما

دولةٌ تعتزُّ منه في حِمَى … مَلِكٍ يُلقي له الشّعبُ الزِّماما

غُودِرَتْ في الشّرقِ فوضى ، فانبرى … ينشرُ الدُّستورَ فيها والنّظاما

بعثَ القُوّادَ في أقطارِهِ … يأخذون الموقعَ الأقصى اقتحاما

---

(١) فرعون اسم أطلق على ملوك مصر القديمة ، والجسام الجسيم وهو العظيم الفخم .

(٢) هارون الرشيد أعظم الخلفاء العباسيين ، وهشام بن عبد الملك من الخلفاء الأمويين . الأول غلب نقفورس ملك الروم وحالف شارلمان ملك الإفرنج واشتهر بإحسانه وعدله ، والثاني سعى في اخماد الفتن في العراق وخراسان وحارب البيزنطيين برًّا وبحراً ووصلت جنوده الى بحر قزوين

(٣) جمع خاقان وهو علم وإسم لكل ملك .

(٤) هو الكاتب جبر ضومط ولد بسورية له « فلسفة اللغة العربية وتطورها » بالمقابلة مع السريانية والعبرية .

رِيعَ جيشُ الجهلِ لمّا جرَّدُوا — من سَنَى عرفانِه الجيشَ اللُّهاما[1]

مُرهَفُ الأقلامِ يأتي في الوغَى — من جليل الفتحِ ما يُعيِي الحُساما[2]

أدبٌ ينسابُ من معسولِه — في رُبوعِ الشرّقِ ما يَشفي السَّقاما[3]

مثلُ (عينِ الخِضرِ) من يظفرْ بهِ — لا يَذُقْ داءً ، ولا يُطعَمْ حِماما

إنّ للعلمِ لَسِرًّا جللاً — نستفيدُ الخُلدَ منه والدّواما

غاب عن عِلمِ الفراعينِ الأُلَى — زَلزلوا الأقطارَ بأساً واعتزاما

فتِّش الأجداثَ[4] عن تيجانهم — واسْألِ الأحجارَ والصّخرَ المُقاما

هل ترى عيناكَ إلاّ حُفَراً — تلقطُ القومَ جُلوداً وعِظاما ؟

عاثَ رَيْبُ الدّهرِ فيما جمعوا — من كنوزٍ كُنَّ في التُّربِ رُكاما

حلَّ للمُغْتالِ في رأدِ الضُّحَى — من غواليهنَّ ما كان حَراما[5]

رُبَّ جيشٍ بات يقظانَ القَنا — ساهرَ الأسيافِ يَخشَى أن تُراما[6]

سُؤددٌ زُورٌ ، ومجدٌ باطلٌ — وحياةٌ تُورثُ الدّاءَ العُقاما[7]

إن وصفتَ المُلكَ يطويه البِلَى — فصِفِ الأحلامَ تستهوي النِّياما

***

١٩٢٧/٢/٢٤

---

(١) الجيش اللهام العظيم كأنه يلتهم كل شيء .

(٢) مُرهف محُدد مرقّق الحد ، والحسام السيف .

(٣) المعسول الحلو الطيب ، والسقام المرض .

(٤) القبور .

(٥) رأد الضحى وقت ارتفاع الشمس ، والحرام المُحرَّم .

(٦) القنا الرمح ، ورام الشيء أراده .

(٧) لا يُرجى البُرءُ منه .

عبد الخالق ثروت[1]

يا مالكاً عَنَتِ الوجوهُ لِعزّهِ — وتَواضعتْ لجلالِهِ الأعناقُ

تأتي فتعثرُ بالطُّبولِ ، وربّما — عثرت بها وبركبِكَ الأبواقُ

وإذا رَحلتَ لآخرين مَطيّةً — فِرحالُها الأسماعُ والأحداقُ

أوَ كلّما ذَهبتْ رِكابُكَ أو أتتْ — رَجفَ الزّمانُ وضجّتِ الآفاقُ ؟

هَفتِ الجُموعُ ولو أذِنْتَ لغيرِها — طارت إليك الدُّورُ والأسواقُ

تلك الحفاوةُ لو أفادَ تصنُّعٌ — وأعزَّ شأنَ الحاكمين نِفاقُ

لو كنتَ في غيرِ (الكنانةِ) ما احْتَفتْ — إلاّ بكَ الأغلالُ والأطواقُ

لَكَ من مَساوِي الحُكمِ كلُّ كبيرةٍ — ريعتْ لها الأقلامُ والأوراقُ

الظُّلمُ دينٌ ، والتعسُّفُ شِرعةٌ — والغَدْرُ عهدٌ ، والهَوى ميثاقُ

يُدْلي إليكَ المجرمون بمالِهم — واللهُ ينظرُ والدّمُ المُهراقُ

مُثْرٍ يدوسُ على الرُّؤوسِ ، ومُعدَمٌ — يُودِي بثابتِ حقّهِ الإملاقُ

يَدعوكَ ذُو الرّكنِ الضّعيفِ لنصرِهِ — فتنوءُ آونةً وتهوِي السّاقُ

وإذا الوُلاةُ إلى الولائمِ أَمْعنوا — رَكضاً فأنتَ الأبلجُ السّبّاقُ

أنت العليمُ فصِفْ لنا حُكمَ الهوى — وتوجُّعَ الوِجدانِ كيف يُطاقُ

---

(١) ولد في سنة ١٨٧٣ وتولى رئاسة الوزارة في سنة ١٩٢٢ وتم في عهد وزارته تصريح ٢٨ فبراير الذي اعترفت فيه بريطانيا باستقلال مصر ذلك الاستقلال الذي لم يكن سوى حماية مُقنّعة واحتلالا مستتراً ، ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية عام ١٩٢٧ بعدها اعتزل السياسة ، وتوفي في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ .

خصمانِ يَعصفُ بالمضاجعِ منكما … تحت الظّلامِ تَغضُّبٌ وشِقاقُ
سكنت قُلوبُ الصّالحين وما ارْعَوى … فوق الحِشيَّةِ قلبُكَ الخفّاقُ
يَنْفِي دبيبَ النّومِ حين تَحسُّه … همٌّ يثورُ، ولوعةٌ تنساقُ
قد كان ذلك ثمّ ثابَ إليكما … بعد الخصام تآلفٌ ووفاقُ[1]
وإذا تتابعتِ الذُّنوبُ على امرئٍ … سكنت إليها النّفسُ والأخلاقُ
شرُّ الشُّعوبِ من الحياةِ مكانةً … شعبٌ بأيدي الجاهلين يُساقُ
الحكمُ عند المصلحين كفايةٌ … والعُرْفُ عند ذوي النُّهى استحقاقُ
وأرى النّفاقَ من الشُّعوبِ سجيّةً … يعيا بمُعضلِ دائها الحُذّاقُ
جُنَّ المُنافِقُ بالحياةِ وما درى … أنّ الحياةَ يُفيضُها الخلّاقُ
مَلكَ الخلائقَ أجمعين، وقُدِّرتْ … بيمينِهِ الأقسامُ والأرزاقُ
وأفاضَ من عدلٍ ومن حُرّيّةٍ … فيهم، فلا ظُلمٌ ولا استِرقاقُ
لا تسبقُ النّفسُ الأبيَّةُ حِينَها … يوماً، ولا يعتاقها الإشفاقُ
تبدو القيودُ فتقشعرُّ جُلودُنا … والجهلُ قيدٌ مُحكَمٌ ووثاقُ

***

- ١٩٢٧

(١) يشير إلى تالف سعد زغلول مع عبد الخالق ثروت في وزارة الائتلاف .

في سبيل مصر

صاحَ الحِمَى ببني الهيجاءِ، فاعتَزموا … وراحَ يهتزُّ في أبطالِهِ العَلَمُ
جُندٌ من الحقِّ، ما في بأسِه وَهَنٌ … عند اللّقاءِ، ولا في دينِهِ سَقَمُ
ما جالَ إلاّ انْجلَتْ عن (مِصرَ) أبؤسُها … ولا تبلَّجَ[1] إلاّ انْجابتِ الظُّلَمُ
يُغضي عن الحربِ، يستقصي وسائلَها … كالموت يهدأ حيناً، ثمّ يَقتحمُ
شرُّ الجُنودِ غداةَ الحربِ مُنْقَلَباً … مَن كان يزعُمُ أن الحقَّ ينهزمُ
قُلْ (للكنانة) جدَّ القومُ، فانتظري … عُقبى الوغى، وانظري: ما تصنعُ الهِمَمُ
مَن كان يجهلُ في البانينَ موضعَهم … فالصّاعدون بآمالِ البلادِ هُمُ
لولا يَذودونَ قوماً عن جوانبها … طاحت قواعدُها، أو طارت القِمَمُ
ليت المُدمِّرَ تنهاهُ معاوِلُهُ … إذ ينثنين وأمضاهُنَّ مُنثلِمُ[2]
أشقى الرجالِ بما تُملي وساوسُه … مَن ظنَّ أنّ بناءَ اللهِ ينهدمُ
وأكثرُ النّاسِ في أحلامِه شططاً … مَن كان يَطمعُ أن تُستعبَدَ الأُمَمُ
هو (الجلاءُ) وإن ريعت له فئةٌ … يودُّ ساداتُها لو أنّهم خدَمُ
ما أعجبَ القومَ، رأيُ اللاّعبين بهم … حقٌّ، ورأيُ (الجلائيّين) مُتَّهَمُ

(١) تبلّج الصبح أسفر وأضاء .
(٢) المُنثلم من انثلم السيف كُسر حرفه .

إن يسألـوا الهُـوَن[١] يُعطَـوْهُ ، وإن طُرِدوا
عـن موطـن الـذُلّ ظنـوا أنهـم ظُلِموا

لا يهجعون ، ولا يفنَى لهم صَخَبٌ — إن جفّ مُرْتَـزَقٌ ، أو عزّ مُغْتَنَمُ

تُغضِي البـلادُ حياءً من لجاجَتِهم[٢] — والحُـرُّ يُغضِي عن العـوراءِ يحتشِمُ

(رُسْلُ الصَّداقةِ)، من صرعـى (رسالتهـم)
حـقُّ البـلادِ ، ومـن قتلاهـم الشّمَمُ

راحـت تُخـادعُ منهـم كُلَّ مُختَبِلٍ — فما تريعُ[٣] ، ولا ينْـأى بهـا السَّأَمُ

لو أنهـم بذلـوا (الدُّستـورَ) تكرمةً — لمن يُبشِّرُهـم بالحكـمِ ما ندموا

هم خاصموا (مصرَ) ثم استرسلوا حنَقـاً
إلى الأُلى شرعوا العُدوان ، فاحتكموا

(بنـي الكنانـةِ) كُفّـوا عن مَقاتِلِها — أمـا لهـا ذِمّـةٌ فيكم ولا رحِمُ ؟

إنّي أرى حادثـاتِ الدّهـرِ تصدمُها — ومـا تزالُ بهـا الأحـزابُ تصطدمُ

الخَصمُ مُسْتوفزٌ[٤] العُـدوانِ مُرتقِبٌ — والشَّرُّ مُتَّقِـدُ البُـركانِ مُضطرِمُ

حَربٌ من العارِ، ما يفدي الكُماةَ[٥] بها — إلاّ المناصـبُ والأمـوالُ تُلتهمُ

عُودوا إلى الحـقِّ يحميه غطارفةٌ — لـم يَبْقَ من دونهـم للحـقِّ مُعتصَمُ

لا يعرِفـون سوى الإيمـان منزلةً — تعلـو النفـوسُ بهـا ، أو تعظم القِيَمُ

أئمّـةُ الرُّشـدِ، جاءتهـم رسالتُهم — فلا عَمىً حين جاءتهم ، ولا صَمَمُ

(١) الهُون الخزي والهوان .
(٢) اللجاجة التمادي في العناد إلى الفعل المزجور عنه .
(٣) راع رجع .
(٤) المستوفز المتهيّء للوثوب والمضي.
(٥) فرى الشيء يفريه شقّه وأفسده ، والكماة جمع كميّ وهو الشجاع المقدم الجريء .

أتى بها من بقايا (الرُّسْـلِ) مُنتَدبٌ — مـا في شريعتِـه أن يُعبـدَ الصَّنمُ

مُوفَّقُ الـرأي ، مَوفـورُ النُّهـى[١] يقِظٌ — مـا زلَّ قطُّ لِسـانٌ منـه أو قلمُ

هذا (الشّـهيد)[٢] الـذي ما انفـكّ من دمِـه
في جَفْـنِ كلّ فتـًى بالمشرقَـيْنِ دَمُ

شهِـدتُ يومَ (عليٍّ) بعـدَ مصرعهِ — فازددتُ في القلبِ جرحاً ليس يلتئِمُ

صانَ الذِّمـارَ ، وأعلى شأنَـه علَماً — صِينـتْ به الحُرمـاتُ الغُـرُّ والذِّمَمُ

حقُّ البـلادِ عزيزٌ فيه ممتنعٌ — مـا يُسْتبـاحُ ، ولا يَغشـاهُ مُهتضِمُ

ما (للكنانـةِ) إلاّ فارسٌ بطلٌ — يحمـي اللِّـواءَ ، وإلاّ صارمٌ خذِمُ[٤]

إنّـي أرى (شُهـداءَ النيل) ما برحوا — مِـلءَ الميادين والهيجاءُ تحتدمُ

يَرمِـي (فـريدٌ) ويُرمَـى بـين رُفقتهِ — والحـقُّ يَعبسُ أحيانـاً ويَبتسمُ

لاَ هُمَّ أدرِكْ حُمـاةَ الحـقِّ مُنتصِراً — إنّ (الكنانـةَ) بالأحـداثِ تزدحِمُ

***

١٩٢٧م -

(١) النهى العقل يكون واحداً وجمعاً .
(٢) محمد فريد رئيس الحزب الوطني بعد مصطفى كامل توفي في برلين عام ١٩١٩ .
(٣) علي فهمي كامل تولى رئاسة الحزب الوطني بعد محمد فريد .
(٤) الصارم السيف القاطع والخذم السريع القطع .

يا طلعة العام الجديد تهللي

في تحية العام الهجري ١٣٤٦

عامٌ أهـابَ به الزّمـانُ فأقبلا   يُزجـي المواكبَ بالأهِلَّـةِ حُفَّلا(١)

مَلَكَ الحـوادثَ ، فهـي من أجنادهِ   تأتـي وتذهـبُ في الممالكِ جُوَّلا

آنـاً يَهُدُّ بهـا الشّعـوبَ، وتارةً   يبنـي لهـا المُلكَ الأشـمَّ الأطولا

يا أيهـا العـامُ الجـديدُ أمـا ترى   أُمَمَ الكتابِ حِيالَ مَهـدِكَ مُثَّلا ؟(٢)

فَزِعَـتْ إليكَ تقصُّ من أنبائها   مـا راعَ راويةَ الدُّهـورِ فأجفلا(٣)

وتَسـوقُ بـين يديك من آمالها   مـا أخلفَ الزّمـنُ العَسوفُ(٤) وعطّلا

عبثـت بهـا الأعـوامُ قبلك فانجلت   عن لاعجٍ صَدَعَ القُلوبَ وما انجلى(٥)

صُنْهـا عنِ اليأسِ المُميتِ ، وكن لها   عـامَ الحياةِ تَنَـلْ مراتِبَهـا العُلى

رَفعَـتْ على آيِ الكتـابِ بناءَها   زمنـاً ، فهـدَّ الهادمـين وزلْزَلا

أَرِنـا كِتابَـكَ ، أو فَدَعْـه مُحَجَّباً   إنّـا نراهُ على المغيبِ مؤمَّلا

لسنـا بني الخُلَفـاءِ إن لم نَبْنِهِ   مجـداً على هامِ النُّجـوم مؤثَّلا(٦)

الله علّمنـا الحياةَ رشيدةً   وأبـى علينـا أن نَضِـلَّ ونجهلا

***

(١) أهاب به دعاه ، وحفَل جمع حافل ممتلىء .

(٢) قائمة منتصبة .

(٣) فزعت لجأت ، وراع أفزع ، وأجفل هرب مسرعا .

(٤) الشديد العسف والظلم .

(٥) اللاعج الهوى المحرق ، وما انجلى ما انكشف .

(٦) المؤثّل والأثيل الأصيل .

قُلْ للأُلَى جَهِلـوا اذْهبـوا بكتابكم   إنّـا لَنَتَّبِـعُ الكتـابَ المُنزلا

الحـقُّ عِصمتُنـا ، نَصـونُ سِياجَهُ   بالعلـمِ يَمنـعُ أن نُضـامَ ونُخْذَلا

والعـدلُ قُوَّتُنـا التـي نرمـي بها   أَعْدَى العِدَى ، فَنُصيبُ منه المقتلا

يا باعـثَ الحـربِ العَـوانِ(١) تَشوقُه   فيشُبُّهـا مِلءَ الممالكِ مُوغِلا

أَعِـدِ المناصِـلَ في الغُمـودِ بريئةً   فالحـقُّ إن حاربـتَ أقطـعُ مُنْصَلا(٢)

وَدَعِ المعاقلَ والحُصونَ، فلن ترى   كالعلـمِ حصنـاً للشُّعـوبِ ومعقِلا

المجـدُ للبطـلِ المصـونِ لِواؤُه   عـن أن يُعَـلَّ من الدّمـاءِ ويُنهَلا(٣)

***

يا طلعـةَ العـامِ الجـديدِ تهلَّلِي   فالعهـدُ بالأعـوامِ أن تتهلّلا(٤)

طَلعـتْ على الإسـلامِ في إقبالِه   نُـوراً من الأُفُـقِ المُحبَّبِ مُقبلا

***

١٩٢٧/٧/١

(١) أشدّ الحروب وهي التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى .

(٢) المنصل السيف .

(٣) يعلّ من العلّ وهو الشربة الثانية ، وينهل من النهل وهو أول الشرب .

(٤) تتلألأ .

الحقوق المسلوبة

ظِماءٌ تُريدُ الـريَّ مَن ذا يَذودُها ؟ ... أتُـوزَعُ(١) ، والأقـوامُ شتّـى ورُودُها ؟
دَعُوهـا وبَـرْدَ الماءِ تَنْقَـعْ به الصَّدَى ... ولمّا تَذُبْ أَحْشَاؤُهـا وكُبودُها
هو الموتُ إن ذِيدَتْ عن الوِردِ هِيمُها(٢) ... وظلَّـتْ حَيارَى في يَدَيْ من يَقودُها
أَفِي العدلِ أن لا ترفـعَ الـرَّأسَ أُمَّةٌ ... يَهيبُ بهـا الدّاعِـي وتأبَـى قُيودُها ؟
أُعِـدَّتْ لهـا الأغـلالُ شتّـى ، وإنَّما ... أُعِـدَّتْ لهـا أكفانُهـا ولُحُودُها
فلا عَدْلَ حتّـى تُسْتَـردَّ حُقوقُها ... ويُقْضَى لهـا اسْتِقلالُهـا ووجودُها
إذا لم تَسُـدْ مِصرٌ ولـم تَحْـيَ حُرَّةً ... فليس لِمصريٍّ حياةٌ يُريدها
ولن تُدرِكَ الأقـوامُ معنـى حياتِها ... إذا رُزِئَـتْ بالأجنبـيِّ يسودها
رَضينا بما سَنَّ (الـرَّئيسُ)(٣) فإن تكن ... لـه شِرعـةُ عَدْلٍ فتلكَ حُدودها
نُريدُ حياةً في الممالك حُرَّةً ... تُطالِعُنـا بعـد النُّحـوسِ سُعودُها
لنـا شأننـا في مصر تبغِـي بنـا العُلَى ... فَنَقضِي لهـا أوطارَهـا ونَزيدُها
سَيُقْضَى لنا إن كان في الأرضِ عادلٌ ... بِـرَدِّ حُقـوقٍ ما يُطـاقُ جُحودُها

***

-١٩٢٧-

---

(١) تُوزع تمُنع .
(٢) جمع هيماء وهي الناقة التي أصابها داء الهيام وهو داء يصيبها فتعطش ولا تروي وقيل داء من شدّة العطش .
(٣) هو الرئيس ولسن الأمريكي الذي خدع الأمم الضعيفة والدول المهضومة الحق في الحرب العالمية الأولى بأنشودته المعروفة وأساطيره الباطلة .

شهيد الهوى

في ذكرى علي فهمي كامل(١)

تُجـدِّدُ من ذكراك للشرّقِ مأتما ... ونقضي بهـا حقًّـا لمصر مُحتّما
ذكرنـا بك الأيّامَ حُمـراً من الوغى ... تشـقُّ عُبـابَ النّـارِ أو تلبسُ الدّما
على جانبَيْهـا من جهـادِكَ هَبوةٌ(٢) ... تُـريكَ الصّباحَ الطلـقَ أغبـرَ أقتما
تدَفقـتَ في مكروههـا الغمـر لُجَّةً ... تُواجـه تيّارَ الـرَّدى حيثُ يمّما(٣)
إذا ما استباحَ الذُّعـرُ مُهجـةَ باسلٍ ... دلَفـتَ تردُّ الخيلَ عن جانـبِ الحِمى
ومـا زلـتَ خفّـاقَ اللّـواءِ مُغامراً ... تَقـودُ من الأبطـالِ جيشـاً عرمرما
تُهيبُ بنـا مُستبسلـين أعزَّةً ... نـرى الموتَ فيما يُورثُ المَجْـدَ مغنما
علينـا الحفـاظُ المُرُّ نحمـي بلادنا ... وندفـعُ عنهـا الغاصـبَ المتهجِّما
نبيتُ قيامـاً نتّقِـي كلَّ طارقٍ ... إذا القـومُ باتـوا في المضاجـعِ نُوَّما

***

(شـهيدَ الهـوى) هل تعـرفُ اليومَ ذا هوًى ... يُعـاوِدُ منـه الشّـوقُ قلبـاً مُتيَّما ؟
يرى (مصرَ) أوْلَى من بنيه بنفسِه ... ومَـن نفسـهِ إن سيمَ أمـراً فصمَّما

---

(١) هي الذكرى الأولى لوفاته .
(٢) الغبرة .
(٣) الغمر الماء الكثير ، واللجّة معظمه وخص بعضهم به معظم البحر ، والردى الهلاك .

تأمّلْ وُجوهَ القومِ كيف تنكَّرتْ   فلستَ ترى فيها من الخيرِ ميسَما[1]
وعزَّ حُماةَ (النّيلِ) وَاسْتفتتِ أهلَه   أحقًّا أضاعوا الرأيَ واستشعروا العَمى ؟
مقالةُ زُورٍ من أُناسٍ أذلّةٍ   يقومون في الجُلّي[2] المقامَ المُذمَّما
أهابَ بهم من جانبِ الغيلِ فتيةٌ   أبَوْا أن يكونَ الأمرُ سِرًّا مُكتّما
قضاءُ (بني السّكسون) صادف شؤمُه   قضاءً من الغُرِّ الميامينِ مُبرَما
هُمُ اتخذوا (حقَّ الكنانةِ) معقلاً   فما يطمعُ الأعداءُ أن يتهدّما
وهم أنكروا إلاّ (الجلاءَ) فلن ترى   لغاراتهم من دون ذلك مُرتمى
مَغاويرُ لا تُرجى لديهم هَوادةٌ   وفي مصرَ عادٍ يستبيحُ المحرَّما[3]

***

ذكرتُ (عليًّا) يرفعُ الصّوتَ داعياً   إلى الحقِّ شعباً بات نَهْباً مُقسَّما
ترامت به الأهواءُ شتّى، فلم تَدَعْ   له وُجهةً إن رامَ أن يتقدّما
يرى الموتَ في رأيِ المُنادينَ باسمه   يُخالطه كَرْهاً ، ويَغشاهُ مُرغَما
دعاه إلى (الميثاق) دَعوةَ راغبٍ   إلى اللهِ يعتدُّ التقلُّبَ مأثما
مضى (جارهُ الأوفى) وجاور ربَّه   (معلّمهُ الأعلى) فكان المعلّما
يَسُنُّ لمصرَ الحُبَّ من وصفهِ الرَّدى   ويشرعُ للقومِ الجهادَ المنظَّما
ويتلو عليهم في محاريبهِ[4] العُلى   كتاباً من الإقدامِ والبأسِ محكَما
رأى (فتنةَ الأحزابِ) تعتصرُ القُوى   فشمَّر يسقيها الحِفاظَ المُسمَّما[5]

(١) الميسم أثر الحسن والجمال .
(٢) الأمر الشديد والخطب العظيم .
(٣) مغاوير جمع مغوار وهو المقاتل الكثير الغارات على أعدائه ، والمحرم الحرام وكل ماله حرمة .
(٤) المحاريب جمع محراب وهو صدر البيت وأكرم موضع فيه وقيل هو أرفع مكان في المسجد .
(٥) الحفاظ الذبّ عن المحارم والمنع لها عند الحروب والمحافظة على العهد .

يَودُّ رجالٌ غرَّهم باطلُ المُنى   لو اتّبعوا الرأيَ الذي كان أحزما
أهابَ بهم لا تأمنوا القومَ ، إنّهم   يُسِرّون يوماً للكنانةِ أشأما
فلما رأوْهُ بعد حينٍ تندَّموا   ولن ينفعَ المغبونَ أن يتندّما

***

لكَ اللهُ من دانٍ على النأي شاهدٍ   على الغيبِ ، لا عيناً يفضُّ ولا فما[1]
يُطالعنا من كلّ صوبٍ مُناجياً   وينتابُنا من كلّ أَوْبٍ[2] مُسلِّما
كذلك يستبقي العزيزُ حياتَه   ويستهلكُ الدّهرُ الذّليلَ المُلطَّما[3]
مضى في الدُّروعِ السّابغاتِ مُظفَّراً   وغُودِرَ في مثواه حُرًّا مُكرَّما
فتى البِرِّ لم يُعقِبْ سوى الذكرِ ثروةً   ولم يكُ ممّن يجعلُ الشَّعبَ سُلَّما
ونحن وَرِثنا بأسَه وسلاحه   فيالكَ إرثاً من هُدى الله قيِّما
هَلُمّوا إلينا إنّ فيهِ بقيّةً   لمِنْ كان من إرثِ النبيين مُعدِمًا
جُنِنّا بمصرٍ، ما سَلَوْنا لحادثٍ   هواها ، ولا خُنّا (الشّهيدَ المُعظَّما)

***

١٩٢٧/١٢/٣١

(١) يقال لا يفضّ الله فاك أي لا يجعله فضاء لا أسنان فيه .
(٢) الأوب الجهه .
(٣) الملطّم اللئيم .

الشرق يرجف والاسلام في فزع

في رثاء أمين الرافعي (1)

ممـا لِكَ الشّرقِ ، ما في الحـقِّ من باسِ
أشفى الجريحُ ، وضلّت حكمـةُ الآسي (2)
دَعِـي القضـاءَ ومـا تَبغِـي زَلازِلُه
بالشّامخِ الضّخـمِ ، أو بالشّاهـقِ الـرّاسي

واستقبلي ضَرَباتِ الدّهـرِ خاشعةً ... ذَهَبْـنَ بالقلـبِ أم أَوْدَيْنَ بالرّاسِ
نُداعِسُ(3) الحادثـاتِ السُّودَ ثائرةً ... والموتُ يَصرعُ منّـا كلَّ دعّاسِ
هَوَى (الأمـينُ) على أشـلاءِ رفقتِه ... في جوفِ أشـدقَ للأبطـالِ فَرّاسِ (4)
طوى الدُّهـورَ، ووارَى في جوانِحه ... مِـلءَ الممالكِ من جنٍّ ومـن ناسِ
يرمي الشُّعـوبَ إذا استعصَـتْ بطاغيةٍ ... جَمِّ الصّواعقِ ، جبّارِ القُـوَى قاسِ
بادَ الأُلى عَمَـروا الأيّامَ زاهيةً ... فما ترى العـينُ منهـم غـيرَ أرماسِ (5)
الدّهـرُ نَشـوانُ ما ينفـكُّ يَقْرَعُنا ... بالحادثِ النُّكرِ قَرْعَ الـكاسِ بالكاسِ

***

(1) توفي في ٢٩ ديسمبر ١٩٢٧ .
(2) أشفى العليل امتنع شفاؤه ، والآسي الطبيب .
(3) نطاعن .
(4) أشدق واسع الشدقين ، وفرّاس صيغة مبالغة من فرس الأسد فريسته اصطادها وأيضا دقّ عنقها .
(5) جمع رمس وهو القبر مستوياً لا يعلو عن وجه الأرض أو هو تراب القبر .

كبّـرتُ للفـارسِ المِقـدامِ مُنْعَفِراً(1) ... بين الضَّجيعَيْنِ من صِدقٍ ومـن باسِ
أَوْلَى الرّجـالِ بِسربـالِ الحياةِ فَتىً ... ضافي السّرابيلِ من نَسْجِ الوَغى كاسي (2)
لكنّـهُ الموتُ لا يُرْمَـى بأسلحةٍ ... ولا تُرَدُّ عَواديهِ بحُرّاسِ
رَمَـى (الأمـينَ) بِنـابٍ غاصَ نافِذُه ... في أُمّـةٍ رَهْـنَ أنيابٍ وأَضْراسِ
يُلقِـي الشّبّـاكَ عليهـا كلُّ مُقتَنِصٍ ... ويُدمِـنُ الفتـكَ فيهـا كلُّ نَهّاسِ (3)
ما إن تَزالُ رُعـاةُ السُّـوءِ تجعلُها ... مَرْعَى عَواسِلَ عَجلَى الشّدِّ أطلاسِ (4)
مَوقوفـةَ السّعـي ما يَمشي الزّمـانُ بها ... كأنّ آمالَهـا شُدّتْ بأَمْراسِ (5)
تُناشِـدُ العهـدَ أقوامـاً فَراعِنةً(6) ... ساسوا الشُّعوبَ فكانوا شرَّ سُوّاسِ
يَنقضُّ جلاّدُهـم في كلِّ مَملكةٍ ... يَرْمِي العبيدَ ، ويحمِي كل نخّاسِ (7)

***

بُوركت من مُؤمـنٍ ما كانَ أطهرَهُ ... على تَصـاريفِ دُنيا ذاتِ أَرْجاسِ (8)
مُستَيْقِـنِ النّفس ، لا يَغْشَى سَريرتَهُ ... ما في السّرائـرِ من ظنٍّ ووَسواسِ (9)
يَشقَـى بهِ في رِداءِ الحـقِّ كُلُّ فتىً ... نَـزّاعِ أَرْدِيَةٍ في القـومِ لبّاسِ (10)

(1) متمرّغا في التراب .
(2) السربال القميص أو كل ما يلبس ، والوغى الحرب ، وثوب ضافٍ أي سابغ .
(3) المقتنص الصياد ، والنهّاس من نهس اللحم أخذه بمقدم أسنانه .
(4) العواسل الذئاب ، والأطلاس من أوصاف الذئاب الخبيثة جمع أطلس وهو الذئب الأمعط في لونه غبرة إلى سواد .
(5) الأمراس : الحبال .
(6) فراعنة جمع فرعون كلّ عاتٍ متمرّدٍ من فرعن الرجل كان ذا دهاء ونكر .
(7) النخّاس بيّاع الرقيق .
(8) جمع رجس وهو العمل القبيح .
(9) الوسواس ما يخطر في القلب من شرّ أو ما لا خير فيه .
(10) يشير الشاعر في هذا البيت وما بعده إلى أولئك السياسيين الذين يتقلبون في مذاهبهم السياسية وراء المكاسب المادية .

جَمِّ النّـوازعِ ، لا تُحصَى مذاهِبُه ... ولا تُحَـدُّ مَنـاحيهِ بمقياسِ
جِنسٌ من الشرِّ ما ينفـكُّ واحِدُه ... يَنشـقُّ عن صُوَرٍ شتّـى وأجناسِ

***

الشَّرقُ يرجفُ ، والإسلامُ في فزَعٍ ... عـانى الممالكِ يخشى كُلَّ دسّاسِ
عالي الضَّجيجِ ليومٍ مـن مآتمِهِ ... كيومِ (حمزةَ) أو يوم (ابنِ عبّاسِ)[1]

صَيحاتُ (تُونسَ) ما انفكّتْ تجاوِبُها
أنّـاتُ (بـكين) أو رنّـاتُ (مِدارسِ)[2]
وعِنـدَ (مكّةَ) إذ أودَى وجـارتِها
ما عنـد (بغدادَ) من همٍّ وإبْلاسِ[3]
تمضي الخـطوبُ فتُنْسَى بعدَ شِدَّتِها
وما لخِـطبِ (بني الفاروقِ)[4] من ناسِ
راحـوا به صَيِّباً من حِكمةٍ وهُـدىً
في صَيِّبٍ من دُموعِ الـرُّسْلِ رَجّاسِ[5]

نُورٌ مِـن الملإِ الأعلى مَطالِعُه ... ينسابُ ساطِعُـه في كلِّ نبراسِ[6]

(١) حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، قتل في غزوة أحـد ، وعبـد الله بن العبّاس ابن عمّ النبيّ لُقّب «بحبر الأمة » وهو من رواة الحديث المشهورين ، ناصر عليّاً ثم والى الأمويين . توفي في الطائف .

(٢) بكين عاصمة الصين سابقا، ومدراس عاصمة إقليم في الهند الجنوبية مُسمًّى بنفس الاسم .

(٣) جارة مكة المقصود بها المدينة المنورة ، وأبلس الرجل تحيّر في أمره وسكت غمّا .

(٤) الفقيد يرتقي بنسبه الى عمر بن الخطاب .

(٥) صيّب الأولى بمعنى الخَيِّر ، والثانية بمعنى المطر ، ورجّاس شديد الهدير أو الصوت .

(٦) الساطع ما انتشر من النور ، والنبراس المصباح (سريانية) .

الفارسُ العدلُ ، لم يجهلْ على بَطَلٍ ... ولم يُذِقْهُ الرَّدى إلاّ بقِسْطاسِ[1]
والكاتبُ الحُرُّ ، لم يهتِكْ حِمى قلمٍ ... بالتُّرُّهاتِ ، ولم يَعْبَثْ بقِرْطاسِ[2]
مِن معشرٍ غيرِ أنكاسٍ ولا وُهُنٍ ... مُسْتَمْسِكينَ بحبلِ اللهِ أكياسِ[3]
لا تَستبيحُ الدَّنايا خِيسَ مَكرُمَةٍ[4] ... إلاّ احتمتْ من سَجاياهم بأخياسِ
هُمُ الكنانةُ ، ترمي كلَّ مُرتَبِىءٍ ... ضاحي السّهامِ ، وتنفي كلَّ عسّاسِ[5]
لسنا مَطايا الأذى إن حاجةٌ عَرَضتْ ... لِلغاصبينَ ، وما كُنّا بأحْلاسِ[6]
لا يَصلحُ الأمرُ إلاّ في مَدارجِهِ ... ولا تطولُ الذُّرَى إلاّ بآساسِ[7]
لا جَفَّ مَثواكَ من ناءٍ ، تحيّتُه ... ما في الفراديسِ من وَرْدٍ ومن آسِ[8]
أكبرتُ رُزءَكَ ،[9] حتّى ما تُجاوِرُني ... خضراءُ إلاّ ذَوَتْ من حرِّ أنفاسي
وكيف تملكُ نفْسِي فيكَ تأسيةً ... والحزنُ يملِكُ وِجداني وإحساسي ؟[10]

(١) جهل عليه حَقَّ وغلظ وتسافه ، والردى الهلاك ، والقسطاس الميزان ويكنى به عن العدل .

(٢) الترّهات الأباطيل والدّواهي جمع تُرّهة ، والقرطاس الصحيفة التي يُكتب فيها .

(٣) أنكاس جمع نِكس وهو الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه ، وأكياس جمع كيّس وهو العاقل الفطِن .

(٤) الخيس بيت الأسد .

(٥) المرتبىء المشرف والمراقب ، وضاحي السهام بارزها ، والعسّاس الذي يطوف بالليل يريد الفساد .

(٦) جمع حلس وهو ما يوضع على ظهر الدّابة ، وكان بعض الزعماء يقول في بعضهم « برادع الانجليز » .

(٧) مدارج جمع مدرجة وهي معظم الطريق وسننه ، والذرى جمع الذروة وهي المكان المرتفع ، والأساس أصل البناء وقاعدته .

(٨) المثوى المنزل ، والنائي البعيد ، والفراديس جمع فردوس وهو البستان والجنّة ، والآس جنس نباتات ورقها دائم الخضرة وزهرها أبيض ويسمى أيضا بالريحان .

(٩) الرزء المصيبة العظيمة .

(١٠) الوجدان في عرف بعضهم هو النفس وقواها الباطنة .

لي مِن مُصـابِكَ إن نَفْسُ امْرِىءٍ سكَنَتْ

نَفسُ الجَريح ، وقلبُ الجازعِ الآسى[1]

أبكى (الكِنانةَ) حَيرى ، لم تُصَبْ سَعَةً

مِنَ الـرّجاءِ ، ولم تَنْزَعْ إلى الياسِ

ما للمآتمِ والأعراسِ مِن خَطَرٍ　　مآتمي هي في الدُّنيا وأعراسي

***

الأخبار ٨/ ١/ ١٩٢٨

(١) الآسى الحزين .

إلينا شباب النيل[1]

رَكدتَ ، وهَبّتْ لوعةُ الحُزنِ تَدأبُ

وَنِمتَ ، وما نامَ الحَريبُ[2] المُعذَّبُ

أمِن شيمةِ الأبطالِ أن يَبعثوا الوَغَى

فَإنْ أوشكَتْ أن تبعثَ النَّصرَ نَكَّبوا ؟[3]

بِعينكَ ما تَلْقَى مِن الضَّيمِ أُمَّةٌ

تَبيتُ بوادي النّيلِ حَيْرَى تَقَلَّبُ[4]

أخيذةُ[5] أحداثٍ تَظلُّ غُزاتُها　　مُظفَّرةً أبْطالُها ما تُخيَّبُ

جَرَتْ بارحاتُ الطيرِ ترمي رَجاءَها　　بأسحمَ ما ينفكُّ حرّانَ ينعبُ[6]

ألاَ قدَرٌ للهِ يجري سَنيحُه[7]　　بحاجاتها ، أو آيةٌ منه تُكتَبُ ؟

لَعمرُ الأُلَى هانتْ عليهم صُدوعُها　　لقد غالَهَا الصَّدعُ الذي ليس يُرأَبُ[8]

(١) ألقيت في حفل تأبين أمين الرافعي بدار سينما متروبول بالقاهرة .

(٢) السليب .

(٣) نكّبه الطريق ونكّب به الطريق ونكّب به عن الطريق عَدَلَه عنه ونَحّاه .

(٤) الضيم الظلم ، وتقلّب أي تتقلّب .

(٥) الأخيذة ما اغْتُصِب فأُخِذ .

(٦) البارح من الطير ما ولّاك مياسرة وكانت العرب تتطيرّ به ، والأسحم الأسود وهو صفة الغراب ، ونعب الغراب أنذر بالبين .

(٧) السَنيح ضد البارح .

(٨) رأب الصدع أصلحه .

إذا هي جدَّتْ تطلبُ الحقَّ ردَّها ... مُعنًّى(١) بإدمانِ الأباطيلِ يلعبُ

تورّعَ يستهوي الحُلومَ ، فأقبلتْ ... جماهيرُها تستنُّ(٢) أيانَ يذهبُ

فلمّا ارتمتْ مِلءَ العِنانَيْنِ خالَها ... عصافيرَ تُزجَى ، أو قواريرَ تُجلَبُ

وأعرضَ يَقضِي حاجةَ النفسِ لا يرى ... لها حاجةً مِن دُونِ ذلكَ تُطلَبُ

يُعلّمها أن تجعلَ الغدْرَ مركباً ... إذا لم يكن مِن صالحِ البرِّ مركبُ

كذلكَ يُعدِي(٣) المرءُ أخلاقَ قومِهِ ... ويهدِمُ منها ما بناهُ المؤدِّبُ

***

سلُوا (مِصرَ) إذ أَوْدَى (فتاها المُحبَّبُ)

أَمَا انصرفتْ آمالُها وهي نُحَّبُ ؟(٤)

وحُوطوا حِمَى الإسلامِ ، إنّي أخافُها

كتائبَ شتَّى حولَه تتألَّبُ(٥)

لقد كان مِلءَ المشرقَيْنِ كِلاءةً(٦) ... إذا انبعثتْ أو أمسكتْ تترقَّبُ

تَجولُ المنايا حولها كُلّما ارتمتْ ... قذائفُ منه جُوَّلُ الهَولِ جُوَّبُ

دعوتُ (الأمينَ) الحرَّ دعوةَ مُشفِقٍ ... يرى دولةَ الأحرارِ في مِصرَ تُنكَبُ

منايا غَلَبْنَ البأسَ يَعصِفُ بالقُوى ... وأهواءُ دُنيا هُنَّ أقوى وأغلبُ

تتابعَ أبطالُ الجهادِ وغُودِرتْ ... بقايا سُيوفٍ في يدِ اللهِ تَضرِبُ

---

(١) المعنّى المهتم .
(٢) تعدو مسرعة .
(٣) أعداه أي أكسبه ما به من خُلُق سيء .
(٤) من النحيب وهو أشدّ البكاء .
(٥) تألّب تجمع وتحشّد .
(٦) الكلاءة الحفظ والحراسة .

تَقَرُّ العَوادِي(٥) حين يَهتاجُ سِربُها ... وتَرْضَى السّماواتُ العُلَى حين تَغضبُ

تَصونُ جَلالَ الدّينِ والدّينُ يُزْدَرَى(١)

وتَحمِي لِواءَ الحقِّ ، والحقُّ يُسلَبُ

أَقامَ الهُدَى أعلامَهُ في ظِلالِها ... فما فيهِ للغاوي المُضلِّلِ مأربُ(٢)

دَوافعُ لِلجُلَّى(٣) ، سَواطعُ في الدُّجَى ... طَوالعُ لِلسَّارينَ، والشُّهبُ غُيَّبُ

مَنعنا بها عِرضَ الكِنانةِ، إنّه ... بمَجْرَى السَّنا منها مُقيمٌ مُطنَّبُ(٤)

يَضيقُ به الخَصمُ اللَّجوجُ فيرعِوي(٥) ... ويرتدُّ عنه الطامحُ المُتوثِّبُ

يَرى الدّهرُ أن يَبتزَّهُ وهو مُشفِقٌ ... ويُغرِي به أَحداثَه وَهْيَ هُيَّبُ(٦)

وإنّا لنَأْبَى أَن نَرى مِصرَ عَوْرةً ... نُسَبُّ بها في العَالَمِينَ ونُثْلَبُ(٧)

أَنترُكُها نَهْبَ المُغيرينَ ؟ إنّنا ... لَتُنكِرُنا آباؤنا حِينَ نُنْسَبُ

أَنحنُ بنو القومِ الأُلَى زَلزلوا الدُّنَى

وثَلّوا العُروشَ الشُّمَّ ؟ أم نحن نكذبُ ؟(٨)

أَرَى المرءَ يأبى أن يُقارِفَ(٩) خُطَّةً

تنكَّبها مِن قبلِ أن يُولَدَ الأبُ

***

---

(١) قرّ ثبت وسكن ، والعوادي العوائق والصوارف .
(٢) ازدراه احتقره واستخفّ به .
(٣) الغاوي المُضِلّ ، والمأرب الحاجة .
(٤) الخطب العظيم .
(٥) السنا البرق ، ومطنب من طنّب الخيمة شدّها بالأطناب وأيضا بالمكان أقام .
(٦) اللجوج من لجّ في الأمر تمادى فيه وأبى أن ينصرف عنه ، ويرعوي أي يكفّ .
(٧) ابتزّه سلبه قهراً ، وهيّب خائفة .
(٨) العورة كل أمر يُستحيا منه ، وثلبه عابه ولامه .
(٩) الدُّنى جمع الدنيا ، والشمّ جمع الأشم أي العالي المرتفع .
(١٠) قارف الذنب خالطه .

هَلُمّوا شَبابَ النّيلِ ، فالبِرُّ أوجَبُ ... أَمِن حقِّهِ أن تنعموا وهو مُتْعَبُ ؟

هَلُمّوا إلى البيضاءِ إن رابَ مَذهبٌ ... وأُمّوا سَواءَ الأمرِ إن مَالَ أَنْكَبُ[1]

هَلُمّوا فصُونوا (لِلكنانةِ) مَجْدَها ... وكونوا لها الجُندَ الذي ليس يَرهبُ

أقيموا على الأخلاقِ بُنيانَ عِزِّها ... فقد هَجَعَ الباني ، وهَبَّ المُخرِّبُ

بكيتُ على الماضينَ مِن شُهدائِكم ... يُباعُ الدَّمُ المسفوكُ مِنهم ويُوهَبُ

قَرابينُ رِيعَتْ في مَحاريبِ قُدْسِها ... وما بينها جانٍ، ولا ثَمَّ مُذنِبُ

تَناسَى (حُماةُ النّيل) أيّامَ قُرِّبَتْ ... فضاعتْ غَواليها ، وضَاعَ المُقرِّبُ

بُهِتُّ ، فما أدري أَماءُ مِرَشَّةٍ ... يُراقُ جُزافاً ، أم دَمٌ يَتصبَّبُ[2]

رَنَى الأُسْرُبُ الجاني لِفرطِ هَوانِها ... على القومِ ،واسْتَحيا السِّلاحُ المُخضَّبُ[3]

وأَصبحَ راميها تلوحُ شُخوصُها ... فيَأْسَى ، وتشكو ما دهاها فيَحدَبُ[4]

لَئِنْ عَجِبَ الأقوامُ مِن سُوءِ صُنعِهِ ... لَصُنعُ الأُلَى حَالوا[5] عَنِ العهدِ أعجبُ

مَضَوا هَدَراً مِثلَ الرّياحينِ غالَها ... وَشيكُ الرَّدى ، أو هُم أبرُّ وأطيبُ[6]

فَمِن لاعجٍ للوجدِ يُذكيه لاعجٌ ... وَمِن صَيِّبٍ للدّمعِ يُزجيهِ صَيِّبُ[7]

ضَحايا من الأبرارِ ضَجَّتْ قُبورُها ... فَضَجَّ المُصلَّى ، واقْشعرَّ المُحصَّبُ[8]

***

(١) البيضاء الطريق الواضح الجليّ ، وراب تحيّر ، وأمّ قصد ، والأنكب الذي يمشي مائلاً .

(٢) بهِتَ دهش ، والمرشّة ما يُرّش منه الماء ونحوه ، وجزافاً أي دون تبصّر .

(٣) الأسرب الرصاص ، والمخضّب أي الملوّن بلون الدم .

(٤) الشخوص جمع الشخص وهو سواد الانسان تراه من بعد ، ويأسى أي يحزن ، ويحدب أي يعطف .

(٥) حال عن العهد انصرف عنه .

(٦) يقال ذهب دمه هدراً أي باطلا ، ووشيك الردى أي الهلاك السريع .

(٧) اللاعج : الهوى المحرق ، والوجد الحزن ، وأذكى النار أوقدها ، والصيّب المطر ، وأزجاه دفعه .

(٨) المحصّب موضع رمي الجمار بمنى .

هَلُمّوا شَبابَ النّيلِ ، لا تَتَهيَّبوا ... فقد نَشطَ الدّاعي ، وجَدَّ المُثوِّبُ[1]

هو الحقُّ ما عن نَهجِهِ مُتحوَّلٌ ... لِمَنْ يبتغِي المُثلَى ، ولا منه مَهربُ

أجيبوا سِراعاً ، إنّها ساعةُ الوَغَى ... وإنّا لَنخشَى أن يطولَ التأهُّبُ

إذا السّيفُ أَمضَى في الكتائبِ حُكمَهُ ... فماذا عَسَى يُغنِي الكميُّ[2] المُجرَّبُ

إلينا شَبابَ النّيلِ لا تَعْدِلوا بنا ... فلا القاعُ غَرّارٌ ، ولا البرقُ خُلَّبُ[3]

إلى أُمَّةٍ تُلقِي إليكم رَجاءَها ... إذا هاجَها يومٌ مِن الشَّرِّ أشهبُ[4]

عَرفنا لها ما جَلَّ من حُرُماتِها ... فلا نَحنُ نُؤذيها ، ولا هِيَ تَعتِبُ

أُولئكَ أعلامُ الجهادِ ، فكبِّروا ... وتلكَ أناشيدُ البلادِ ، فأَوِّبوا[5]

***

٣/٢/١٩٢٨

(١) ثوّب المؤذن دعا الناس إلى الصلاة .

(٢) الشجاع .

(٣) القاع الأرض السهلة المطمئنة تنفرج عنها الجبال والآكام وذلك حيث يكون السراب ، والبرق الخلّب الذي يكون في سحاب خلّب أي لا مطر فيه فكأنه يخدع .

(٤) شديد .

(٥) التأويب ترجيع الصوت ، والتكبير أن تقول « الله أكبر » .

يوم الشهداء [1]

حيُّوا بمصرَ حُماتَهـا الأحرارا … وتَـذكَّروا شُهـداءهـا الأبرارا
إنّـي لأُبصِرُ مصرَ في أعيادها … وأرى المهـارجَ[2] في السَّماءِ كِبارا
حيّتـكمُ الرُّسُـلُ الـكِرامُ ، وجاءَكم … وَفـدُ الملائكِ يحمـلُ الأقمارا
كبّـرتُ واستأذنـتُ آخـذُ موقفي … بـين المصـاحـفِ أنشُـدُ الأشعارا
فإذا الأئمّـةُ يهتـدون بنُورها … وإذا الخَـوارجُ يَذهبـون حيارى
وَحـيٌ من الإيمـان يكشفُ نُوره … حُجُبَ الضّـلالِ ، ويهتـكُ الأستارا
باسـمِ الـذي جعـلَ البيانَ أمانةً … أقضِي الحُقـوقَ ، وأُكرِمُ الآثارا
هيَ هِمّـةُ الشّعـبِ الأبـيِّ وَبأسُه … وَجِهـادُه يستـدفـعُ[3] الأقـدارا
ينطـادُ[4] عُلْـويَّ المطالـبِ مُمعِناً … ويصـولُ جنِّـيَّ القُـوى جبّارا
يَطوِي الـزّلازلَ والرُّجـومَ إذا انْبرى … يمحـو الحُصـونَ ، ويمسـحُ الأسوارا
تَعيَـتْ خطوبُ الدّهـرِ فيه ، فأذعنتْ … تُلقِـي القِيادَ ، وتبسـطُ الأعذارا
ولِعَـت بمُصطَـرِمِ الإبـاءِ ومارسَتْ … جَلْـداً [5] على أهوالهـا صبّارا
والشّعـبُ إن جمع الصُّفـوفَ مجاهداً … غلـبَ الصِّعـابَ ، وأدركَ الأوطارا

(١) ألقيت في الحفل الذي أقامه الحزب الوطني .
(٢) جمع مهرجان الاحتفال العظيم .
(٣) يطلب أن تُدفع عنه .
(٤) انطاد صعد في الهواء .
(٥) الجلد الشديد القويّ .

مَنْ يملكُ السَّيلَ الأتيَّ [1] إذا انْتحَى … مِلءَ الشِّعـابِ ، ويُمسِكُ التيّارا ؟
ومَـنِ الـذي ينهَـى الـرِّياحَ ذوارياً … ويَسومُهـنَّ إذا عَصَفْـنَ قَرارا ؟
شرُّ السياسـةِ أن تَسـودَ بَنِـي الدُّنَى … غَصْبـاً ، وتلتهـمَ الدُّنَـى استعمارا
ما شاءَ ربُّـكَ أن يكونَ عِبادهُ … هَمَـلاً ، ولا خَلـقَ الشُّعـوبَ أُسارى

***

هُبّوا بني الشُّـهـداءِ ، هذا يومُهم … هاج (البقيعَ) أسًى ،وهزَّ (الغارا) [2]
أهُـمُ الأُلى رفعوا اللّـواءَ تحيّةً ؟ … رُدُّوا التحيّـةَ ، وارفعوا الأبصـارا
هبطوا كَمُندفعِ الشُّعـاعِ جَرى ضُحىً … يَرِدُ البِقـاعَ ، ويهبطُ[3] الأقطارا
وتنـزّلوا مِلءَ الجِـواءِ جَلالةً … وهُـدىً ، ومِلءَ الـواديَيْن وَقارا
إنّـي لأنـظرُ (مُصـطفَـى)[4] ورفاقَهُ … بـين الصُّـفـوفِ مُكبِّرين جِهارا
اللهُ أكبرُ ما لنفسٍ عِصمةٌ … حتّى يكونَ لهـا الإباءُ شِعارا
سكن الضِّـعـافُ إلى الحياةِ مَذلّةً … وأبَـوْا ، فكانـت عِزّةً وفخارا
والنّاسُ يأبـون الصَّغـائـرَ مطلباً … إلاّ إذا حمَلوا النُّفوسَ صِغارا
دَفعوا العـدوَّ عن البلادِ مُناجزاً … وَرَمَـوا بـه مُتغلِّباً قهّارا
لم يُغنِه (الأسـطولُ) يَغمـرُه دماً … و (الجيشُ) يُطعِمهُ الممالكَ نارا
الحقُّ أُسـطولُ الضّعيفِ وجيشُه … إن شنَّ حربـاً ، أو أرادَ مَغارا[5]
إن كنتَ مُتّهِمِي ، ولستُ بمُغرِقٍ [6] … فَسَلِ القَـويَّ إذا طَغَى أو جارا

(١) السيل الأتيّ هو الذي يأتي من حيث لا يدرك .
(٢) البقيع مقبرة المدينة ، والغار غار حراء .
(٣) يأتي .
(٤) الزعيم مصطفى كامل ، وجهاراً رافعين أصواتهم .
(٥) المغار الغارة .
(٦) من أغرق في الأمر بالغ فيه وأطنب .

كم دولةٍ للظُّلمِ عاتيةٍ رَمَى … نَفَسُ اللَّهيفِ كِيانَها فانهارا

إنّ الأُلَى سَدُّوا السَّبيلَ على العِدَى … فتحوا العُقولَ ، وحَرَّروا الأفكارا

نَصروا الكِنانةَ حين ضاقَ خِناقُها … فتفجّعتْ تستصرِخُ الأنصارا

وَهَبوا لها أعمارَهم ، وكأنّما … وَهبتْ لهم من أهلها الأعمارا

تَركوا المنازِلَ والدّيارَ ، فأصبحوا … سكنوا الخُلودَ منازلاً وديارا

إنّي رأيتُ النّاسَ رُسْلَ هدايةٍ … بذلوا النُّفوسَ ، وآخرين تجارا

هلاّ سألتَ القومَ أين زعيمُهم … أأصاب ربحاً أم أصاب خسارا ؟

لن يَبعثوهُ ، ولن يُتاحَ له الغِنَى … ولو أنّهم جعلوا الضَّريحَ نُضارا

***

(يومَ الكنانةِ) أنت أبلغُ واصفٍ … فصِفِ الوقائعَ ، وانشُرِ الأخبارا

وانشُدْ ودائعَ (يومِ بدرٍ) إنّه … أمسى أخاً لكَ صادقاً ، أو جارا

أَخَوانِ في ذاتِ الإلهِ ، كِلاكُما … نصرَ الكتابَ ، وجاهدَ الكُفّارا

بالمانعينَ الحقَّ ريعَ لِواؤُه … والدّافعينَ عن الحِمَى الأخطارا

النّاهضينَ إلى اللّقاءِ أعزّةً … المُعرضينَ عن الدِّماءِ طَهارى

مِن كلِّ مُنصلِتٍ[1] أهابَ به الرَّدى … فأجابَ لا وَجِلاً ولا خوّارا

نَبَتِ الصَّوارِمُ في الكريهةِ فانتضتْ … منه المَنيّةُ صارماً بتّارا[2]

يا يومَ جَدّدَ لِلكنانةِ عهدَهم … بُوركتَ يوماً صالحاً ونهارا

أرِنا الوغَى تجلو السُّيوفَ بَواتِراً … والخيلَ جُرْداً ، والعَجاجَ مُثارا[3]

(١) المنصلت من الرجال الشجاع الماضي في الحوائج .

(٢) الصوارم جمع صارم السيف ، ونبا السيف كلَّ وارتدّ ، وانتضى السيفَ استلّه من غمده ، وبتّار قطّاع .

(٣) الجرد جمع أجرد وهو من الخيل السبّاق ، والعجاج الغبار .

وأفِضْ على النّيلِ الدِّماءَ زَكيّةً … تُحيي القُرى مَوْتى الزُّروعِ قِفارا

زَهَتِ البلادُ ، وما فتِئْنَ هوامداً … ومضى الزّمانُ ، وما بَرِحْنَ حِرارا[1]

إنّ الذي منعَ الكنانةَ رِيَّها … أخْلى الجداولَ منه والأنهارا

يجري الصَّدَى[2] فيها ، ويندفعُ الرّدى … مُتدفِّقاً مِلءَ القُرى زخّارا

***

سُبحانكَ اللّهمَّ أنتَ قضيتَها … دُنيا تدورُ صُروفُها أطوارا

تعلو وتسفُلُ بالشّعوبِ حثيثةً … وتُتابِعُ الإقبالَ والإدبارا

أدْرِكْ بفضلكَ أُمّةً موقوذةً[3] … تشكو إليكَ رُماتَها الأغرارا

ملكَ القضاءُ سبيلَها ، فاملكْ على … (عِزريلِها) الأنيابَ والأظفارا

وأذِقْهُ حُكمكَ في المَمالكِ ، إنّها … ذاقتْ على يدِهِ الحِمامَ مِرارا

وتولَّنا في المؤمنينَ ، وآتِنا … نصراً يَزيدُ المجرمينَ تَبارا[4]

لِمَنِ ادّخرتَ النّصرَ أو أعددتَه … إن كنتَ تخذُلُ حزبَكَ المُختارا ؟

أنْظُرْ إليه على تمرُّدِ خصمِه … أأضاعَ حقّاً أم أباحَ ذِمارا ؟

إنّا اتّبعنا فيك آثارَ الأُلى … جعلوا كتابَكَ سُنّةً ومنارا

ثبِّتْ على الحقِّ المبينِ قُلوبَنا … في المتّقينَ ، وزلزلِ الفُجّارا

***

١٦/ ٢/ ١٩٢٨

(١) جمع حرّان الشديد العطش .

(٢) العطش الشديد .

(٣) الموقوذة الشديدة المرض المشرفة على الموت من وقذه صرعه .

(٤) التبار الهلاك .

بني الإسلام إقداما

نشيد النهضة الإسلامية

بَنِي الإِسلامِ إقداما   كَفَى دعةً وإحجاما[1]

هَلُمُّوا[2] نرفعُ الهاما   أنقضي الدهرَ نُوَّاما ؟

***

على الآثارِ فانطَلِقُوا   إلى (المُختارِ)[3] فاستَبِقوا

لكُمْ في سعْيِكم طُرُقُ   تُبِثُّ[4] النُورَ أعلاما

***

سَلُوا القومَ الأُلى ذهبوا   بأيّةِ قُوّةٍ غَلَبوا ؟

أقاموا الحقَّ فانتُدِبوا[5]   لأهلِ الأرضِ حُكّاما

***

أُولُو السُّلطانِ والخَطَرِ   على التِّيجانِ والسرُرِ

---

(١) الدعة الراحة وخفض العيش ، والإحجام النكوص.

(٢) هلُمَّ كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء كتعال فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية مثل هلمّ شهداءكم ، وهي من أسماء الأفعال ويصرفونها بأن يجعلوها فعلا ويلحقوها بالضمائر .

(٣) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) بثّ الخبر أذاعه ونشره .

(٥) انتدبه لأمرٍ دعاه .

أَبَوْا في غيرِ ما أَشَرِ   سوى الأملاكِ خُدّاما[1]

***

رمَوْا بالبأسِ مُحتَدِما[2]   قضَوْا بالسَّيفِ مُحتَكِما

إذا ما خاصمَ الأُمَما   مضَى نَقْضاً وإبراما[3]

***

نَهَضْنا نَتْبَعُ السَّنَنا[4]   ونَحمِي الدِّينَ والوطَنا

بَذَلْنا الرُّوحَ والبَدَنا   فِدىً لهما وإكراما

***

هُما رَمْزُ الحَياةِ معا   فإنْ ذَهَبا مَضَتْ تَبَعا[5]

ومَنْ لم يَرْعَ[6] ما شرَعا   فما صَلَّى ولا صاما

***

مجلة الفتح عدد ٨ ربيع الأول ١٣٤٧هـ

---

(١) الأشر البطَر والمرَح ، والأملاك والملوك جمع الملك .

(٢) البأس القوة والشجاعة ، واحتدم اشتعل غيظا .

(٣) النقض والإبرام الحلّ والربطمن نقض الحبل حلّه وأبرمه فتله .

(٤) السنن نهج الطريق .

(٥) التبع المُنقاد يقع على الواحد والجمع .

(٦) رعى الأمر حفِظَهُ .

عيد الفداء

عيدُ الفِداءِ جَرى باليُمنِ طائِرُهُ ... وَجدَّدتْ نَضرةَ الوادي بَشائِرُهُ

إنْ آثرَ الصَّمتَ يُغريهِ الوَقارُ بهِ ... ضَجَّتْ بمكتومِ ما تُخْفي سرائرُهُ(1)

وإن طَوى مِن حَديثِ الغيبِ ما حمَلَتْ ... صُحفُ الزّمانَ، طَوى الآفاقَ ناشِرُهُ

تِلكَ البَوادرُ(2) لاحتْ غيرَ كاذبةٍ ... ما أسرعَ الأمرَ إن لاحتْ بوادرُهُ

الشَّرقُ ينهضُ، والإسلامُ مُنتفِضٌ ... يَبغي المطارَ(3)، ويأبى الأسرَ ثائرُهُ

صاحَ الحُماةُ به، فاستنفرتْ أُمَمٌ ... دارَ الزمانُ، فغالَتْها دوائرُهُ(4)

نامتْ عنِ الأمرِ حتّى ضاعَ أكثرُه ... والدّهرُ مُستوفِزُ الحِدثانِ ساهرُهُ(5)

حِينٌ من الدّهرِ ما ساءت أوائلُه ... إلاّ لِتَزدانَ بالحُسنى(6) أواخرُهُ

جَدُّ الممالكِ ما استعلتْ مَطالِعُه ... بالنّاهضينَ، وشرُّ الجَدِّ عاثرُهُ(7)

(1) الوقار الرزانة والحلم، وضجت صاحت، والسرائر جمع السريرة وهي النيّة.
(2) البوادر جمع البادرة وهي ما يبدو من الأمر.
(3) انتفض تحرّك، والمطار موضع الطيران.
(4) استنفر ونفر القوم للقتال ذهبوا، ودار الزمان دال وتقلّب، وغاله أهلكه وأخذه من حيث لا يدري، والدوائر جمع الدائرة وهي النائبة من صروف الدهر.
(5) والمستوفز المُتهيّئ للوثوب، وحدثان الدهر نوائبه.
(6) الحسنى العاقبة الحسنة.
(7) الجد الحظ، والمطالع مواضع طلوع الكواكب ويُتفاءَل بها إن سعداً أو نحساً، وعثر جدّه أي تعس وهلك.

وأصدقُ العزمِ ما لو جاشَ مُصطخِبٌ ... مِنَ الحوادثِ غالَتْهُ زَواخِرُه(1)

جابَ الجِواءَ، ونالَ النَّجمَ مُنصلِتٌ ... أعيا العُقابَ، وراعَ النَّسْرَ كاسِرُهُ(2)

ظَنُّوا بهِ من ظُنونِ السُّوءِ ما ضحكتْ ... جُنودُهُ منه، واستَحيتْ بَوادِرُه(3)

اللّيثُ مُستَجمِعٌ يَبغي فريستَهُ ... والويلُ للقومِ إن همّتْ أظافِرُه(4)

لَتمنعنَّ دمَ الإسلامِ ملحمةٌ ... يَسيرُ فيها على الأشلاءِ شاعِرُه(5)

واليأسُ إن طرد الإيمانُ رائِدَهُ(6) ... لم يَبْقَ للنَّفسِ مِن شيءٍ تُحاذِرُهُ

ما بِتُّ إلاّ أظنُّ الصُّبحَ يكشفُ لي ... عَن غُرَّةِ الزّمنِ الوضّاحِ سافِرُه(7)

***

- ١٩٢٨ -

(1) المصطخب من اصطخب الطير اختلطت أصواتها، والزواخر البحار.
(2) جاب: قطع، والجواء جمع جو ما بين الأرض والسماء، والمنصلت الماضي في الأمر، والعقاب طائر من الجوارح قويّ المخالب وله منقار أعقف، وكاسر أي مُنقضّ يكسر جناحيه أو يكسر ما يصيده كسراً.
(3) البوادر جمع البادرة وهي طرف السهم من جهة النصل.
(4) الليث: الأسد، ومستجمع أي جامع قواه، والويل الهلاك، وهمّ بالشيء عزم عليه وقصده.
(5) الملحمة الموقعة العظيمة القتل في الحرب، والأشلاء أعضاء الجسم.
(6) الرائد: الرسول.
(7) الغرّة من كل شيء أوّله ومعظمه وطلعته، وسافر من سفر الصبح أضاء وأشرق، والوضّاح الأبيض اللون.

العلم المفدى

أَعيدوا الحقَّ ، واتَّخِذوهُ عَهْدا ... وصُونوا الشّرقَ في العَلَمِ المُفدَّى

هَلُمُّوا ، فارْفَعوهُ مَنارَ صِدقٍ ... يَفيضُ شُعاعُه شَرَفاً ومجدا

إذا باتت شُعوبُ الشَّرقِ حَيْرى ... أضاءَ لها السَّبيلَ هُدىً وَرُشدا

عُصارةُ أكرمِ المُهجاتِ عهداً ... وَأَمْضى البارقاتِ البيضِ حَدّاً(١)

يَرِفُّ فيقذفُ الأبطالَ غُلْباً ... تجيشُ إلى الوغى بالخيلِ جُرْدا(٢)

فَمَن يَكُ سائلي عن مجدِ قومي ... فإنّي أبلغُ الشُّعراءِ رَدّا

هُمُ الْتَمسوا المَوارِدَ صافياتٍ ... فلم يجِدوا كحدِّ السّيفِ وِردا(٣)

وهُمْ عَرَفوا البِناءَ فلم يكونوا ... كمَن يَطغى على البانينَ هدّا

أَبَوْا لِبلادِهم إلاّ حياةً ... تَشُقُّ(٤) على القَوِيِّ إذا استبدّا

إذا ما آثرَ القومُ الهُوَيْنا ... رَمَوْا بِنُفوسِهم كدحاً وكَدّاً(٥)

ومَن طلبَ الحياةَ طِلابَ حُرٍّ ... فليس يَرى من الإقدامِ بُدّا(٦)

***

- ١٩٢٩ -

(١) البارقات البيض السيوف .

(٢) رفّ لمع ، والغلب جمع الأغلب أي الأكثر غَلَبةً وقهرا ، وجاش هاج واضطرب ، والوغى الحرب ، والجرد من الخيل السبّاقة

(٣) الورد الماء الذي يُورد .

(٤) شقّ الأمر على فلان أوقعه في المشقّة .

(٥) الهوينا التؤدة والرّفق تصغير الهُونَى ، والكدح والكدّ بمعنى الاشتداد في العمل والتعب والسعي الدائم فيه .

(٦) البدّ المهرب .

قل يا وفيق

تحية جريدة الأخبار في عهدها الجديد(١)

أرأيتها تبغي السَّبيلَ فتهتدي ؟ ... وتسنّها بيضاءَ للمُسْترشِدِ ؟

حَيِّ الشُّعاعَ المُستفيضَ، وَسِرْ على ... بركاتِ ربِّكَ في السَّنا المتوقّدِ

حَيِّ الأخيذةَ(٢) طال عنك بِعادُها ... ثم انثنتْ ، فكأنّها لم تبعدِ

هي تلك تعرفها بحسنِ سِماتِها ... وبما تريك من الطّرازِ الأوحدِ

طلعت عليك (الرافعيّةُ) حُرَّةً ... في موكبٍ للحقِّ فخمِ المشهدِ

تُلقِي الجِنانُ عليه أنضرَ ما بها ... من سَوْسَنٍ عَبِقٍ ، ورَيحانٍ ندِ

أخذ (الأمينُ)(٣) مكانه في صدرها ... فزهت بدين هُدىً ، ودنيا سُؤدُدِ

اللهُ آثر بالصنيعِ فريقَهُ ... فاذكر صنيعَ اللهِ، وَاشْكُرْ وَاسْجُدِ

***

(١) نشرت الجريدة الخطاب الموجه إليها من الشاعر وهذا نصّه :

سيدي الفاضل الأستاذ وفيق .

أحييك مسروراً بعودة الأخبار الينا بعد تلك الغربة الطويلة فأهلاً بك تصون عرضها وتحمي ذمارها ، ومرحباً بها تحمل إلينا آيات وطنيتك الحارة وبيّنات إيمانك الساطع النور المستطير الشعاع .

وهذه تحيّتي (للأخيذة) ونجواي لمنقذها أرجو التكرم بنشرها ولا حاجة بي إلى القول إني مطالب دائماً بمشاركتكم في مهمتكم الوطنية العظيمة ، وإني سأنتهز كل فرصة لأداء ما يجب عليّ من مناصرتكم والسلام عليكم ورحمة الله .

المخلص

أحمد محرم

(٢) المسلوبة .

(٣) الكاتب أمين الرافعي .

قُلْ يا (وَفيقُ)[1] ، ونادِ قومَـك إنهم — مـا بـين مُعتَسٍ وشـاربِ مُرقِدِ[2]

رَدِّدْ لهـم صوتَ النَّـذيرِ ، فإنّها — سِمـةُ الضّـعيفِ ، وشيمـةُ المتردّدِ

ما في الطبائـعِ أن تُسـاوِمَ أُمّةٌ — في عِرضِهـا ، وتَـدينَ للمُستعبِدِ

والمرءُ لو رُزِقَ الخُلـودَ مُقيَّداً — لَألْتذَّ طعمَ الموتِ غيرَ مُقيَّدِ

إجمـعْ قُواكَ ، وإن تَباعدَ شأوُها — إنّـا نَعُـدُّك للوغـى ، وكأن قدِ

***

ليتَ البِـلادَ تزولُ يومَ يخونُها — أهـلُ الحِفـاظِ من السَّـوادِ المُرصدِ

حملـوا الأمانـةَ فَهْـيَ في أعناقهم — للهِ يَنشُدُهـا وإن لم ننشُدِ

إنّ التـي شُغِفَ الرّجـالُ بحبِّها — لـم تُبْنَ من جُثَثِ الضَّحايا للددِ[3]

هي عُدّةُ الشّعـبِ الضّـعيفِ ليومِهِ — وذخيـرةُ الوطـنِ المُعـذَّبِ للغدِ

اللهَ في تلكَ المقاعـدِ ، إنّها — مُهَـجُ الأُبـوّةِ والبنيـنَ الهُمَّدِ

شرُّ البليَّةِ من يبيعُ بِلادَه — منهـا إذا جدَّ البَـلاءُ بمقعدِ

***

قُلْ للفتـى (الثّعليِّ) عنـد نضالهِ — هـذي سِهـامُ (الرّافعـيِّ) فسدِّدِ

نَشِـطَ الرُّمـاةُ فان ظَفِـرتَ بمقتلٍ — فـإليه إن نكلَ الهَيوبـةُ[4] فاعْمدِ

فَلَشرُّ صحبِكَ في النّضـالِ سليمُها — ولَخَيْرُ رفقتِـكَ الشقِـيُّ بك الرَّدي[5]

أهـلاً بمـيراثِ (الأمـين) ، وبوركت — يدُكَ التـي نزعتـه من تلك اليدِ

(١) الكاتب أحمد وفيق رئيس تحرير الجريدة حينئذ .

(٢) المعتس الذي يكتشف في الليل من أهل الريبة ، والمرقد دواء يُرقد شاربه مثل الأفيون

(٣) اللهو واللعب .

(٤) الجبان الرعديد .

(٥) الهالك .

سَيفٌ تَعـاوره[1] الرجال فتارةً — تعمَى مضاربُـه ، وأُخـرى تهتدي

أُشْـدُدْ يديكَ عليه إنّ غِرارَهُ[2] — حَتْفُ الظَّـلومِ ، ومَصرعُ المُتمرِّدِ

وَاحْـرِصْ على القَبَسِ الـذي أوتيتَه — مـن نور ربِّـكَ ذي الجلالـةِ وازْدَدِ

عَوَّذْتُ[3] أقـلامَ الـكِرامِ ، فإنّها — ذُخـرُ الكِنانـةِ للزَّمـانِ الأنكدِ

***

١٩٢٩/١٢/٢٢

(١) تتعاوره تتعاطاه وتتداوله .

(٢) غرار السيف حدّه .

(٣) عوذ الرجل رقاه .

بطل سياسى

بَطَلَ الكِنانةِ ، مَن لها ولأَهْلِها — يحمِي محارمَها ، ويكشِفُ عارَها ؟

مَنْ للغِمارِ يخوضُها إن نكّبتْ — عنها العزائمُ تتَّقِي أخطارَها

مَن للسياسةِ يَصطلِي جَمَراتِها — في حيثُ تجتَنِبُ الدُّهاةُ أُوارَها

مَن للمغيرِ يَصُدُّه عن أُمَّةٍ — عرَفَتْكَ في جدِّ الوغَى بتّارَها

وَدّعتنا ، والحادثاتُ تَرُوعُنا — وتُطيلُ من حول الحِمَى تَهدارَها

هوَّنْتَ من وَجدِ النُّفوسِ بِقَولةٍ — رَدّتْ عليها بالعَشِيِّ قرارَها

أنت المؤمّلُ للبلادِ إذا انْتَحتْ — هُوجُ الخُطوبِ فَزلزلتْ أقطارَها

وإذا تُنوزِعَتِ المواقِفُ في غدٍ — أوفيتَ تأخذُ باليَدَيْنِ كِبارَها

المجدُ والخطرُ العظيمُ لأُمَّةٍ — وَعَتِ الأُمورَ فَعظّمَتْ أحرارَها

حَسْبُ الممالكِ أن تُعِزَّ حُماتَها — وتُجِلَّ في الهِمَمِ العُلَى أنصارَها

***

- ١٩٣٠ -

مصابيح البحيرة

تحية لمجلس مديرية البحيرة في هيئته الجديدة

صوتٌ من الأُفقِ العَلِيِّ يُنادِي — ما الحرُّ إلاّ مَن يقولُ بلادي

وإذا جعلتَ (أنا) شِعارَكَ لم تَسُدْ — بَين الرجالِ ، ولم تَفُزْ بمُرادِ

المرءُ في حُكم الحياةِ لقومِهِ — وبلادِهِ ، والعصرُ عَصرُ جِهادِ

يا معشرَ النُّوابِ بُورِك سَعْيُكم — مِن رائحٍ يقضِي الذِّمامَ ، وغادِ

إنّ الأُلَى اختبروا الرّجالَ تخيَّروا — أوفى السُّراةِ ، وأصدقَ الأمجادِ[1]

وَضعوا الأمانةَ مُحسِنِينَ بموضعٍ — تَرتدُّ عنه يدُ المُغيرِ العادي

أنتم مصابيحُ (البُحَيْرةِ) إن دَجتْ — سُبُلُ الحياةِ بها ، وضَلَّ الهادي

الرأيُ في جدِّ الحوادثِ رأيُكم — والحقُّ وضّاحُ المعالمِ بادِ

صُونوا النُّفوسَ عن التشيُّعِ للهوى — وزِنوا الأُمورَ بحكمةٍ وسدادِ

القَصدُ[2] منزلةُ الهُداةِ ، وشيمةٌ — للمصلِحينَ ، تُزيلُ كلَّ فسادِ

فَدعوا سبيلَ المُسْتَبِدِّ برأيِهِ — ودعوا سبيلَ العاجزِ المُنقادِ

حيَّيتُ (مَجْلِسَكُم) أُعظِّمُ حقَّهُ — فخُذوا التَّحيّةَ من أديبِ الوادي

نَسْلٌ من الدُّستورِ بُورِكَ عَهدُه — عَهدُ الحياةِ كريمةِ الميلادِ

---

(١) السراة جمع سريّ السيد الشريف السخيّ ، والأمجاد جمع ماجد ومجيد وهو ذو المجد .

(٢) الاستقامة والرشد أو هو نقيض الإفراط .

وإذا رَفعتم للحياةِ عِمادَها ألفيتمُ (الدُّستورَ) خيرَ عمادِ

دُنيا الممالكِ لم تَقُمْ أركانُها يوماً على عَنَتٍ ولا اسْتبدادِ

أوَما تَرَوْنَ (الشّرقَ) كيف أضاعَهُ عَبَثُ الهوَى ، وتحكُّمُ الأفرادِ ؟

***

١٥/ ٧/ ١٩٣٠

صوت الكنانة

بني الكنانةِ هذا صوتُها ارتفعا لا تُنكروا الحقَّ ، إنَّ الحقَّ قد سطعا

أشقى الشُّعوبِ، وأولاها بمرحمةٍ شَعبٌ تَلقَّفَهُ الغاوونَ ، فانْخدعا

سلوا الأُلى صرَعوا (الدُّستورَ) ما فعلوا إذ مالَ قائِمُه بالأمسِ ، فاضطجعا

هُمُ الجُناةُ على الشّعبِ الذي وصلت أيديهمو من رباق[1] الذُلِّ ما قطعا

يَبغي السَّبيلَ إلى اسْتقلالهِ ، ويرى كيدَ (الحُماةِ) وتضليلَ العِدى شرَعا[2]

إذا هُمُ انْتَزعوا (الدّستورَ) من يدهِ حَسِبْتَهُ من سَوادِ القلبِ مُنتزَعا

***

يا مُطفِىءَ الفتنةِ الكبرى ، وقد رجَفتْ أرضُ الكِنانةِ من أهوالها فَزِعا

لولا دِفاعُكَ طارتْ نارُها شُعَلاً واسْتَرسلَ الدَّمُ في أرجائها دُفَعا

وَقفتَ للشرِّ تَنهاهُ وتزجُرُه حتّى تراجعَ بعد الكرِّ وارْتَدعا

لَمّا طلعتَ على الأحداثِ تدفعُها تكشّفَ العارضُ المُسودُّ وانْقشعا

---

(١) جمع ربقة وربق الحبل والحلقة تشدُّ بها الغنم الصغار لئلاّ ترضع .

(٢) سواء .

قالوا (السّلاحُ) وهاجوها مُضلَّلةً … عمياءَ تبغي وراءَ الحقِّ مُطَّلَعا

لو أنصفوكَ لقالوا ذو مُحافظةٍ … حَمى البلادَ ، وصانَ الشَّعبَ فامتنعا

لقد تورَّعتَ حتّى باتَ كلُّ فتىً … من الجُنودِ يُواري سَيْفَهُ وَرَعا

لو كنتَ غيرَكَ لم تَرفقْ بسيِّدِهم … ولم تُبالِ من الدَّهماءِ ما جمعا

يُصيبُك الجرحُ يغشى مِن صحابتِه … مَن يشتكيك ، فتُمسِي مُشفِقاً جزِعا[1]

أما بكَوْا يومَ تُسدِي الصُّنعَ منك يدٌ … تَشفي الجِراحَ ، وتنفي الهمَّ والوجَعا ؟

لو كان للدمَّعِ في آماقِهم عَملٌ … جَرَى على الدَّمِ يجُريه بما صنعا

هاجوا النُّفوسَ ، فلماّ طاحَ هالكُها … طاروا سِراعاً وعادوا مُهطِعين معا[2]

***

أين المواثيقُ والأيْمانُ يحشُدُها … مَن لو رأى الحربَ في أحلامِه هلَعا ؟

كانت نوازعَ نفْسٍ ردَّها قدَرٌ … يرُدُّ كلَّ غويٍّ للأذى نزعا[3]

اللهُ أدركَ شعبَ النِّيلِ فانصدعتْ … عنه الخُطوبُ ، ولولا اللهُ لانْصدعا

أجرى على يدِ (اسماعيلَ)[4] رحمتَهُ … فكان من مُستحَبِّ الأمرِ ما وقعا

راح السَّلامُ مَصوناً في كِلاءتِه[5] … وباتَ كلُّ فتىً بالأمنِ مُدَّرِعا

فراجعَ الصّانعُ المذعورُ مَيْعَتَهُ … بعد الونى ، وسقى الفلاّحُ ما زرعا[6]

(١) في هذا البيت والذي بعده إشارة إلى ما أصاب سينوت حنا يوم زار النحاس ورجاله مدينة المنصورة .

(٢) مسرعين خائفين .

(٣) إشتاق وذهب إليه .

(٤) السياسي اسماعيل صدقى .

(٥) حراسته وحفظه .

(٦) راجع رجع وعاد إلى الشيء ، وميعة الشباب والنهار أوله وأنشطه ،يقصد الشاعر أن الصانع عاد إلى نشاطه ، والونى التخاذل والفتور والتواني.

لا الأرضُ زالتْ بأهليها كما زعموا … ولا السَّماءُ هوت أجرامُها[1] قِطَعا

طافوا البلادَ، وقالوا كلَّ ما ابتدعوا … فما رأى الشّعبُ من شيءٍ ولا سَمِعا

ما انفكَّ سيِّدهُم في كلِّ مُضطَرَبٍ … حرّانَ يستصرخُ الأنصارَ والشِّيَعا

يُغري السّوادَ بمأمونينَ ما اعتصروا … دَمَ السَّوادِ ، ولا زانوا له الشُّنَعا[2]

يجزيهمُ السُّوءَ أن برُّوا بأُمَّتهم … وأن أَبَوْا من سبيلِ الغَيِّ ما اتّبعا

يزدادُ بالحكمِ إمّا ذاقَهُ شَغفاً … كالخمرِ يزدادُ مَن يَعتادُها وَلَعا

يَطغى، فإن راعَهُ إيماضُ بارقةٍ … من جانبِ الغاصبينَ انْحطَّ واتَّضعا[3]

مُستهلِكٌ[4] يبتغي من وُدِّهم سبباً … إذا وَهَى السَّببُ الموصولُ فانقطعا

بثَّ الشكاةَ ، فلم يَتركْ لِذي شَجَنٍ … يشكو جَوى الحُبِّ من قولٍ ، وإن برعا

لمّا تبيَّنَ (مكدولند)[5] لوعتَهُ … تحدَّرَ الدَّمعُ من عينَيْهِ ، أو همعا

وقال ما بالُ (اسماعيلُ) يُنكرنا … أما يَرى رأيَ مَن أمسَى لنا تبعا ؟

لقد رمانا بخطبٍ من رسالتِه … ما مسَّنا مثلُه خطبٌ ولا قرعا

خاضَ البِحارَ، فلم نَعجبْ لما وجدت … منه، ولم نَلُمِ (الأُسْطولَ) إذ خشعا

***

ويحَ الكِنانةِ، لا استقلالُها صَدقتْ … فيه الظُّنونُ ، ولا دُستورُها نَفَعا

ضاقَ الرَّجاءُ ، فما تُقضَى له سَعةٌ … إن لم تجِدْ دولةُ الإصلاحِ مُتَّسعا

ما يفعلُ المصلحُ الباني لأُمَّتِه … إن عاجلَ الهادمُ الموتورُ مارفعا ؟

***

جريدة السياسة ١٨/ ٨/ ١٩٣٠

(١) جمع جرم بكسر الجيم الجسم وأجرام السماء معروفة .

(٢) جمع شنعة وهي الفظاعة والقبح .

(٣) راعه أفزعه ، وإيماض لمعان ، والبارقة السحابة التي يكون فيها برق وبرق الرجل وأبرق تهدد وأوعد ، والغاصبين الإنجليز.

(٤) من استهلك الرجل إذا جهد نفسه .

(٥) رئيس وزراء انجلترا حينئذ .

أمة الفرقان

نشيد الشباب الاسلامي

أُذكرونا في المُلِمّاتِ الكُبَرْ   واشْهَدوا أنّا الميامينُ الغُرَرْ[١]
نحنُ للإسلامِ أعلامُ الظَّفَرْ   وسُيوفُ الفتحِ تَجلُوها الغُمَرْ[٢]

***

أُمَّةَ (الفُرقانِ)[٣] زيدِي عِظَما   وارْفَعِيهِ للمعالي عَلَما
أمْلُكي الأرضَ ، وسُودِي الأُمَما   إنّه الحكمُ الذي أمْضَى (عُمَرْ)[٤]

***

أنتِ عَلَّمتِ الشُّعوبَ الأُوَلا   سُبُلَ المجدِ ، وأسبابَ العُلا[٥]
إن تُريدي شاهِداً أو مَثَلا   فاسْأَلي الآياتِ ،واستفتِي السُّوَرْ[٦]

***

(١) الملمات جمع الملمة وهي النازلة الشديدة من نوازل الدنيا ، والميامين جمع الميمون وهو ذو اليمن والبركة ، والغرر جمع الغرّة وهو من القوم شريفهم .
(٢) الغمر جمع الغمرة وهي الشدّة .
(٣) الفرقان القرآن العظيم لأنه يفرق بين الحق والباطل .
(٤) عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين .
(٥) الرفعة والشرف .
(٦) استفتاه سأله أن يُفتيه في الأمر أي أن يبيّن له الحكم فيه .

جَنِّدِي العِلمَ ، وسيري لِلوَغَى   وابْتَغِي الحقَّ ، فَنِعْمَ المُبْتَغَى[١]
خابَ مَن أدركَ[٢] دُنيا فَطَغَى   ورأى النّاسَ ضِعافاً ، فَفَجَرْ

***

انْقِذِي العالمَ مِن آلامِهِ   واكْشِفِي ما اعْتادَ مِن أوهامِهِ
لا تخافِي اللَّيثَ[٣] في إقدامِهِ   واذْكُري مَجْدَكِ في ماضي العُصُرْ

***

أُذْكُري التِّيجانَ حَيْرَى تَرْتَمِي   والعروشَ الشُّمَّ تَهوِي في الدَّمِ[٤]
جاشَ بُركانُ القَضاءِ المُبْرَمِ   فَهْيَ غَرْقَى في العُبابِ المُسْتَعِرْ[٥]

***

نحنُ (للنِّيل) الشَّبابُ المُجْتَبَى[٦]   نَنْصُرُ اللهَ ، ونأْبَى ما أَبَى
ولَنا بينَ العَوالي والظُّبَى   نَسَبٌ في البأسِ وَضّاحُ الأثَرْ[٧]

***

(١) الوغى الحرب ، والمبتغى الطلب من ابتغى الشيء طلبه .
(٢) أدرك الشيء ناله .
(٣) الأسد .
(٤) الشمّ العالية الشامخة ، وهوى يهوى سقط من أعلى .
(٥) جاش غلى ، والقضاء المبرم القدر القاطع الذي لا مناص منه ، والعباب الموج ، والمستعر المتقد .
(٦) المجتبى المُختار المُصطفَى .
(٧) العوالي الرماح ، والظبى يراد بها السيوف وهي جمع ظُبه حد السيف أو السنان ، والبأس الشجاعة والقوة ، والنسب الوضاح الظاهر النقي .

همَّــةُ النَّسرِ إذا مــا نَهضا   مِــنْ سَجــايا قَومِنــا فِيما مَضَى
زَلزلــوا الــدُّنيا ، فَرِيعَــتْ وانْقَضَى   صَــلَفُ الدّهــرِ ، وطُغيانُ الغِيَرْ[1]

***

أَرَأيتَ القــومَ بِمــا غَلَبــوا   عندهــم من كلّ عَصْرٍ سَبَبُ
ولهــم في كلّ جيلٍ أدبُ   عبقــريُّ الــذّكرِ، رنّــانُ الخَبَرْ

***

طَلَــعَ الإِســلامُ نُــوراً وهُدَى   وقَضى الأمــرَ حياةً ورَدَى[2]
إنّ في السَّيفِ، وإن جَلَّ الفِدَى   لَحَياةً تُنْتَضَى[3] أو تُدَّخَــرْ

***

يصطفــي النَّفَس ، فَيُعطيهــا النُّهَى   ويُريهــا عرشَهــا فَوقَ السُّهَى[4]
هو في الــدُّنيا حياةٌ تُشْتَهَى   وهــو في الأُخْرَى نجــاةٌ للبَشَرْ

***

نَضرةُ الأوطــانِ في أفيائِــهِ   وجَــلالُ المُلْكِ مِــن نَعمائِه[5]
إصرفِ اللّهُــمَّ عــن أبنائِهِ   باطِــلَ الــدُّنيا ، ومكــروهَ القَدَرْ

***

- ١٩٣٠ -

(١) ريعت فزعت ، والصلف التكبّر ، والطغيان الغلوّ في الظلم ، والغِيَر الأحداث يقال غِيَر الدهر أي أحداثه .
(٢) الردى الهلاك والموت .
(٣) تُنْتَضى تُستل وتُنْزَع .
(٤) اصطفاه اختاره وعدّه صديقاً مخلصا ، والنهى جمع النهية العقل ، والسهى كوكب خفي من بنات نعش الصغرى .
(٥) الأفياء الظلال ، والنعماء اليد البيضاء الصالحة .

أنت الملوم[1]

وَفْــدُ البحــيرةِ جاء طَوْعَ يَقينِهِ   يَقضي لك الحــقَّ المُؤكَّدَ شاكرا
حَصَّنْتَ دُستــورَ البــلادِ وَصُنْتَهُ   عــن أن يكون أذىً لِقومِــكَ ضائرا
يَأْبى الأُلَى خذلــوا الكِنانــةَ أن يَرَوْا   لبنــي الكِنانــةِ في الشّدائــدِ ناصرا
إن ينتهــوا يُغْفَــرْ، وإن يتمرَّدُوا   يجِــدوكَ غَلاَّبَ الصَّرامــةِ قاهرا
ما الحــكمُ تُنــكِرُهُ البِــلادُ مخازياً   كالحــكمِ تَعرفــهُ البــلادُ مَفاخرا
يستنصرون عليك خَصْــمَ بِلادِهم   فَيلومُهُــم ، ويَصُــدُّ عنهــم ساخِرا
أنــت الملــومُ، وإن قَضَيْتَ ذِمامَها   لِمَ تُرشِــدُ الأعمى، وتهــدي الحائرا؟

***

١٩٣٠/١١/٦

(١) قيلت في حاكم وطني .

لن يخطئ الشعب السبيل الى العلا (1)

هو الركب غاديهِ سلامٌ ورائحُهْ

تبلّجَ(2) يُغشي ناظرَ الشمسِ واضِحُهْ

إذا السُّبلُ ضاقت عن سواه فلم يَسِرْ

تَنقّلَ شتّى في القلوبِ مَنادِحُهْ(3)

هو الركبُ فيه من سَنا الحقِّ لمحةٌ … تجمّعَ ساري النّورِ فيها وسابِحُهْ
تطلّعَ ملءَ الدهرِ، والدّهرُ كلُّه … لِسانٌ يُحيّيهِ، وكفٌّ تُصافِحُهْ
حَللتَ أبا الأشبالِ منّا بأنفسٍ … عناها من الشّوقِ المُبرّحِ لافِحُهْ
فأبلغتها رِيَّ الصَّدى، ومنحتَها … من البرِّ والمعروفِ ما أنت مانِحُهْ
أياديك ذِكرٌ للكنانةِ صاعدٌ … ومجدٌ يُباري همّةَ النّجمِ طامِحُهْ
بعثتَ بها عصرَ الحضارةِ مُونقاً … تطيبُ مجانيه، وتذكو نوافِحُهْ(4)
وأدنيتَ من آمالِها الغُرِّ ما لوى … يَدَ الدّهرِ جافيه، وأعياهُ نازِحُه
إذا رُحتَ تَستقصي مطالبَها العُلى … عنا(5) المطلبُ الجبّارُ، وانْقادَ جامِحُهْ

(1) قيلت في وضع الحجر الأساس لمنشآت في عاصمة البحيرة .
(2) أشرق وأضاء .
(3) المنادح الأراضي الواسعة .
(4) المجاني جمع المجنى وهو ما يُجنى منه الثمار كالشجرة ، وذكى المسك سطعت رائحته ، والنوافح جمع النفح وهو الرائحة .
(5) خضع وذلّ .

فَتحتَ لها بابَ الحياةِ، فأقبلتْ … وأقبلَ طيرُ اليُمنِ يَنهالُ سانِحُهْ(1)
وما عَرفَ الأقوامُ باباً يَسرُّهم … من الخيرِ إلاّ في يَدَيْكَ مَفاتِحُهْ
سَنَنْتَ لِشعبِ النّيلِ سُنّةَ ناهضٍ … بَعيدِ مَدَى الآمالِ، شتّى مَطارِحُهْ(2)
وأرشدتَهُ تبغِي له الجِدَّ خُطّةً … فأمسكَ غاويهِ، وأقصرَ مازِحُهْ
تَعلّمَ مِنكَ السَّعْيَ، لا يَعرفُ الوَنَى(3) … فما ارْتَدَّ ساعيهِ، ولا كفَّ كادِحُهْ
يظلُّ أمامَ الدَّهرِ، والدَّهرُ ثائرٌ … يُدافِعُه عن حَقّهِ ويُكافِحُهْ
ولن يَستطيعَ الشّعبُ مجداً ورفعةً … إذا نامَ بانيهِ، وعَرْبَدَ(4) صائِحُهْ
بَنَيْتَ، فأحسنتَ البناءَ، وإنّه … لَباقٍ على مَرِّ الحوادثِ صالِحُهْ
(دمنهورُ) من جَداوكَ مُشرقةُ السَّنا … ويومُكَ فيها كابرُ الشّأنِ راجحه
طلعتَ عليها غُدوةَ (السّبتِ) كوكباً … تُغاديهِ أسرابُ المُنى وتُراوِحُهْ
ففي كلِّ سبتٍ من مثالِكَ طائِفٌ … يَشوقُ بها شعباً ظِماءً جَوانِحُهْ
تَلقّاكَ بالإجلالِ، يُصفيكَ وُدَّهُ … وغَرّدَ يقضي حقَّ نُعماكَ صادِحُهْ
أرى الطيرَ في واديكَ شتّى ضرُوبُه … وما يستوِي شاديهِ يوماً ونائِحُهْ
مَدحتُكَ، إنّ الجاعِلَ المجدَ همَّهُ … لَيُكرَمُ مُطرِيهِ، ويُحمَدُ مادِحُهْ
أَلَسْتَ الذي خَفّفْتَ عن شعبِكَ الأذى … وأدركتَه، والخطبُ يشتدُّ فادِحُهْ ؟
وأرسلتَهُ مِلءَ الزّمانِ مُغامِراً … وكان صريعاً ما يُواتيك رازِحُهْ ؟(5)

(1) السانح الذي يأتي من جانب اليمين ويقابله البارح وهو الذي يأتي من جانب اليسار والعرب تتيّمن بالسانح وتتشاءم بالبارح ومنه المثل « من لي بالسانح بعد البارح » .
(2) جمع مطرح الموضع يُطرح إليه أي يُرمى ويُقذف إليه .
(3) الفتور والضعف والإعياء .
(4) ساء خلقه .
(5) من رزح الجمل سقطولصق بالأرض ولم يستطع النهوض هزالاً أو تعباً .

ثَوَى زمناً يشكو الجراحَ ، فلم تَزَلْ   تُداويه حتّى ارتدَّ يَشكوهُ جارِحُهْ
ولن يَخْطِئَ الشّعبُ السّبيلَ إلى العُلا   سبيلُكَ هاديهِ ، ورأيُكَ ناصِحُهْ
تَقدَّمَ يبني المجدَ شتّى وُجُوهه   فِساحاً مَناحيهِ ، سِماحاً مَسارِحُهْ
فلم يَبْقَ ما يخشى عليه صديقُه   ولم يبق ما يشفي به الغَيْظَ كاشِحُهْ[1]

١٣/ ١١/ ١٩٣٠

---

(١) لم يتمكن المحقّق من العثور على بقية القصيدة، والكاشح العدو الباطن العداوة كأنه يطويها في كشحه وهو ما بين السُّرة ووسط الظهر .

أبو الأشبال[1]

وجدنا الحقَّ عندكَ والصّوابا   فجئنا نُنصِفُ الوطنَ المُصابا
عَطفتَ عليه مُسْتَلَباً جريحاً   يُعاني في مصارعِه العذابا
فَصنْتَ حياتَه ، وكشفتَ عنه   خُطوبَ الدّهرِ ، تدفعها صعابا
رضينا للكنانةِ منكَ عهداً   أضاء سبيلَها ، ومحا الضّبابا
مشت آمالُها بيضاً خُطاها   وقد كان السّوادُ لها خِضابا[2]
تؤمُّ مَطالِعَ الأنوارِ ، فَرْحَى   وتبتدرُ المسالكَ والشِّعابا
رَضينا عهدكَ الميمونَ فينا   فلسنا نَحفِلُ القومَ الغِضابا
(أبا الأشبال) كن للشّعبِ عوناً   فقد ملَّ الثّعالبَ والذّئابا
تخيّرتَ الرجالَ ، وقمتَ فيهم   تُدير الحكمَ سمحاً مُستطابا
سيوفُكَ للجهادِ الحقِّ شتَّى   وإنّ لنا لأَصْدَقَها ضِرابا
رأينا (الشاذليَّ)[3] وكيف يمضي   إذا ما الأمرُ بعد الأمرِ نابا
فلم يَرَ مِثلَهُ رأياً وعزماً   ولم نَرَ فيه مَنقصةً وعابا
رأيتُ هوى البحيرةِ كيف يصفو   فكان لها جَزاءً أو ثوابا

***

أغسطس ١٩٣١

---

(١) قيلت في أحد الحكام الوطنيين .
(٢) الخضاب ما يُخضَب به الشيء أي يُلوَّن به .
(٣) محافظ البحيرة آنذاك .

تحيّة ووصاة

عندي إذا صرَعَ الجنوبَ سُباتُ … للنّاهضين تحيّةٌ ووصاةُ

يا باعثي الآمالَ من أجداثِها[1] … مَرْحَى ، فأنتم للبلادِ حياةُ

خُوضوا الغمارَ مكبّرينَ ، فإنّما … هي (للرّسولِ) سَرِيّةٌ وغَزَاة[2]

والحقُّ إن جرحَ الغُواةُ جلالَهُ … عطفتْ عليه أئمّةٌ وولاةُ

صَرْحُ الحياةِ إذا تصدَّعَ أو هوى … هوَتِ النُّفوسُ ، وطاحتِ المُهجاتُ[3]

تعفو الممالكُ أو تَبيدُ إذا عفَتْ … فيها الحقوقُ ، وبادتِ الحُرُماتُ

إنّ الأُلَى خذلوا البلادَ وضلَّلُوا … هذا السَّوادَ لمجرمونَ جُناةُ

عَصفتْ بهِ الأهواءُ بعدَ هُداتِه … وطَغتْ على أحلامِهِ الشّهَواتُ

فيم التّناحُرُ والبلادُ أخيذةٌ[4] … وبنو البلادِ مُصفَّدونَ عُناةُ ؟

أفما يُفيقُ الجاهلونَ ، فتنقضي … غُمَمُ الحياةِ ، وتنجلي الغمَراتُ ؟

مَن علَّمَ المُسترسِلينَ إلى الوغَى … أنّ الجهادَ سَخائمٌ وتِرَاتُ ؟[5]

لا خيرَ في المتناحرينَ ، وإن أبوا … حتّى تكونَ هَوادةٌ وأَناةُ

---

(١) الأجداث جمع جَدَثْ وهو القبر .

(٢) الغمار جمع غمرة ، وهي الشدة ، والسرية طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة ، والغزاة عمل سنة أما الغزوة فهي المرة الواحدة من الغزو .

(٣) طاح أشرف على الهلاك وقيل هلك وسقط أو ذهب ، والمهجات جمع مُهجة وهي دم القلب وقيل الروح أو هي خالص النفس .

(٤) الأخيذة المأخوذة والأسيرة .

(٥) والسخائم جمع سخيمة وهي الحقد والضغينة ، والترات جمع ترّه وهو الباطل .

الحربُ تَقصِفُ في البلادِ رُعودُها … والشّعبُ تَقصِمُ صُلْبَهُ النّكَباتُ

نزلَ البلاءُ بهِ ، فقومٌ جُوَّعٌ … يتضوّرونَ ، وآخرون عُراةُ

والمالُ غادٍ في الحقائبِ رائحٌ … تمضي جَلاوِزَةٌ[1] بهِ وجُباةُ

أقصى المواعدِ أن تَمُرَّ عشيّةٌ … بالمرءِ سلماً ، أو تكُرَّ غَداةُ

في كلِ حقْلٍ غضبةٌ وملامةٌ … وبكلِّ دارٍ أنّةٌ وشكاةُ

هل غُودرتْ للزّارعينَ وسيلةٌ ؟ … أو خُلّيتْ للصّانعين أداةُ ؟

وَدَّ الذي حرثَ الضِّياعَ لغيرِه … لو لم يكن زرعٌ بها ونباتُ

هَبْني مَلكتُ النّخلَ : هل هو نافعي … إن لم تكن لي من جَناهُ نُواةُ ؟

لا كُنتِ من شجرٍ لنا أشواكُها … نشقَى بها ، ولغيرنا الثّمراتُ

فدَحتْ تكاليفُ الحياةِ ، وبرَّحت … بالقومِ ، منهم سادةٌ وسَرَاةُ

كانوا غياثَ المُرمِلين[2] إذا طغت … نُوَبُ الزّمانِ ، وهالتِ الأزماتُ

لا يعرفون (خُذوا) وليس لهم سوى … أن يُؤْمَروا (ذُوقوا العذابَ وهاتوا)

العدلُ أن يُعطَى الأجيرُ جزاءَهُ … إن كان في (البلدِ الأمينِ) قُضاةُ

***

عِلَلُ البلادِ إذا نظرتَ كثيرةٌ … ومصائبُ الأهلينَ مُختلفاتُ

باكٍ يَعَضُّ على البنانِ ، وراقصٌ … بين القيانِ[3] ، تهزّه النّشوَاتُ

ما بالُ إخوتنا ؟ أَهُمْ أربابُنا ؟ … أم نحن في إنجيلِهم حشَراتُ ؟

أين الأُلَى جرحوا البلادَ من الأُلى … هم للممالكِ والشّعوبِ أُساةُ ؟

الحقُّ يُؤلِمُ ، لا القطيعُ مُعذَّبٌ … يَرْعَى الهوانَ ، ولا الذّئابُ رُعاةُ

***

---

(١) الجلاوزة جمع جلواز وهو الشرطيّ .

(٢) المرمل الذي فقد زاده .

(٣) القيان جمع قين وهو العبد وقد يراد بالقيان الإماء .

ويحي، أما تَزَعُ[1] النفوسَ عن الهوى ... عِبَرٌ تمرُّ كِبارُها وعِظاتُ ؟

قد كان لي بين الجوانحِ مَعقِلٌ ... هو للنُّفوسِ الهالكاتِ نَجاةُ

عَجِبتْ عوادي الدّهرِ كيف يُذيبُها ... وَعَجِبْتُ كيف تُذيبُه الحَسراتُ

أوَ كُلَّما نزلت بمصرَ مُلمَّةٌ ... هاجَ الغليلُ ، وفاضتِ العَبَراتُ ؟

مجْزيَّةٌ بالسُّوء من أبنائها ... وهي الرَّضيَّةُ كُلُّها حَسناتُ

يهفو الحنانُ بقلبها ، فتُحبُّهم ... وقلوبهُم من حُبِّها صَفِراتُ[2]

سلهم : أهُمْ للنّاصحين أَحِبَّةٌ ؟ ... أم هُمْ خُصومٌ تُتَّقى وعُداةُ ؟[3]

إنّا لَنطمعُ أن تثوبَ حُلومُهم ... بعد المغيبِ ، وتَسكُنَ النَّعَراتُ

ظنّوا الظنونَ بنا ، فقالوا : عُصبةٌ ... ترجو المحالَ ، وإنّنا لَثِقاتُ

لانوا بأيدي الغاصبينَ ، فلم تَلِنْ ... للقومِ في جِدّ الأُمورِ قَناةُ

قومٌ تراهم خاشعين أذلَّةً ... ومن الرجالِ أذلّةٌ وأُباةُ

***

ما الحكمُ؟ ما الدستورُ؟ ما هذا الذي ... زَعم الأُلى طلبوا الحياةَ فماتوا ؟

طُفْ بالمناصبِ والأرائكِ[4] سائلاً ... ماذا تُعاني الأعظُمُ النَّخِراتُ ؟

وابكِ (الكنانةَ) إنّ من حُرماتِها ... ألاّ تجَفَّ الأدمُعُ الذّرِفاتُ

إبْكِ الموَلَّهةَ الثَكولَ، وقُلْ لها ... قَعدَ الرجالُ ، وقامتِ النكِراتُ

---

(١) وزَعَه وبه يزع كفّه فاتّزع هو أي كفّ .

(٢) خاليات .

(٣) جمع عادي المعتدى والمعادي .

(٤) الأرائك جمع أريكة سرير فريد فاخر وهو هنا سرير الملك .

حَسْبُكِ إن عَنَتْكِ مَضرَّةٌ ... مِمّن يخونُكِ ، أو عرَتْكِ أذاةُ

لا تجزعِي لِصروفِ دَهرِكِ، واثْبتي ... فالبأس صَبرٌ ، واليقينُ ثَباتُ

ولأنتِ (جامعةُ الدّهورِ وأهلِها) ... وكفاكِ ما جمعتْ لك المَثُلاتُ[1]

أنتِ التي ما فات عِلمَكِ حادثٌ ... في الغابرينَ ، ولن يكونَ فواتُ

فيك الحياةُ جمالُها وجَلالُها ... ولكِ الزّمانُ قُواهُ والعزماتُ

***

١٦/ ١/ ١٩٣٣

---

(١) المَثُلاتَ جمع المُثلة وهي ما أصاب القرون الماضية من العذاب وهي عبر يعتبر بها .

شعب الكنانة

في ذكرى مصطفى كامل (1)

نادى الشَّبابَ ، فهبَّ من إعفائِه … بَطَلٌ يَهُزُّ الجيلَ رَجعُ نِدائِه

حيٌّ على مَرِّ الدُّهور مُدَجَّجٌ … تتساقطُ الأجيالُ حول لوائِه

تَفْنى الوقائعُ ، وَهْوَ في مَرَحِ الصِّبى … جَذلانُ مُغتَبِطٌ بِطولِ بَقائِه

سَيفٌ أضاءَ الحقُّ مِلءَ فِرِنْدِهِ … وتألَّقَ الإيمانُ مِلءَ مَضائِه(2)

نَظَرَ الكُماةُ ، فما رَأَوْا ذا رَونَقٍ … في حُسْنِ رونقِهِ ، وصِدقِ بَلائِه

عَضْبٌ(3) حَمى عِرضَ (الكنانةِ) حَدُّهُ … ورَعى ذِمامَ (الشَّرقِ) في أبنائِه

وَجَدَ المُغيرَ يجولُ في أحشائها … فأبى القَرارَ ، وَجالَ في أحشائِه

اللهُ أَوْدَعَهُ حَمِيَّةَ(4) (رُسلِه) … وأمدَّهُ بالنَّصرِ من (خُلفائِه)

أَوْفى على (الوادي) فَكبَّرَ واحْتَفى … (بالمُصطَفى) المختارِ من زُعمائِه

النّافِثِ العَزَماتِ في أكنافِهِ … والباعِثِ النَّهضاتِ في أنحائِه

المُستعانِ على العدوِّ إذا طَغى … المُستعينِ بِصبرِهِ وإبائِه

---

(1) هي الذكرى الخامسة والعشرون لوفاته ، وكان من المقرر اقامة حفل بمناسبة هذه الذكرى ولكن السلطات منعته .

(2) فرند السيف جوهره وماؤه الذي يجري فيه وكذلك طرائقه ، ومضى السيف مضاءً قطع .

(3) العضب السيف القاطع .

(4) الحميّة الأنفة والغَيْرة .

مَن لا يَرى أنّ الجهادَ مُروءةٌ … حتّى يكونَ المرءُ من شُهدائِه

مَن علَّمَ (المِصريَّ) حُبَّ بِلادِهِ … وأقامَ من دَمِهِ مِثالَ وَفائِه

مَن أنكرَ اليأسَ المُذِلَّ ، وعابَهُ … لأخِي الحياةِ ، فمدَّ حَبلَ رَجائِه

ما قالَ حِينَ صبا : (بلادي) يَشتكي … أَلَمَ الهَوى ، ويَضِجُّ من بُرحائِه(1)

لكنّها نَجوى المشوقِ ، وآيةٌ … (عُذريّةٌ) من حُبِّهِ وولائِه

لم يَلْقَ (قَيْسُ) في هَوى (ليلاه) ما … لاقى ، ولا (ابنُ خزامَ) في (عَفرائِه)

أدّى الرِّسالةَ ، والمَمالِكُ هُتَّفٌ … لجَلالِ مَشهدِهِ ، وَحُسْنِ أدائِه

نُورٌ من الوحيِ المُباركِ ساطعٌ … في أُمَّةٍ حَيرى ، وشعبٍ تائِه

ورسولُ حقٍّ ، ما استَبدَّ به الهَوى … يوماً ، ولا أعياهُ مُعضِلُ دائِه

يَرمِي بحكمتِهِ النُّفوسَ إذا الْتَوَتْ … ورَمى الغَبيُّ بمَكرِهِ ودَهائِه

يستنزلُ الخَصمَ العنيدَ على يدٍ … تَتناولُ المرّيخَ من عَليائِه

أخذتْ (كُرومَر)(2) فاسْتُبيحَ ، ولم يَزلْ … يُسْقى عُصارةَ بَغْيِهِ وعَدائِه

يَبغِي على الشَّعبِ الضَّعيفِ بِأرضِه … ويُغالِبُ (الدَّيانَ) فوقَ سَمائِه

ألقى السِّلاحَ ، وراحَ ينعَقُ ، ماله … جُندٌ سِوى هَذَيانِهِ وهُرائِه

ذُعِرَتْ لِنكبتِهِ الجُنودُ أعِزَّةً … وتَفزَّعَ (الأُسطولُ) في دأمائِه(3)

عَدلُ القضاءِ(4) أدالَ من طُغيانِه … في (دنشواي) ومن أثيمِ قضائِه

لمّا أتى المُستضعَفينَ حَديثُهُ … أَلِفَ (الحَمامُ) السَّجعَ بعد بُكائِه

***

---

(1) الشدّة والأذى .

(2) المعتمد البريطاني ، اشتهر بقسوته وغطرسته .

(3) الدأماء البحر .

(4) قضاء الله .

يا (ناصرَ الضُعفاءِ) نِمتَ ولم يَنَمْ   جَلاّدُ هذا الشّعبِ عن ضُعفائهِ
وَليَّ زمانُكَ يا صريعَ هُمومهِ   فاسألْهُ: هل وَلّى زَمانُ عَنائِه ؟
الدّهرُ شاغَبَهُ، فأوهنَ عَظمَهُ   وطغى عليهِ، فزادَ في أعبائِه
يشقى بحملِ الدّاءِ، لولا حاجةٌ   في نفسِه، لَقَضَى على حَوْبائِه[1]
لمّا ذهبتَ وكُنتَ مَرجعَ أمرِهِ   ذَهَبَ الطّبيبُ المُرْتَجى لِشفائِه
(خُلفاؤُك الأُمناءُ) بعدكَ حُضَّرٌ   والمرءُ مَرجعُه إلى أُمنائِه
جَعلوا هَواكَ شريعةً، وتجنَّبوا   مَن مَالَ عنكَ، وضَلَّ في أهوائِه
هُمْ عُدَّةُ (الوادي) ليومِ سلامِه   وعَتادُهُ المرجوُّ في هَيْجائِه

***

نَشطَ الشّبابُ، وقِيلَ: يا مصرُ انهَضِي   وبَدا سَبيلُ الحقِّ بعد خَفَائِه
وإذا الشّبابُ مَضَى يُحاوِلُ مَطلباً   نَفَذَ المحالَ، وجَالَ في أثنائِه
هذا بناؤُكَ، مَالَهُ مِن هادمٍ   وكفى بِربِّكَ حافظاً لِبنائِه
(حِصنُ القضيّةِ) يَنهضُ الوادي على   جَنَباتِه، ويجولُ في أفيائِه[2]
قُلْ لِلألَى نَعِموا وبين عُيونهم   شَعبٌ تَردّى في جَحيم شقائِه
لا تسخروا بالشّعبِ في أعراسِكم   هو في مآتمِه وفي أرزائِه
عَرَفَ الرّجالُ بك الحياةَ، وأبصَرُوا   ماذا يُواري الموتُ تحتَ غِطائه
وتَبيَّنوا أنّ الهوانَ لِقانعٍ   مِن دَهرِهِ بنفاقِهِ وريائِه
ما مَيِّتُ الأحياءِ غيرُ مُنافقٍ   بَالِي الضّميرِ، مُكفَّنٍ بردائِه
دِينُ السياسةِ، والرّجالُ مراتبٌ   أنتَ الإمامُ الفردُ مِن فُقَهائِه

(١) الحوباء النَفس وقيل رُوع القلب .
(٢) ظلاله .

ما للمالكِ إن رَمَى (عِزريلُها)   بالغاصبِ المغتالِ غيرُ جلائِه
وأشدُّ أبناءِ البِلادِ عَداوةً   مَن لا يرى (المحتلَّ) مِن أعدائِه
هي في جلالتها حِمَى أبنائِه   ومضاجعُ الماضين من آبائِه
أفَمَن يَبيعُ بلادَهُ كمجاهدٍ   ينأى بها عن بَيْعِهِ وشرائِه ؟

***

شعبُ الكنانةِ ليس من أخلاقِه   أن يَخذُلَ المُوفين من نُصرائِه
إنّ الأُلى سَمِعوا الحديث مُلفَّقاً   جَهِلوا الصّريحَ المحضَ من أنبائِه
لسنا حُماةَ النّيلِ إن ظفروا بهِ   حتّى يَسيلَ دَمُ الرجالِ كمائِه

***

الأهرام ٢٤/ ٢/ ١٩٣٣

مأتم الإسلام (1)

هتفَ النعيُّ فما ملكتُ بياني ... ليت النعيَّ إلى (الإمام) نعاني

ذَعر (الحطيمَ) وراع (يثربَ) عاصفٌ ... للموت ضجّ لهوله (الحرمان)[2]

سهمٌ أصابَ المسلمينَ، وجال في ... كبدِ الهُدَى وحُشاشةِ[3] الإيمانِ

جَرحَ الأئمّةَ واستمرَّ فما ارعوى[4] ... حتّى استباح مقاتلَ الفُرسانِ

ذهبَ (الإمامُ) يُقيمُ حائطَ دينهِ ... ويراه أنفعَ ما يُقيمُ الباني

ذهب المجاهدُ يشتري لبلادهِ ... عِزَّ الحياةِ بأشرفِ الأثمانِ

بالنّفس تَستبقُ الحتوفَ كريمةً ... بين السُّيوفِ، وبالنّجيع القاني[5]

إن كنتَ تجهلُ في الكريهةِ بأسَهُ ... فالعلم عند كتائبِ الطلّيان[6]

قذف الغرورُ بها إلى أوطانِه ... بطلاً يصونُ محارمَ الأوطانِ

---

(1) ألقيت في حفل المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة لتأبين السيد أحمد السنوسي الكبير الذي توفي بالحجاز في ذي القعدة ١٣٥١ عن ٥٦ سنة قضاها في جهاد النفس والجهاد في سبيل الله فكان لمنعاه حزن عميق في قلوب المسلمين .

(2) الحطيم جدار حجر الكعبة ، ويثرب المدينة المنوّرة ، والحرمان المكيّ والنبوي .

(3) الحشاشة بقية الروح في المريض أو الجريح .

(4) كفّ ورجع .

(5) النجيع دم الجوف خاصة ، والقاني الشديد الحمرة .

(6) إشارة الى استماتته في الدفاع عن وطنه ضد الطليان .

عَجِلَ المغارِ إذا يُؤامرُ[1] نفسَهُ ... أيُقيمُ أم يمضي الضّعيفُ الواني ؟

يأبى على البَطِرِ المُدِلِّ ببأسِه ... ما استنَّ من عَنَتٍ ومن عُدوانِ[2]

***

نزل البلاءُ بقومه ، فاذا الحمى ... بيد المغيرِ يُسامُ كلَّ هَوانِ

أخذ البلادَ ، فَرُوِّعت أقطارُها ... ورمى الفضاءَ ، فلم يَبِتْ بأمانِ

البحرُ أحمرُ، يستطير شُواظُه[3] ... والبرُّ أغبرُ، دائمُ الرَّجَفانِ

والموتُ بين بُروقِه ورُعودِهِ ... يرمي البقاعَ بوابلٍ هتّانِ[4]

ملكَ البسيطةَ والعُبابَ، ولم يَدَعْ ... مَسرى النُّسورِ ، ومسرحَ العِقبانِ[5]

ما عفَّ عن ذاتِ القناعِ ، ولا رعَى ... حقَّ الرّضيعِ ولا الكبيرِ الفاني

***

هاجوا (الإمامَ) فهاجها قُرشيَّةً ... يختالُ في غمراتِها (العُمرانِ)[6]

هاجت لنا ذكرى وقائعَ سمحةٍ ... مأثورةٍ (لابن الوليد)[7] حسانِ

(جندُ النبيِّ) يسير حول لوائِه ... و(قواضبُ)[8] (الله) العليِّ الشّانِ

التركُ والعربُ الأباةُ أنوفُهم ... سيفان في لُجَجِ[9] الوغى غَرِقانِ

---

(1) يشاور .

(2) البطر الأشِر أي شديد المرح ، والمدل ببأسه الواثق به ، والعنت الاثم .

(3) الشواظ اللهب لا دخان له .

(4) الوابل المطر الشديد الضخم القطر ، والهتان من هتن المطر قطر وقيل هو من المطر فوق الهطل .

(5) البسيطة الأرض ، والعباب الموج ، والعقبان جمع عقاب وهو طائر من العتاق (الجوارح).

(6) أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(7) خالد بن الوليد القائد الاسلامي المشهور .

(8) القواضب السيوف الشديدة القطع .

(9) جمع لجة الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه .

آنـاً بمُلْتطَمِ الدّمـاءِ ، وتارةً ... في جَوْفِ مُحْتَدِمٍ من النّيرانِ

الله ألّفَ بينهـم ، فهمـو على ... نُعمَى الحياةِ وبُؤسِها أَخْوانِ

سببـان من دُنيا الشُّعوبِ ودينهم ... تتفـرَّقُ البلـوى ويفترقـانِ

ما زالتِ الأحداثُ تعصِفُ رِيحُها ... حتّى التّوَى[1] وتقطَّع السّببانِ

***

وارَحمتا للمسلمينَ ، تفرّقوا ... وتباعدوا في الأرضِ بعد تدانِ[2]

فلئن بكيتُ ، فقد وجدتُ مُصابَهم ... في مَنكبي ، وجوانحي ، وجَناني[3]

ما بالدّموع المُستهلّةِ ريبةٌ ... هِيَ في الجُفونِ عُصارةُ الوِجدانِ[4]

مَن كان أبصرَ خطبَهم ، فأنا الذي ... مارستُه ، ولمستُه بِبَناني[5]

ما زلتُ أجمعُ بالقريضِ شتاتَهم[6] ... حتّى انقضى أدبي ، وضاع زماني

أُنظُرْ إلى الباني المُهدَّمِ ، واعتبرْ ... بالدّهرِ يصدعُ شامخَ البُنيانِ

***

(١) التوى الحبل انفتل .

(٢) التداني التقارب من تداني القوم دنا بعضهم من بعض .

(٣) المنكب مجتمع رأس الكتف والعضد ، والجوانح الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر ، والجنان القلب .

(٤) المستهلّة المنصبّة انصباباً شديداً من استهل المطر بمعنى انهلّ ، والوجدان النفس وقواها الباطنة .

(٥) البنان الأصابع .

(٦) الشتات المتشتت والمتفرّق .

يا مأتمَ الإسلامِ ، بات (شهيدُه) ... عَبِقَ[1] الموسَّدِ ، طيِّبَ الأكفانِ

هل للهدايةِ منكَ لوعةُ جازعٍ ... أم للحَميَّةِ فيك لهفةُ عانِ ؟[2]

وهل اكتستْ ثوبَ الحِدادِ لفقدِهِ ... أُمَمٌ تَدينُ بمُحكَمِ (الفُرقانِ)؟[3]

فَدحَ المصابُ ، فلا البكاءُ أراحَني ... ممّا لَقيتُ ، ولا الرِّثاءُ شفاني

من حقِّ (أحمدَ) أن يكون رثاءَه ... زَجَلُ[4] المُكبِّرِ عند كلّ أذانِ

لوزيد ركنٌ في الصلاةِ على يدي ... لجعلتُه من أوثقِ الأركانِ

***

جارَ (النبيِّ) غنِمْتَ طيبَ جوارِه ... وظفِرْتَ منه بذمَّةٍ وضمانِ

ونَزلتَ من غُرَفِ الجِنانِ بناضرٍ ... بَهِجِ القَطينِ[5] ، مُنعَّمِ الجيرانِ

أنْفُضْ[6] أذى الدنيا ، ودَعْ ما زيّنت ... للنّاسِ من زُورٍ ، ومن بُهتانِ

واحمَدْ مكانكَ في النّعيمِ وطيبِهِ ... إنّ الهمومَ مَلأْنَ كلَّ مكانِ

إن جلّ خطبُ المسلمين ، فإنّه ... دينُ الزّمانِ وسُنّةُ الحَدَثانِ[7]

دُنيا الشُّعوبِ ، وللحياةِ كِتابُها ... سَلَبُ الكُماةِ ،[8] ومغنمُ الشُّجعانِ

***

٦ ربيع الأول ١٣٥٢هـ -

(١) من عبق به الطيب لزق .

(٢) العاني الذليل الخاضع .

(٣) القرآن .

(٤) صوت .

(٥) جمع القاطن وهو المقيم .

(٦) نفض الورق من الشجر أسقطه .

(٧) الحدثان صروف الدهر ونوائبه .

(٨) السلب ما يسلب ، والكماة جمع كميّ وهو الشجاع .

لك الآثار خالدة كبارا

جَرَى سعداً ومرَّ بنا يمينا … قدومُكَ يا أعزَّ القادمينا

تتابعتِ البشائرُ مُؤذناتٍ … بعودكَ أنفسًا ذابت حنينا

فأسرعتِ القلوبُ مُصافحاتٍ … وأقبلتِ الوفودُ مُهنِّئينا

ولاح على البحيرةِ منك نورٌ … جلا غمراتِها ، ومحا الدُّجونا

وليتَ أمورَنا والخطبُ قاسٍ … نُعالجهُ ويأبى أن يلينا

وفقدُ الأمنِ أيسرُ ما رأينا … وهولُ القتلِ أهونُ ما لقينا

فأحييتَ النُّفوسَ ، وكنَّ مَوتَى … وأبطلتَ الفسادَ ، وكان دينا

حكمتَ ، فكنتَ خيرَ الحاكمينا … وسُستَ ، فكنتَ أوفى المصلحينا

ألَنتَ لنا الخطوبَ ، وقُمتَ فينا … مَقَاومَ تُعجز المتشبّهينا

وأسّستَ الحضارةَ زاهياتٍ … معالمُها تسرُّ النّاظرينا

وأنبتَّ العلومَ بكلِّ أرضٍ … فتلك ثمارُها تُجنَى فُنونا

وأعززتَ اليتيمَ فتاهَ عُجباً … وراح يُنافسُ المتكبّرينا

فديتُكَ من أبٍ يرعى البنينا … وباركَ فيك ربُّ العالمينا

لك الآثارُ خالدةً كباراً … يَدُمنَ إلى المدى ما ينقضينا

تمرُّ بها الدهورُ مكبّراتٍ … وتلقاها القرونُ مهلّلينا

(١) قيلت في أحد الحكام الصالحين .

لقد حمّلتَ نفسكَ فادحاتٍ … تهدُّ عزائمَ المتجبّرينا

تكدُّ وتركبُ الأخطارَ فرداً … تُقارعُها قِراعَ الباسلينا

رويدَكَ ، إنّ نفس المرءِ منه … وإنَّ العَضْبَ قد يرتدُّ حينا

وإنّ الحاكمينَ وهم كِثارٌ … قلائلُ إن عددنا المصلحينا

جزاكَ اللهُ صالحةَ الأيادي … وحقّق في معاليكَ الظنونا

***

-١٩٣٣-

نكبة فلسطين (1)

في حِمى الحقِّ، ومن حول (الحَرَمْ)

أُمّةٌ تُؤذَى، وشعبٌ يُهتَضَمْ[2]

فزِعَ (القُدسُ)[3]، وضجّتْ (مكةٌ)   وبكت (يثربُ) من فرط الألَمْ

ومضى الظُّلمُ خليًّا ناعماً   يسحبُ البُرْدَيْنِ من نارٍ ودَمْ

يأخذ الأرواحَ، ما يَعصِمُها   مَعقلُ الحقِّ إذا ما تَعتصِمْ

ويرى النّاسَ إذا أعجبه   أن يَبيدوا كأقاطيعِ البَهَمْ[4]

بَعَثتْه شهوةٌ وحشيّةٌ   تتلظّى مثلُ أجوافِ الأُطُمْ[5]

ما تُبالي إن مَضتْ ويلاتُها   ما أصابت من شُعوبٍ وأُمَمْ

أهْونُ الأشياءِ في شِرعتِها   أُمّةٌ تُمحى، وشعبٌ يُلتهَمْ

هي من رُوحِ الدّهاقينَ[6] الأُلى   نشروا النُّورَ، وطاحوا بالظُّلَمْ

---

(1) قدّمت جريدة البلاغ هذه القصيدة بقولها (صيحة عالية يرسلها الشعر الحي في ممالك الشرق وشعوبة، رحمةً بفلسطين الجريحة، وعظة لها ولغيرها من هذه الأقطار الواهنة، والممالك الحزينة، تلقّاها البلاغ من ناظمها الأستاذ أحمد محرم شاعر الوطنية المصرية، والجامعة الشرقية، فنحن نذيعها كعنصر قوي من عناصر الأدب والتاريخ والسياسة . .)

(2) يُظلم ويُغصب .

(3) عاصمة فلسطين بها كنيسة القيامة للمسيحيين والمسجد الأقصى وقبة الصخرة للمسلمين وحائط المبكى لليهود .

(4) الواحد البهمة أولاد البقر والمعز والضأن .

(5) الحصن .

(6) جمع دهقان رئيس الاقليم فارسي معرب .

أنقذوا العالَمَ من أرزائه   وأذاقوه أفاويقَ[1] النِّعَمْ

وأزالوا ما حَوَتْ أرجاؤه   للأوالي من قُبورٍ ورِمَمْ

فإذا الدنيا جمالٌ يُجتَنَى   وإذا العيشُ سلامٌ يُغتَنَمْ

زَيّنوها قِصّةً ناعقةً   زَيَّنتْ للنّاسِ مكروهَ الصَّمَمْ

كشفَ التّجريبُ عن سوْآتِها   ومضتْ عاريةً ما تحتشِمْ

أفسدوا العالَمَ ممّا عبَثوا   بالدساتيرِ القُدامى والنُّظُمْ

نقضَ الأرسانَ[2] واستنَّ العَمَى   فهو يَمضي جامحاً أو يرتطِمْ

سلبوه العقلَ ممّا عربدوا   وسَقَوْهُ من خَبالٍ ولَمَمْ[3]

الحياةُ البَغيُ، والدِّينُ الهوى   والضّعيفُ الخَصمُ، والسّيفُ الحكَمْ

زمنٌ تَصدُقُ إن سمّيتَه   زمنَ (الطّاغوتِ) أو عصرَ (الصّنَمْ)

***

يا فلسطينُ اصطليها نكبةً   هاجها للقومِ عهدٌ مُضطرِمْ[4]

واشهَديهِ في حِماهم مأتماً   لو رَعَوْا للضّعفِ حقًّا لم يَقُمْ

واشربي كأسَكِ ممّا عصَروا   من زُعافٍ[5] جائلٍ في كلِّ فَمْ

أُذكري يومَكِ في أفيائهم[6]   ودَعي الأمسَ فما يُغني النّدَمْ

آيةٌ للبَغيِ من أسمائها   حِكمةُ الأقدارِ، أو عدلُ القِسَمْ

---

(1) جمع فيقه اسم اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين .

(2) جمع الرسن الحبل وما كان من زمام على أنف والأرسان من الأرض الحَزْنة .

(3) جنون خفيف أو طرف من الجنون يلمّ بالأنسان .

(4) مشتعل يشير بذلك الى وعد بلفور .

(5) الزعاف السمّ .

(6) جمع فَيْء الغنيمة أو هو الظلّ .

إكشفيها غُمّةً ليس لها   مِن كِفاءٍ غيرُ كشّافِ الغُمَمْ(1)

الجهادُ الحرُّ يقضي حقَّه   سُؤددُ العُربِ ، ويحميهِ (العلَمْ)

لا تنامي للعوادي وادأبي   واذهبي طامحةً في المُزدحَمْ

ليس بالمُدركِ حقًّا غافلٌ   نامَ ، والأحداثُ يقظَى لم تنَمْ

***

في فؤادي جُرحُكِ الدّامي وفي   كَبدي ما فيكِ من حُزنٍ وَهَمّ

كم صريعٍ لكِ في أشلائِه   مَصرعُ القُربَى ، وأشلاءُ الرَّحِمْ

فَجعوني فيهِ بابنِ صالحٍ   وأخٍ حُرِّ السّجايا ، وابنِ عَمّ

(شهداءُ الحقِّ) ماتوا دُونه   وهو حيُّ العزِّ ، موفورُ الشَّمَمْ(2)

واشتروه بنفوسٍ حُرّةٍ   بذلوها من سَخاءٍ وكرمْ

نَهض المُلكُ على أمثالِها   واستتبَّ الأمرُ فيه وانتظمْ

إن رسا البنيانُ يوماً أو سَما   فَهِيَ الأركانُ فيه والدُّعُمْ(3)

ذهبوا ، للشرقِ في مأتمهم   مَرحُ الخالي ، وبِشرُ المُبتسِمْ

سرّه أن هبَّ من أبنائِه   قُضُبُ الهند ، وآسادُ الأَجَمْ(4)

وانتضى(5) من بين جَنبيْهِ الأسَى   ما انتضى العُدوانُ من تلك الهِمَمْ

هِمَمُ الأحرارِ تحمي وَطناً   عربيًّا سيمَ خَسفاً(6) وظُلِمْ

(١) الغمة الحزن والكرب ، والكفاء النظير .

(٢) الأنفه .

(٣) جمع دِعام عماد البيت .

(٤) قضب جمع قضيب السيف القطّاع ، وقضب الهند السيوف المطبوعة من حديد الهند ، والأجم جمع أجمة مأوى الأسد .

(٥) إنتضى السيف استلّه من غمده .

(٦) من سامه خسفا أذلّه .

باعَهُ ذئبٌ لذئبٍ غيلةً(1)   فهو للذئبَينِ نَهبٌ مُقتسَمْ

تُنزَعُ الأرزاقُ من أبنائهِ   وتُسَلُّ الأرضُ من فرط النَّهَمْ(2)

يُرهَقُ القومُ ، فإن هم غضبوا   راحتِ الأرواحُ منهم تُخْتَرَمْ(3)

أخذتهم للأذى عاصفةٌ   هاجها البغيُ ، فهبّت من أَمَمْ

وارتمت هوجاءَ(4) ما يردعُها   فاجعُ الثُّكلِ ، ولا عادي اليَتَمْ

عصفت ظمآى إلى آجالهم   فتروَّت(5) من شبابٍ وهَرَمْ

وأراها من تَلظِّي جوفِها   تتداعَى كالشُّواظِ المُحتدِمْ(6)

تتمنَّى من تباريحِ الصَّدَى   لو يكون الدَّمُ كالبحرِ الخِضَمْ(7)

***

(شعبَ اسرائيلَ)(8) ما بالُ الأُلَى   حفظوا العهدَ ، وبرُّوا بالقَسَمْ

ذكروكم ، ونَسَوْا ما عَقدوا   لِسواكُمْ من عُهودٍ وذِمَمْ ؟

أُذكروا (بُلفورَ) في (تلمودكم)   واغفروا اليومَ (لِعيسَى) ما اجترمْ(9)

(١) الغيلة اسم من الاغتيال .

(٢) تنزع وتسلّ بمعنى ، والنهم الشرَه والإفراط في الأكل .

(٣) تهلك وتُستأصل .

(٤) الهوجاء من الرياح التي لا تستوى في هبوبها وتقلع البيوت .

(٥) رويت أي تزوّدت بالماء .

(٦) التلظّي التلهّب ، والشواظ المحتدم اللهب الشديد الاتقاد .

(٧) تباريح الصدى أذى ومشقة العطش الشديد ، والخضم البحر العظيم .

(٨) اسرائيل اسم لُقّب به يعقوب بعد مقاومته الملاك .

(٩) بلفور (أرثر جيمس) سياسي انجليزي صاحب وعد بلفور عام ١٩١٧ وفيه الضمان لليهود بحق انشاء وطن قومي في فلسطين ، والتلمود من أهم كتب الديانة اليهودية التي دوّنت بعد الكتاب المقدس ، وعيسى هو يسوع المسيح عليه السلام .

واسألوا (مُوسَى)[1] أطابت نفسُه … أمْ أبَى ما كان منكم فنَقِمْ ؟
ليس مَن مالَ عن الحقِّ كمن … جعل الحقَّ سبيلاً يُلتزَمْ
هدم (التِّيهُ)[2] قديماً مُلككم … فبنى (بلفورُ) منه ما هَدَمْ
أبَتِ الأرضُ فكنتم شعَثاً[3] … طائراً في كل وادٍ ما يُلَمْ
فرمى أشتاتكم في وطنٍ … راعه منكم بشعبٍ مُلتئِمْ

***

نبِّئوا الغرقى ، وإن لم يسمعوا … أهُوَ الطُّوفانُ ، أم سَيْلُ العَرِمْ ؟[4]
(مصرُ) ناجِي من (فِلسطينَ) الرُّبى … وابْعثي صوتَكِ من أعلى (الهَرَمْ)[5]
وإذا أعوز همٌّ أو أسًى … فاستمدِّي الهمَّ من هذا القلَمْ
وخُذِي مَعْنَى الأَسَى عَنْهُ، فما … لكِ من مَعناه إلاّ ما نَظَمْ
نَبِّئيها أنّنا من وجدِها … نجد العَلْقَمَ في العذبِ الشَّبِمْ[6]
نشتكي الليلَ ، ويرمينا الأَسى … إن مضى الليلُ بِصُبحٍ مُدْلَهِمْ[7]
فكأنّا منهما في مُلتقى … نكبةٍ تَطغَى ، وأُخرى تَستجِمْ[8]

---

(١) النبي موسى عليه السلام .
(٢) التيه أو فَحْص التيه اسم الصحراء الواقعة على الحدود المصرية الفلسطينية داخل شبه جزيرة سيناء ويسميها جغرافيو العرب صحراء بني اسرائيل ، وقد تاه فيها بنو اسرائيل عند خروجهم من مصر .
(٣) مصدر من تشعّث بمعنى تفرق .
(٤) العرم جمع العرمه المطر الشديد يقال « ذهب بهم سيل العرم » .
(٥) بناية أثرية عظيمة شادها المصريون القدماء مدفنا لملوكهم .
(٦) العلقم المرّ، والشّبم الماء البارد.
(٧) من ادلهّم الليل اشتد سواده .
(٨) تُبطىء .

أختُكِ الوَلْهى عنَاها شجوُها … وَدَهى أبناءَها الخطبُ المِلَمّ[1]
فزعتْ تدعوكِ في مِحنتِها … (مصرُ) جلَّ الخطبُ: هُبِّي، لا جَرَمْ[2]
أُذكريني - أدركيني - خفِّفي … ألمي - بُوركتِ من أُختٍ وأُمْ
هَدَّ قومي باسْمِ (مُوسَى) ظالمٌ … لو رأى في القومِ (موسى) ما رَحِمْ
زَعَم (التوراةَ)[3] من أنصاره … فهي تشكو خطبَها مِمّا زعمْ
هل رأى (الألواحَ)[4] فاستهدَى بما … جاءَ فيها مِن عظاتٍ وحِكَمْ ؟
أم تلقَّى الوحيَ؟ أم كان امرأً … جهِلَ النّاسُ جميعاً وعَلِمْ ؟

***

ربِّ هل قدّرتَ ألاّ ينجلي … ما أصابَ الشرقَ من خطبٍ عَممْ ؟[5]
عاث فيه القومُ ، حتّى مالَهُ … حرمةٌ تُرعَى، وحقٌّ يُحترَمْ
إكشفِ البأساءَ ، وارحم أُمماً … تتلوَّى من مَلالٍ وسأَمْ[6]
عَمِلَ النّاسُ ، فسادوا وعلَوْا … وَهْيَ فوضى من عبيدٍ وخدَمْ
تَحمِلُ الضَّيمَ[7]، ولولا أنها … تحسَبُ الموتَ حياةً لم تُضَمْ

---

(١) الولهى الشديدة الحزن ، وعناها أهمّها ، والشجو الهمّ والحزن ، ودهى أبناءها أصابهم بداهية ، والمِلَم الشديد .
(٢) لا جرم أي لا بد أو لا محالة .
(٣) في المعنى الحصري هي أسفار العهد القديم الخمسة الأولى وقد يطلق خطأً اسم التوراة على الكتاب المقدس بكامله .
(٤) هي الأوامر والنواهي التي أوحاها الله إلى موسى . قيل كانت سبعة وقيل عشرة .
(٥) الخطب العمم الذي يعم شرّه ويشمل الجميع .
(٦) البأساء الشدّة ، والملال الضجر والسأمه .
(٧) الظلم .

ما لنا من هذه الدُّنيا سِوَى ... غارةِ العادِي ، وعَسفِ المُحتكِم

ساءَنا من شرِّها ما نجتوى[1] ... وعَنانا من أذاها ما نَذُمّ

فسئِمناها حياةً مُرَّةً ... ومللناهُ وُجوداً كالعَدمْ

رَبِّ أنتَ العونُ إن طاف بنا ... طائفُ البَغْيِ ، وأنت المُنتقِمْ

من يُجيرُ القومَ إن صبَّحَهم ... خطبُ (عادٍ) و(ثمودٍ) في القِدَمْ ؟[2]

لا يَغُرَّنَ قوياً جُندُه ... قُوَّةٌ صرْعَى ، وجُندٌ مُنهزِمْ

***

١٣/ ١١/ ١٩٣٣

(١) نجتوى نكره.

(٢) عاد شعب سكن الأحقاف . اضطهد النبي هود فسحقتهم العاصفة كما جاء في القرآن ، وثمود شعب عربي قديم باد أثره قبل ظهور الاسلام . ذكر في القرآن وفي كتابة سرجون (٧١٥ق .م .) وفي مؤلفات جغرافيي اليونان والرومان وفي الشعر الجاهلي .

الفاجعة الجوية

في الشهيدين فؤاد حجاج وشهدى دوس[1]

أَعجزنا أن نَجوبَ المَشرِقَينْ ؟ ... أم عَيينا أن نَفوتَ النَّيِّرَينْ ؟

قاتِلُ الأبطالِ في أدراعِها ... عَصفتْ أقدارُه (بالبطلينْ)

أَمَرَ الرِّيحَ ، فلم تَحْمِلْهُما ... وتنحَّتْ عنهما بالمنكِبَينْ

وكسا الجوَّ دُخاناً سَدَّهُ ... وطَوى أعلامَهُ عن كلِّ عَينْ

طاحَ (بالنَّسرَينِ) منه قَدَرٌ ... نافِذُ النَّابَينِ ، ماضِي المِخلبَينْ

مُستطيرُ البأسِ ، ما تدفعهُ ... عُدَدُ الحربِ ، وبأسُ الفيلقينْ

تَسقطُ الجُردُ المَذاكِي دونه ... وتطيرُ البيضُ مِلءَ المأزمينْ[2]

بعثَ الخَطْبَين في إيماءةٍ ... وَرمَى في نَفَسٍ بالنكبتينْ

إن يَرُعْها أُمَّةً محزونةً ... فلقد يَجمعُ بين الأُمَّتينْ

يَقْدِرُ العلمُ إذا سالَمَهُ ... وهْوَ إن عاداه ذُو عَجزٍ وأَيْنْ[3]

(١) سقطت طائرتهما في غابة بولونيا بفرنسا ، وقد قدمت جريدة البلاغ القصيدة بقولها « خير الشعر ما استخرج العظة من الحوادث ، واستثار الحكمة من بين ثناياها ، فإذا الألم تشوبه اللذة ، وإذا النكبة الكبرى أو الفاجعة الأليمة تكشف في كثير من جوانبها عن معانٍ أخر وصور خاصة تتجافى عما يكون لها في ذاتها من معنىً جامد أو صورة خرساء ، ويجب الى هذا كله أن يكون الشعر شعراً بالمعنى المتفق عليه بين أئمة الفن وجهابذة الصناعة ، وهذا ما يراه القراء في قصيدة اليوم للشاعر الكبير أحمد محرم وهي في الفاجعة الأليمة » .

(٢) الجرد الخيل السباقة، والمذاكي تلك التي تمت سنها وكملت قوتها ، والبيض السيوف، والمأزم كل طريق ضيق بين جبلين وموضع الحرب أيضا مأزم .

(٣) الأين التعب والإعياء .

سابحٌ في البَرِّ والبحرِ وفي / مَسْبَحِ الريحِ ، ومجرى الشِّعرَيْينْ[1]

كلُّ حيٍّ حين يرمي عن يدٍ / مُوثَقُ القُوّةِ ، مغلولُ اليدَيْنْ

نظرُ (الوادي) ففاضت عَبرةٌ / من بديع الدّمعِ تروي المعنيَيْنْ

هَطلتْ حرَّى ، وراحت جهرةً / تتغنّى فرحاً في المأتمينْ

خِلّةُ الشامتِ ، إلاّ أنها / أبعدُ الخلاّنِ عن عَيْبٍ وشينْ[2]

نهضتْ بالوجدِ ، والمجدِ ، معاً / وقضتْ ما عرَفتْ من حقِّ ذينْ[3]

رُبَّ حتفٍ في حياةٍ تُشتهى / وحياةٍ هي في حتفٍ وحَينْ[4]

أيُّ خطبٍ لم يُخفِّفْ هولَه

مصرعُ (الفاروق) أو خطبُ (الحُسَينْ)[5] ؟

***

أنظروا النَّعشين في عزّهما / وصِفوا لي كبرياءَ الموكبَيْنْ

واطلبوا الرَّيحانَ عندي، وخذوا / من بياني روضةً أو روضتينْ

واذكروا (للشّرق) عن (شاعره) / حَيرةَ الرُّزءين بين الموسمينْ

لا تُريدوا بعد (شوقي)[6] غيرَه / إنّ خيرَ الشّعرِ شعرُ (الأحمدينْ)

***

(١) الشعرى الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدّة الحر .

(٢) الشين القبح والعيب .

(٣) الوجد الحزن ، وذين مثنى اسم الاشارة ذا .

(٤) الحين الهلاك .

(٥) الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قتل عام ٦٤٤ ، والحسين بن علي بن علي طالب ، قتل في كربلاء عام٦٨٠ .

(٦) أحمد شوقي ولد عام ١٨٦٨ وتوفي عام ١٩٣٢ . من أشهر شعراء مصر له ديوان الشوقيات وعدة مسرحيات .

نشطَ العالَمُ في حاجاتِه / يبتغيها في مجالِ الفرقدينْ

أنخونُ النّيلَ في آمالِه ؟ / ليس هذا إن فعلناه بزَيْنْ

آن للآباءِ أن يسترجعوا / ما على الأبناءِ من حقٍّ ودَيْنْ

لو صدقنا للعوادي مِثلهم / ما ارتضينا العيشَ من زُورٍ ومَيْنْ[1]

أخذوا الموقفَ وضّاحَ السَّنا / وبقينا نحن بين الموقفينْ

أيُّ دنيا هذه الدنيا التي / مالنا منها سوى (خُفَّيْ حُنَيْنْ) ؟

***

يا شبابَ النّيلِ جِدُّوا وادأبوا / إنّ هذا المجدَ شيءٌ غيرُ هَيْنْ

وإذا ما أعوزتكم نجدةٌ / فاطلبوها من بُناةِ (الهرمينْ)[2]

واستعينوا بالأُلى سنُّوا العُلا / لبني الدنيا ، وهزّوا الخافقينْ[3]

نحن من (فرعونَ) أو من (عُمَرٍ) / أيُّ مجدٍ مثلُ مجدِ (الأبوَيْنِ)؟

أُذكروا (العصريْنِ)، كم من قُوّةٍ / تتلظّى نارُها في الذكرينْ

واطلبوا في عصركم أقصى المدى / لا تهابوا ، تلك إحدى الخُطّتينْ

***

البلاغ ٢٤/ ١١/ ١٩٣٣

(١) المين الكذب .

(٢) المعروف أن الشاعر ممن لا ينادون بمصر الفرعونية فهو يعني الأقباط بهذا الشطر من النداء . وهذا واضح في سياق كلامه .

(٣) المشرق والمغرب .

بيت النبوّة (١)

(دارُ العروبةِ) ترفعُ الأعلاما ... (لابن الحُسَينْ) تحيّةً وسلاما
لابْنِ العرانينِ العُلى من (هاشمٍ)(٢) ... أعلى النُّجومِ المشرقاتِ مَقاما
المبتنينَ على السِّماكِ عُروشَهم ... نوراً يَعِزُّ على الشُّموسِ مراما(٣)
قومٌ إذا رفعوا لِمُلْكٍ حائطاً ... جعلوا الأسِنَّةَ والسُّيوفَ دِعاما
يا (ابنَ الحُسَينْ) تحيّةً من أُمَّةٍ ... ترعى لِبيتِكَ حُرمةً وذِماما
(بيت النبوَّةِ) ظلّلتْ أفياؤُه ... أُممَ الكتابِ، وحاطتِ الإسلاما(٤)
اللهُ أطلعَ من جوانبِه الهُدَى ... وأجالَ فيه الوَحْيَ والإلهاما
لولا انبعاثُ النُّورِ من آفاقِه ... ما انفكّتِ الدُّنيا تَموجُ ظلاما
ما أنتَ بالضّيفِ المُودَّعِ في غدٍ ... يا مَنْ إذا عزَمَ الرَّحيلَ أقاما

***

١٩٣٤ -

(١) قيلت في تحية الملك علي بن الحسين بدار العروبة بالقاهرة .
(٢) العرانين جمع العرنين وهو السيد الشريف ، وبنو هاشم بطن من قريش ينسبون إلى هاشم بن عبد مناف أبي عبد المطلب أخي عبد شمس والد أميّة .
(٣) السماك نجم نيّر معروف ، ويعزّ يصعب ، والمرام المطلب .
(٤) الأفياء الظلال ، وحاطه حفظه وصانه وتعهّده.

مصر الحزينة (١)

مصرُ أُذكري في الخالدين فتاكِ ... وصِفي الخلودَ لكلّ من يهواكِ
(ممتازُ) من شُهداءِ حُبِّكِ، ماصبا ... إلاّ إليكِ، ولا أحبَّ سواكِ
صبٌّ أضاعَ على هواكِ حياته ... لكنّه حَفِظَ الهوى ورعاكِ
لمّا رآكِ إلى الحياةِ وطيبها ... ظمآى أذابَ شبابَهُ وسقاكِ
هذا شرابُ الباذلين نُفوسَهم ... باللهِ هل نَقَعَ الصَّدى(٢) وشفاكِ ؟
هل تذكرين على النّوى وصرُوفها ... مِن حُبِّه العُذريِّ ما أصفاكِ ؟
لا تتركي يا مصرُ ذِكرَى شيِّقٍ ... وَلهانَ، ليس بتاركٍ ذكراكِ
ناجاكِ يَلهجُ بالتحيَّةِ غضّةً ... حَيِّ الشّهيدَ، وردِّدي نجواكِ
حَيِّ النُّبوغَ، وجدتِه فحباكِ من ... نَفحاتِه، وفقدتِه فشجاكِ
زانَتْهُ أخلاقُ الرِّجالِ وزانها ... وحَفَفْتِ أنتِ سَناهُما بسناكِ
خاضَ الغِمارَ يَقيكِ عاديةَ الأذى ... ويصونُ من عَبثِ الخُطوبِ حِماكِ
ما مالَ يوماً عن شريعةِ (مُصطفى)(٣) ... ما خانَ عهدكِ، ما أعانَ عِداكِ
تلك الشّريعةُ، لا وساوسُ معشرٍ ... جهلوا سجايا الغاصبِ الفتّاكِ
مَن كان يجهلُ ما أقولُ، فهذه ... مِصرُ الحزينةُ، والشّبابُ الباكي

***

٥ إبريل ١٩٣٤

(١) قيلت في ذكرى وفاة علي ممتاز عضو اللجنة الادارية للحزب الوطني الذي توفي في ١٨/ ٤/ ١٩٣٣ .
(٢) نقع الماء العطش سكّنه وقطعه .
(٣) الزعيم مصطفى كامل .

سيري على نور الكتاب (1)

أَمنارةَ السَّاري ، وأَمْنَ الوادِي ... هَلْ بَاتَ حَوْلَكِ سَامِرٌ فَأُنادِي ؟

أَسَفُ الصَّدَى أن يَضمَحِلَّ، وما قضَى ... وَطراً مِنَ الأَسماعِ والأكبادِ

وَمِنَ العَناءِ ، وقد بَلوتُ صُنوفَهُ ... فشَلُ الهُداةِ ، وخَيْبَةُ القُوّادِ

في ذِمَّةِ الذِّكرِ الحكيمِ رِسالَتي ... وإليكَ رَبِّي مَرْجِعي ومَعادي

أَنتَ العليمُ بِما أُريدُ وأَبْتغي ... وَبِما أُكابِدُ مِن أذىً وَعِنادِ

عِفْتُ الصِّبيَ ، وَجعلتُ شَيْبِي قُرْبَةً ... أَبْغِي الحياةَ لأُمَّتِي وبِلادي

كلٌّ لِوَجْهِكَ، لَيسَ شَيءٌ غَيرُه ... إلاّ يَصيرُ إلى بِلىً وَنَفادِ

أَغْرَى الخَوارجَ بالعداوةِ أَنهّم ... وَجَدوا مُرادَكَ في الحياةِ مُرادي

***

لَكِ يا مُنَوِّرَةَ البِقاعِ تَحِيَّةٌ ... مِن رائحٍ في نُورِ عِلْمِكِ غادِ

سِيرِي عَلَى نُورِ (الكِتابِ)[2] وَهَدْيِه ... وعلى التي سَنَّ (الأمينُ الهادي)[3]

لَكِ في (بني الإسلام) أَجرُ مُجَدِّدٍ ... لِشرائعِ الآباءِ والأجدادِ

أنْصَفْتِ (دينَ اللهِ) مِن أعدائِه ... وهَزَمْتِ دينَ الكُفْرِ والإلحادِ

---

(1) قيلت تحية لمجلة الفتح في عامها التاسع لصاحبها الكاتب الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب .

(2) القرآن الكريم .

(3) النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وغضِبتِ للأخلاقِ غَضْبَةَ حُرَّةٍ ... تَأْبَى الحياةَ مَشوبَةً بِفَسادِ

وَجَهِدْتِ تَبنينَ (العُروبَةَ) كُلَّما ... أَبْصرتِ حائِطَها بِغَيرِ عِمادِ

رُدِّي الغُواةَ إلى السَّبيلِ ، وأَذِّني ... في الجامحينَ بِحكمةٍ وسَدادِ

وَخُذِي العُهودَ عَلى الرِّجالِ ، فَحسْبُهم ... ما كانَ مِن شَغَبٍ ، وطُولِ تَعادِ[1]

الضَّعفُ أدركَهُمْ ، وكانوا قُوَّةً ... لا تُستباحُ بِقُوَّةٍ وعَتادِ

يُلقِي إليها المُستبِدُّ قِيادَهُ ... والحقُّ منها آخِذٌ بِقيادِ

إنْ أَمْسَكتْ ، فَعَنِ الأَذى ، وَإذا مَضَتْ ... مَضَتِ السُّيوفُ على هُدىً وَرَشادِ

عَطفَتْ على الأُمَمِ الضِّعافِ ،وطَوَّحَتْ ... خَلْفَ الدُّروبِ بآخرينَ شِدادِ

لم تَتَّخِذْ مُلْكاً أزلَّ، ولَم تُقِمْ ... حُكماً على شَطَطٍ ولا اسْتبدادِ

خُلِقَتْ سَلاماً لِلشُّعوبِ وَرحمةً ... في عَالَمٍ بادِي الشَّراسَةِ عادِ[2]

يَرْعَى الضِّعافَ بهِ، وَيَمْلِكُ أَمْرَهُمْ ... غَرثانُ يَلتهِمُ المَمالِكَ صادِ

يَرِدُ الدِّماءَ بَريئةً، ويخوضُها ... وَلْهَى ، ولم تَكُ مَطْمَحَ الوُرَّادِ

اللهُ حَرَّمَها ، ودافِعَ دُونها ... مَن ذا يُدافِعُ ربَّه ويُرادي ؟[3]

نظرَ الهُداةُ إلى الشُّعوبِ، فما دَرَوْا ... أَعُقولُ وَحْشٍ ، أم طِباعُ جَمادِ ؟

وتعجَّبُوا للأرضِ كيفَ يَسوسُها ... طُغيانُ أربابٍ ، وجَهلُ عِبادِ

مَرِضَتْ نُفوسُ العالَمِينَ ، فعادَها ... خَيرُ الأُساةِ ، وأفضلُ العُوّادِ

طِبٌّ مِن (الوحْيِ المفصَّلِ) آخِذٌ ... بِمَجامِعِ الأَرواحِ والأجسادِ

ما انفكّتِ الأفهامُ في أصفادِها ... حتّى تداركَها (الرّسولُ الفادي)

***

---

(1) من تعادى القوم عادى بعضهم بعضاً .

(2) العادي المُعادي والمعتدى .

(3) رادى ودافع بمعنى زاحم .

إيهِ (محُبَّ الـدّين) زِدْهُ محبَّةً ... في المؤمنـيـن ، وَزِدْهُ صفْـوَ ودادِ

لي مِن يراعـكَ في الصَّبابـةِ مُسعِدٌ ... فَامْـزِجْ مِدادَكَ في الهَـوى بمِدادي

وتَعـالَ نقْضِ الحـقَّ في ميعادِهِ ... إنّ الحياةَ قريبـةُ الميعادِ

اليومَ نملِكُ أن نَقـولَ ، وإنَّنا ... لاإلى رُفـاتٍ صَامـتٍ وَرَمادِ

قُلْ ما أردتَ ، ونـادِ قومَـكَ أقْبِلوا ... مِـن حاضرٍ يخْشَى الإلَـهَ وبادِ

اللهُ يَسـألُ أين غُودِرَ دينُه ... ويقـولُ أين فَوارِسي وَجيادي ؟

أفَيَطْمـعُ النُّـوامُ مِلءَ عُيونِهم ... أن يمَلِـكُوا الـدُّنيا بغَـيرِ جهادِ ؟

سِرْ يا دَليلَ الـرّكبِ مأمـونَ الخُطَى ... وارْفَـعْ يَديكَ تحيَّةً للحادي

المُسلمـونَ عَلى هُدىً مِن رَبِّهِم ... مـا دَامَ نُورُكَ عَن يمَـينِ الوادي

***

مجلة الفتح ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ

بني يعرب ردّوا على الشرق عزّه [1]

أعِـدُّوا لأعـلام البيانِ المنابرا ... ولا تعدلـوا بالشّاعـرِ الفـردِ شاعرا

دعونـي ويومَ العبقـريّةِ واحداً ... فإنّـي لمَن يقضى له الحـقُّ وافرا

خُذوه رِثـاءً ما ذَوى ذِكرُ ميّتٍ ... فناجـاه إلاّ ارتـدَّ ريّانَ ناضرا

سلـوا الشّرقَ والإسـلامَ ما بالُ لاعـجٍ[2] ... مِـن الوجـدِ ما ينفـكُّ حرّانَ ثـائـرا

سلـوا (يثـربَ) الوَلْهَـى بمَـن شفَّهـا الأسى ؟ ... سلـوا (البيتَ) ماذا هاجـه والمشاعرا ؟

سلـو (المسجـد الأقصى) أمـا بات واجـداً[3] ... يُكابـد ليلاً في (فلسطـينَ) ساهـرا ؟

سلـوا (المَلِكَ) المُلقـى بمُعتَـركِ البلى[4] ... أيجـزعُ أم يلقـى الكتائـبَ صابرا ؟

هي الحربُ تجتاح الجنـودَ، وتحتوي ... رِقاق المواضي ، والعتـاقَ الضّوامرا[5]

ألحّـتْ تهـدُّ الفاتحـين ، وشمَّرتْ[6] ... تَسُـدُّ على الرُّسـلِ الـكرامِ الحفائرا

***

(١) قيلت في رثاء الملك على بن الحسين .

(٢) اللاعج الهوى المحرق .

(٣) حزيناً .

(٤) المعترك المعركة ، والبلى الهلاك والفناء .

(٥) رقاق المواضي السيوف الماضية ، والعتاق الخيول السبّاقة ، والضوامر التي تُضمّـر للغـزو أو السباق .

(٦) اشتدّت .

ألا هُدنــةٌ فيهــا من الهــمِّ راحةٌ؟   فــإنَّ بنــا منــه لَداءً مُخامِرا(1)

كأنَّ تفاريقَ النُّفـوسِ التـي مضت   شُعـاعٌ مضَى في هَبْـوةٍ مُتطايرا

أمـا في كتـابِ الموتِ معنـىً لباحثٍ   شَـكَا خافياً منـه وأنـكر ظاهرا ؟

نُخـادِعُ أحـزانَ النّفـوسِ ، ونَدّعي   من الصبرِ ما يُفني القُوى والعناصرا(2)

***

تنـاءَى المدى (بابـنِ الحُسَيْنِ) وطوّحـت(3)   بـه سَفْـرةٌ هوجـاءُ تطـوِي المُسافرا

مضى راشـداً ، يهـديه من نور (فيصـلٍ)   ونـور (أبيهِ) ما يُضيءُ الدَّياجرا

كريمٌ سما يلقـى كريمـاً ، وكابرٌ   مَشَى في ركابِ الحـقِّ يَتبـعُ كابرا

مَصـارعُ ما تنفـكُّ من (آلِ هاشمٍ)   تُذكِّرُنـا أيّامَهـم والمـآثرا

همُ ابتعثـوا مجـدَ العُروبـةِ هامداً   وهُـمْ جَدَّدوهُ دارسَ الرسـمِ داثرا(4)

يُريدونهـا للشّرقِ ذُخـراً وعصمةً   إذا خاف يوماً من أذى الدهرِ ضائرا(5)

رمـوا ما رمـوا في حقِّهـا ينصرونَهَا   ولـولا الأنـوفُ الشـمُّ لم نُلفِ ناصرا

بقيّةُ جُنْدٍ من سَنَى الوحـيِ ما مشى   إلى جحفـلٍ(6) إلاّ انثنـى عنـه ظافرا

***

(1) المخامر المُلازِم المُستتِر .
(2) جمع عنصر وهو هنا الجسم .
(3) تناءى بَعُدَ ، والمدى الغاية والمنتهى ، وطوّحت به رمت به وقذفته .
(4) درس الرسم عفا، ودثر بمعنى قدم ودرس أيضا.
(5) من ضاره الأمر أضرّ به .
(6) الجحفل الجيش الكثير .

لَئِـنْ كان بعضٌ للأعـاريبِ لائماً   فـإنّ لهـم من بعض نفسِي لَعاذِرا

كرهـتُ لهـم أن يُورِدوا النّصرَ خصْمَهم   وأن يَزَعُـوا(1) عنـه الحليف المُناصِرا

وأمطرتُهـم عَتْبـاً(2)، فلماّ توجّعوا   توجّعـتُ أَستدعِـي الدُّمـوعَ مَواطِرا

هُمُ القـومُ أعفانـي من الـذمِّ أنّني   حَفِظتُ لهـم أرحامَهـم والأواصرا(3)

حكمـتُ أُقيمُ الحـقَّ بيني وبينهم   فما وجدونـي ظالـمَ الحُكمِ جائرا

سلامٌ على البانـينَ من كلِّ أُمّةٍ   يُقيمونـه مجـداً على الدّهـرِ عامرا(4)

هو الدّهرُ لا يخشَى الضَّعيفَ إذا رمَى   ولا يتّقِـي إلاّ الجـريءَ المُغامرا

يهـابُ فَتـى الجُلّى(5) إذا جَدَّ جدُّه   ويرضَى سجـاياه ، وإن كان فاجرا

إليكم (عرانـينَ العروبـةِ) نبأةً(6)   تُـذكِّركم عهـداً من المجـد غابرا

خُذوهـا عن القـوم النِّيامِ لعلّني   أَهُزُّ بهـا مَن بات في الحـيِّ سامرا(7)

أُناشِـدُكم لا تجْعَلونـي كصائـحٍ   يُنـادِي صَدىً في مُلتَقى الرّيح حائرا

أَيُنسيكمُ الدَّهـرُ المَليمُ أُبُوَّةً   غطاريفَ صيداً يبتنـون المفاخرا ؟(8)

(1) يكفّوا ويمنعوا .
(2) العتب اللوم وقد تأتي بمعنى السخط .
(3) الأرحام جمع رَحم القرابة ، والأواصر جمع وصر وهو العهد أو هي جمع آصرة وهي القرابة والمعروف .
(4) باقيا .
(5) الأمر العظيم .
(6) العرانين السادة والاشراف جمع عرنين ، والنبأة الصوت ليس بالشديد .
(7) السامر المتحدث ليلا .
(8) المليم والملوم المستحق اللوم ، والغطاريف جمع غطريف وهو السيد الشريف السخيّ ، وصيد جمع أصيد وهو الذي يرفع رأسه كبرا ومنه قيل للملك أصيد .

رمـوا أُمَـمَ الغبـراءِ شتّـى، فزلزلوا   ممالِكهـا العُليا، وهـدّوا القياصرا

وكانـوا إذا سامـوا المُتـوَّجَ خُطّةً   أتاها، وأغضى ينـزعُ التّاجَ صاغرا[1]

(بَنِي يعـرُبٍ)[2] مُدّوا السّواعـدَ إنّني   عَيِيتُ بأقـوامٍ تمـدُّ الخناجرا

إذا رفـع القـومُ البنـاءَ لغايةٍ   من السُّورةِ العليا، رفعنا العقائرا[3]

أعيدوا (بني العبّاسِ) غضًّا زَمانَهُم   ورُدّوه عصراً من (أُميّة) زاهرا[4]

وكونـوا (لأبنـاءِ العمومـةِ)[5] إخوةً   كرامـاً يَغيظـون العـدوَّ المُكابرا

ولا تُنكِروهـا يا بنـي العـمِّ غَمرةً   مجُلّلـةً تغشى النُّهـى والبصائرا[6]

أجئتـم تَعـدُّون الجرائـرَ[7] جمّةً   وليس بِحُـرٍّ من يَعُـدُّ الجرائرا ؟

مواردُ أمـرٍ إن كَرِهتُـم ذميمها   فعماً قليلٍ تحْمَـدُون المصادرا

***

(١) ساموا كلّفوا، وأغضى سكت وأمسك، وصاغرا راضياً بالذلّ والضيم .

(٢) يعرب بن قحطان بن هود قيل إنه كان سلطانا من سلاطين اليمن وجدّ ملوك حمير، وقيل إنه أول من تكلّم اللغة العربية فسُمّيَ يعرب .

(٣) السورة المنزلة وهي من البناء ما حسن وطال، والعقائر جمع عقيرة صوت المغنى والباكي والقارىء .

(٤) بنو العبّاس أو الخلفاء العبّاسيون جدّهم الأعلى أبو العبّاس عمّ النبي، شعارهم الراية السوداء، عاصمتهم بغداد، دامت دولتهم من ٧٥٠ الى ١٢٥٨م على أيامهم بلغ الاسلام أوج عزّه، وبنو أميّة أو الأمويّون وهم سلالة الخلفاء الذين تولّوا الحكم بين ٦٦٠ و٧٥٠م وكانت عاصمتهم دمشق . إزدهرت في عهدهم المدنيّة الإسلامية دينياً وعلمياً وفنياً .

(٥) الأتراك .

(٦) الغمرة المجلّلة الشدّة العامة، والنهي والبصائر العقول جمع نهْية وبصيرة .

(٧) جمع جريرة الذنب والجناية .

(بني يَعـرُبٍ) رُدُّوا على الشرق عزّه   ولا تدعـوه واهـنَ العـزمِ خائرا

هو اللّيثُ خانتْه المخالبُ، فاجْعلوا   مـن العلـمِ أنياباً له وأظافرا

أَرَى عصركم يُزجِـي الأعـاجيبَ فانهَضـوا   سراعَ الخُطَـى، إنّـا نخـاف الدوائرا[1]

صِلُـوا بشياطـينِ العُبـابِ حِبالَكم   وزُوروا على السُّحـبِ النُّسـورَ الـكواسرا[2]

رِدوهـا[3] حياةً للممالكِ غضّةً   وخَلُّـوا لهُـلاّكِ الشُّعـوب المقابرا

دعوهـم بآفـاقِ البـلادِ أذِلّةً   حَيارَى يَلُومـون الجُـدودَ العواثرا[4]

ذَخائِـركم يا قومُ شتّـى حِسانُها   فثُوبوا[5] إلى الحُسنى، وصُونوا الذّخائرا

***

ألقيت في حفل رابطة الشباب العربي

في ٢٩/ ٣/ ١٩٣٥ ونشرت في البلاغ

عدد ٥/ ٤/ ١٩٣٥

(١) النوائب والدواهي جمع دائرة .

(٢) العباب موج البحر، والكواسر جمع كاسرة أي المنقضّة تكسر جناحيها أو تكسر ما تصيده كسراً، ويريد الشاعر بذلك حثّهم على إنشاء الأساطيل البحرية والجوية .

(٣) من ورد الماء دناه وبلغه .

(٤) آفاق جمع أفق وهو الناحية، والجدود العواثر الحظوظ التعيسة .

(٥) ارجعوا .

عيد بنك مصر (1)

وَفَتِ الظّنونُ وبرّتِ الآمالُ   ما بعد ذلكَ للخصومِ مقالُ
إن يذكروا هِمَمَ الرّجالِ ، فَحسبُهم   هِمَمٌ بمصرَ أبيّةٌ ورِجالُ
الخيرِ في (الوادي) وفي أبنائِه   ما بانَ عنه ولا عَراهُ زوالُ
أرضٌ مُطهّرةٌ، وجوٌّ مُشرِقٌ   صافٍ، وماءٌ سائغٌ وظِلالُ
وَطنُ الألى وردوا الحياةَ شهيّةً   والأرضُ عطشى والشّعوبُ نِهالُ[2]
لولا العوائقُ وهْيَ مِن أدوائِه   ما ضاقَ بالنّفرِ الكرامِ مجالُ
يتطلّعونَ إلى الحياةِ بأعْيُنٍ   حَيْرى اللّحاظِ ودونها أهوالُ
ما تصنعُ الأيدي تهدُّ عِظامَها   وتَشدُّ في أرساغِها الأغلالُ
أخذَ السّبيلَ على الرجالِ مُسلَّطٌ   يُلقِي إليه قنيصَهُ الرِّئبالُ[3]
مُتحكّمٌ يبغِي الحياةَ بأسرِها   ويخالُ أنّا في يدَيْهِ نِبالُ
جَهِلَ الحياةَ ، لِكلِّ شعبٍ حقُّه   ورضَى الشّعوبِ بأن تموتَ مُحالُ

***

قُل (لِلكنانةِ): ما لمجدِكِ هادمٌ   نَشطَ البُناةُ وغامرَ الأبطالُ
رَمَتِ المضاجعُ بالنّيامِ وهاجَهم   دأبٌ يَشبُّ ضِرامُه ونِضالُ

(1) أنشىء بنك مصر عام ١٩٢٠ لتحرير الاقتصاد المصري من سيطرة رأس المال الأجنبي ، وقد احتفلت مصر بمرور خمسة عشر عاما على انشائه .
(2) عطاش .
(3) القنيص المقنوص وهو الصيد ، والرئبال الأسد .

فإذا الجُنوبُ كأنهنَّ جواشِنٌ   وإذا الأكفُّ كأنهنَّ نِصالُ[1]
نَبنِي فتحتفلُ المَشارِقُ حولنا   ونقولُ (مصرُ) فتهتفُ الأجيالُ
طَالَ البِناءُ وما يَزالُ يَزيده   بانٍ أشمُّ المنكبينِ طُوالُ[2]
سَامٍ يمدُّ إلى السِّماكِ يمينَهُ   ويُريكَ شأوَ النّسرِ كيفَ يُنالُ
أرأيتَ (طلعتَ)[3] بانياً ومُعلّماً؟   ورأيتَه علَماً عليه جلالُ ؟
فِقهُ الحياةِ أصابَ فيه إمامَه   وإلى الأئمةِ يرجعُ الجُهّالُ
كانت بمصرَ مَقالةٌ مَطموسةٌ   حتّى جلاها القائلُ الفعّالُ
حَربٌ على خُلُقِ الجُمودِ وأهلِهِ   صَدَقَ الرّجاءُ بهِ وصحَّ الفالُ
حَشدَ الحواريّينَ حولَ جُموعِهِ   ورَمى ، فتلكَ صُروحُه تنهالُ
حملوا تكاليفَ الجهادِ تظاهرت   أعباؤها ، وتوالتِ الأثقالُ
مِن كلِّ مُطّردِ الكفاحِ مُظفَّرٍ   ملَّ السّلاحُ ، وما عراهُ ملالُ
تِلكَ الحياةُ (لخمسَ عشرةَ حِجّةً)   لِلنيلِ منها نضرةٌ وجمالُ
هي في صِباها المُرتجى وشَبابِها   فَرْحى ، على أيْمانِهم تختالُ
(السابحُ الجوّابُ) مّما استحدثوا   لِبلادِهم ، و(الطّائرُ الجوّالُ)[4]
هذا علَى مَتْنِ العُبابِ علامةٌ   لهُمُ ، وهذا في الجِواءِ مِثالُ
وسَلِ المصانعَ هل يَسيرُ نسيجُها   خَلَلَ البلادِ ، وهل يَسيلُ المالُ ؟

(1) الجواشن جمع جوشن الدروع ،والنصال جمع نصل حديدة الرمح والسهم والسكين وربما سمى السيف نصلاً .
(2) الطوال الطويل .
(3) طلعت حرب مؤسس بنك مصر وواضع الحجر الأساسي للاستقلال المالي والاقتصادي للبلاد .
(4) السابح الجواب الأسطول البحري التجاري ، والطائر الجوال الأسطول الجوي التجاري .

من ذا يُفاوضُهـا فليس لِقَومِنا   وَبلادِنـا مِن دُونِهـا استقلالُ
زَعمـوه من نَسـجِ اللّسـانِ ، وإنّه   ممّـا يحَـوكُ وينسـجُ (المنوالُ)[1]
جَعلوا الخيالَ مِن الحياةِ نَصيبهم   ومِـن الحيـاةِ حَقيقـةٌ وَخيالُ

***

إجْعَلْ لِباسَكَ مِن طَرائفِ صُنعِها   نِعمَ اللّبـاسُ ، وبُـوركَ السِّربالُ[2]
وارْغَبْ بنفسكَ عَن سِواهـا إن دَنا   مِنكَ الـرّواحُ ، وآذنَ التّرحالُ
لولا شَفاعتُهـا وأنتَ رَهينُها   ما طابَ مُضْطجَـعٌ ، وخَـفَّ سُؤالُ
اللهُ ألبسهـا السّنـاءَ وخصّها   بـالسرِّ يشفـي الـدّاءَ وهـو عُضالُ
هيَ كالقَميصِ (قميصِ يُوسفَ) إذ أتـى   (يعقـوبَ)[3] فَانظُـرْ كيف كان الحالُ
(البـردةُ الغـرّاءُ) يَعبـقُ طيبُها   بـينَ (المناسـجِ) ليس فيه جدالُ
عَبـقُ (النُّبـوةِ) مَالَـهُ مِن جاحدٍ   إلاّ إذا طَمسَ العُقـولَ خَبالُ
قُلْ لِلعَـروسِ تعـافُ صُنْعَ بلادِها   أزْرَى بقومـكِ حُسنُـكِ المِعطالُ
فاز (الأجانـبُ) واستبـدَّ غُلاتُهم   أفما يَسرُّكِ أن يفـوزَ (الآلُ) ؟
مصرُ التـي وَلدتـكِ أعظـمُ حُرمةً   والعَـمُّ أكرمُ ذِمَّـةً والخالُ
ما ضَاعَ مِن مَالِ الفتَى وَعتادِهِ   مـا تَستعـيرُ مِنَ اليمـينِ شِمالُ
لا يُنـكرنَّ الضّيمَ شعـبٌ عاجزٌ   فالعَاجِـزونَ على الشُّعـوبِ عيالُ

(١) الحائك .
(٢) القميص أو كلّ ما يلبس .
(٣) حينما أتى قميص يوسف أباه يعقوب ارتدّ له بصره كما ذكر في القرآن الكريم .

مَن يَبْعَثُ الهِمَمَ الكِبارَ تُعينُها   منّـا نُفـوسٌ بَرَّةٌ وَخِلالُ ؟
مَن لي بهِـنَّ ، فإنهـنَّ مَناهجٌ   كلُّ المناهـجِ بَعـدهُـنَّ ضَـلالُ
هذا (زعيمُ العـامِلينَ) أقامَهـا   دُنيا لِمصرَ عِمادُها الأعمالُ
طابـتْ بَوادِرُهـا على يَدِهِ لَنا   وهـو الضَّمِـينُ بأن يَطيبَ مآلُ

***

مجلة الفتح عدد ٢٠ صفر ١٣٥٤هـ .

يا حارس الإسلام[1]

أملٌ يزفُّ مع السّنين عروسا … فيشوقهنَّ أهلَّةً وشموسا

مُوفٍ[2] على أُممِ الحياةِ يُريكُها … دُنيا تَطلَّعُ أعيُناً ورؤوسا

يتبسَّمُ الإسلامُ في نظراتِهِ … بيْنَا[3] يراه النّاظرون عَبوسا

أوما رأيتَ (محمّداً) في نُورِهِ؟ … وشَهِدتَ رِفقتَهُ الكِرامَ الشّوسا ؟[4]

أُنظُرْ إلى الرَّهجِ المُثارِ ، وحيِّهِ … قلماً أحرَّ من السُّيوفِ وَطيسا[5]

واسْألْ عن (الفتحِ المبينِ) أما شفى … مُهَجاً ، يهيجُ غليلُها ونُفوسا ؟

لا تعجلنَّ ، فللبقيَّةِ حينُها … واصبِرْ ، فما خُلُقَ الأَبيِّ يَؤوسا

المُسلِمونَ على جهالةِ بعضِهم … عَرفوا الحياةَ ، نعيمَها والبُوسا

أخذوا عن الزّمنِ المُشاغبِ عِلمَها … وتجرّعوهُ من الخطوبِ دُروسا

أفيبلغونَ مدى العواصفِ نُوّماً؟ … أم يُدركون سَنى البُروقِ جُلوسا ؟

ليس الذي لَبِسَ السِّلاحَ كعاجزٍ … جعلَ التهيُّبَ والنُّكولَ[6] لَبوسا

***

(١) قيلت تحيّة لمجلة الفتح في عامها العاشر .
(٢) مُشرِف .
(٣) بينما .
(٤) جمع الأشوس الشديد الجريء في القتال .
(٥) الرهج الغبار ، والوطيس الضراب في الحرب .
(٦) التهيّب الخوف ، والنكول الجبن .

يا (فتحُ) والدنيا مجالُ مُغامرٍ … يُزجي خميساً للوَغى فخميسا[1]

قُلْ للأُلى جهلوا الجِهادَ وحُكمَهُ … لا تأخذوه مُحرَّفاً معكوسا

خُوضوا الغِمارَ ، فلن تنالوا مأرباً … حتّى ترَوْها تستطيرُ ضروسا[2]

إلاّ يكن إلاّ المنايا فاطلبوا … بينَ الأسنّةِ والسّيوفِ رُموسا[3]

لو ضنَّ مُعتنِقُ الحتوفِ[4] بنفسِهِ … ما نال من دنيا الرجالِ نَفيسا

لا تلتمِسْ عدَماً ، فلستَ بواجدٍ … مَن ليس يُوجَدُ في دمٍ مَغموسا

ودَعِ الخسيسَ من المطالبِ والمُنى … إن كُنتَ تأنفُ أن تكون خسيسا

الكونُ مُنطَلَقٌ لِعزمِكَ واسعٌ … فأرْبأْ بنفسِكَ[5] أن تكون حبيسا

أرأيتَ مَن جعلَ الرِّياسةَ همَّهُ؟ … وسألتَ قومَكَ : كيف صار رئيسا؟

الدِّينُ والدُّنيا وراءَ ضجيجِهِ … يستشرفان : أيسمعان حَسيسا ؟[6]

يَعْيَا بذكرِهما ، ويُعرِضُ عنهما … إلاّ وساوسَ تخدعُ المسلوسا[7]

ساسَ الجماهيرَ الخِفافَ ، ولم يكن … لولا رفيفُ[8] حُلومِها لِيَسوسا

خذلته تجربةُ الأُمورِ ، ولم يزل … يَستنصِرُ التّمويهَ والتدليسا[9]

قتَلَ النُّفوسَ ، وراحَ يزعُمُ أنّه … (عيسى بن مريمَ) أو (خليفةُ عيسى)

(١) الخميس الجيش العرمرم لأنه خمس فرق وهي المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والسّاقة .
(٢) الغمار جمع غمرة وهي الشدة ويقال حرب ضروس أي أكول عضوض .
(٣) المنايا جمع منيّة الموت ، والرموس جمع رمس وهو القبر .
(٤) معتنِق الحتوف ملازم الموت .
(٥) إربأ بنفسك أي لا ترض لنفسك .
(٦) استشرف انتصب ، والحسيس الصوت الخفيّ وفي القرآن (لا يسمعون حسيسها) .
(٧) المسلوس المجنون .
(٨) اهتزاز .
(٩) التمويه الإخفاء ، والتدليس الغشّ والخداع .

خيرُ (الحواريّينَ) في (إنجيله) ... مَن يُزلِفُ التعظيمَ والتقديسا[1]

دِينٌ من البُهتانِ، ليس يُحِلُّهُ ... دينُ (المسيحِ) ولا شريعةُ (موسى)

***

يا فتحُ داوِ الداءِ بالطبِّ الذي ... أعيا (الرئيسَ) وفاتَ (جالينوسا)[2]

لا تَبتئِسْ بالجُرحِ أفرطَ شرُّهُ ... وطغى أذاهُ، فكلُّ جُرحٍ يُوسى[3]

أَقِمِ المنارَ لِمُدلِجينَ تنكّبوا ... سُبُلَ الرَّشادِ، وجَدِّدِ (النّاموسا)[4]

آثارُ قومِكَ للحياةِ معالمٌ ... غُرٌّ تُضيءُ المجهلَ الأدموسا[5]

أُنظُرْ: أيستهدي الغويُّ مُبينَها ... أم يستبينُ الدّارسَ المطموسا؟[6]

صَدَأُ النّواظرِ والقلوبِ أشدُّ من ... صَدَإِ الحديدِ مَضرّةً إن قِيسا

أنتَ المؤمَّلُ للجلاءِ فهاتِهِ ... قَبَساً يُدارُ على يديكَ طُروسا[7]

طُفْ بالبيانِ الطّلقِ عذباً سائغاً[8] ... إنّا شَرِبْنا الدّينَ فيه كُؤوسا

---

(١) الحواريّون لفظة حبشية معناها الرُسل، دخلت العربية بدخول الحبش إلى اليمن وتلقّاها عرب الحجاز عن أهل نجران، وهم عند المسيحيين الاثنا عشر الذين انتقاهم السيد المسيح بين سائر تلاميذه واختارهم ليكونوا من بعده قادة كنيسته، والإنجيل كلمة يونانية معناها البشرى وهو الكتاب الذي أنزل على السيد المسيح، ويزلف يقرّب ويقدّم .

(٢) الرئيس هو ابن سينا الطبيب والفيلسوف العربي ولد عام ٩٨٠ وتوفي عام ١٠٣٧، وجالينوس الطبيب اليوناني ولد سنة ١٣١ وتوفي سنة ٢٠١ .

(٣) لا تبتئس أي لا تحزن ولا تشتك، وأفرط شرّه جاوز شرّه الحدّ، ويُوسى يُداوى من أسا الجُرح داواه .

(٤) المدلج الذي يسير الليل كله أو في آخره، والناموس الشريعة وهي يونانية الأصل .

(٥) الشديد الظلام .

(٦) الدارس من درس الرسم عفا وانمحى، والمطموس من طمس الشيء محاه واستأصل أثره .

(٧) القبس شعلة النار، والطروس جمع طرس وهي الصحيفة .

(٨) الماء العذب الطيّب، والسائغ الذي يهنأ للشارب ويسهل مدخله في حلقه .

واطْوِ السّنينَ بهمّةٍ قُرَشيّةٍ ... تقتادُ منها رَيِّضاً وشَموسا[1]

اللهُ ثَبّتَ جانِبَيْكَ بمؤمنٍ ... شَدَّ البناءَ، وأحكمَ التأسيسا

وَلَدَتْهُ مأسدةُ النُّبوّةِ قَسْوَراً ... لم يتّخِذْ غيرَ المصاحفِ خِيسا[2]

جَرّبتُ منه الفاضلَ النِّزهَ الهوى ... وعرفتُ فيه الباسلَ الدِّعِّيسا[3]

اللهُ ألهمني الهُدى، وأعدَّ لي ... منه نَجِيًّا صالحاً وأنيسا[4]

يا حارسَ الإسلامِ حسبُكَ أن تُرى ... من كيدِ كلِّ مُناجِزٍ[5] محروسا

أُطْرُدْ دُعاةَ السُّوءِ عنه، ولا تَدَعْ ... في المؤمنينَ الصّادقينَ دسيسا[6]

واعمَلْ لربِّكَ، لا يَرُعْكَ مُضلِّلٌ ... يجفو (الالهَ)، ويصطفي (إبليسا)[7]

سُبحانَ ربِّكَ، لن يُغادِرَ عدلُهُ ... بينَ البريّةِ عاملاً مبخوسا[8]

***

مجلة الفتح عدد ١٠ ربيع الثاني

١٣٥٤ هـ

---

(١) قرشية نسبة إلى قريش القبيلة العربية التي حطّت في مكة في القرن الرابع وقبضت على زمام الأمر، وتقتاد تقود، والريّض الدابّة أول ما تُراض أي تذلّل وتُطوّع وتُعلّم السير، والشموس التي لا تمكّن أحدا من ركوبها .

(٢) المأسدة المكان تكثر فيه الأسود أو تُربّى، والقسور الأسد، والخيس غابة الأسد .

(٣) الدّعّيس: المقدام .

(٤) النجيّ من نجا الرجلَ وناجاه أي سارّه بما في فؤاده من الأسرار والعواطف، والأنيس من أنس به وإليه ألِفه وسكن قلبه إليه .

(٥) المناجز المبارز والمُقاتِل .

(٦) المدسوس المُرائي بعمله .

(٧) إبليس من الجنّ طرد من الجنة لعصيانه أمر ربه ورفضه السجود لآدم .

(٨) البرية الخلق، ومبخوساً مظلوما .

سيفنا (الله اكبر)

نشيد طلبة القرآن الكريم

رَبّنا إنّا اهْتدينا فَلَكَ الشُّكرُ عَلَيْنا
أنتَ أحْسَنْتَ إلينا بالرّجالِ المُحسِنينْ

***

حَفِظوا القُرآنَ فينا ورَعَوْهُ مُخْلِصينا
صَدَقوا دُنيا ودينا نِعمَ أجرُ الصّادقين

***

إنّهُ خيرُ البِضاعَهْ ليس منّا مَنْ أضاعَهْ
رَبَّنا كُنْ لِلجَماعَهْ إنّهم أهلُ اليمين(١)

***

واجْزِ خيراً كُلَّ حُرٍّ صادقِ الإيمانِ بَرٍّ(٢)
عامِلٍ قامَ بِشَطْرٍ في الرّجالِ العامِلينْ

***

(١) أهل اليمين هم أهل البركة واليمن والمنزلة الحسنى .
(٢) البرّ الصادق المطيع .

هِمَمٌ تَمضِي كِبارا ونُفوسٌ تَتَبارَى(١)
تَنْصُرُ اللّهَ جِهارا في حِمَى (الهادي الأمينْ)

***

عَلَّمونا ، فارْتَقَيْنا ومِنَ الحقّ ارْتَوَيْنا(٢)
أينَ مَن يَشربُ أينا ؟ نحنُ خيرُ الشّاربينْ

***

نَحنُ للإسلامِ جُنْدُ بأسُنا البأسُ الأَشَدُّ
(خالدٌ) فينا و(سعدُ)(٣) نفتحُ الفتحَ المبينْ

***

نُرسلُ الآياتِ غُرّاً تَنفضُ الأعداءَ ذُعْرا(٤)
رَبّنا اللّهمَّ نصرا رَبَّنا أَنتَ المُعينْ

***

سَيفُنا (اللهُ أكبرْ) يضمن النّصْرَ المُؤَزَّرْ(٥)
أيُّ أمرٍ يَتعذّرْ(٦) إن ذهبنا فاتحينْ ؟

***

١٩٣٥/٩/٢٢

(١) تتسابق .
(٢) جهارا علانية ، والهادي الأمين هو النبي صلى الله عليه وسلم .
(٣) ارتوى من الماء شرب وشبع .
(٤) خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص .
(٥) الغرّ جمع الأغرّ وهو الحسن والأبيض من كل شيء ، ونفضته الحمىّ أرعدته .
(٦) النصر المؤزّر البالغ الشديد من أزّره قوّاه .
(٧) تعذّر عليه الأمر امتنع .

عَلى هدى القرآن

في افتتاح معهد المحافظة على القرآن الكريم بدمنهور

وضحَ السّبيلُ، فما لهنّ وُقوفا | همَمٌ ثوَيْنَ على الرجاء عكوفا[1]

يا دهرُ لا ترفُقْ، ويا دنيا امنعي | حتّى يسيرَ العاملون صفُوفا

تأبى العنايةُ أن تجاوِرَ عاجزاً | في العالمينَ، وأن تزورَ ضعيفا

ثمنُ الحياةِ لِمَنْ يُريدُ شِراءَها | وافٍ ويحسبه الغبيُّ طفيفا[2]

النّفسُ منه فإن ضننتَ ببذلها | ضَنّتْ عليكَ وغادرتْكَ أسيفا[3]

لكَ في كتابِ اللهِ خيرُ مُعلِّمٍ | فكُن امرأً يَقِظَ الفُؤادِ حصيفا[4]

إنّ الذين على هُداه تعلّموا | وجدوه برًّا بالشُّعوب رؤوفا

يهديهمُ السَّنَنَ السَّويَّ، ويبتني | صَرْحَ الحياةِ لهم أشمَّ مُنيفا[5]

كشفَ الظّلامَ عن القُلوبِ فأبصرَتْ | وبدا المُغيَّبُ واضحاً معروفا

اللهُ أنزلَهُ، فكان لِخَلقِهِ | نوراً علا سُوَراً، وعزَّ حُروفا

مَلكَ الرِّقابَ به أوائلُنا الأُلى | طُبِعُوا عليه أسنّةً وسُيوفا[6]

(١) ثوين: أقمن، وعكوفا من عكف على الأمر لزمه مُواظباً.
(٢) الوافي الكثير، والطفيف القليل.
(٣) حزينا.
(٤) الفؤاد القلب وربما أطلق على العقل، والحصيف: الجيدّ الرأي المحكم العقل.
(٥) السنن السويّ الطريق المستوى، وأشمّ مرتفع، ومنيف مُشرف.
(٦) طبعوا عليه جُبلوا عليه أي خُلقوا وفُطِروا، والأسنّة جمع سنان وهو نصل الرمح.

دفعوا الحوادثَ والصرُّوفَ بأنْفُسٍ[1] | كانت حوادثَ تُتَّقى وصُروفا

من كلّ ماضٍ في الممالكِ نافذٍ | يجري بمُستبَقِ الحُتوفِ حُتوفا

يَرِدُ الدّماءَ مُطهَّراً، ويخوضها | بَرَّ الوقائعِ والفتوحِ عفيفا

يحمي إذا أخذ اللّواءَ لِغارةٍ | بالنّفس يَسلبُها الحياةَ ألوفا

هي حِكمةُ الاسلامِ يَعرفُ وصفَها | مَن كان من حكمائه موصوفا

***

هذا بناءُ المتّقينَ لربِّهم | لم يجعلوه على الهُدى موقوفا

رفعوه في ذاتِ الألهِ، وإنّما | رفعوا بهِ لِلمُسلمينَ أنوفا

الله أكبرُ، هل رأيتم مؤمناً | عن دينِه وكتابِهِ مصروفا؟

يا قومُ: ماذا تسمعون؟ رُوَيْدَكم | إنّي لأسمعُ في السّماءِ حفيفا[2]

(جبريل) يهبط بالتّحيّةِ، فانْهَضُوا | مِلءَ السُّرادقِ هاتفين وقوفا[3]

اللهُ أكبرُ ما أجلَّ شِعارَنا | إنّا نراه مُحبَّباً مألوفا

***

ألقيت في حفل الافتتاح بدمنهور في ٢٣/ ٩/ ١٩٣٥

(١) الحوادث والصروف بمعنى وهي النوائب والحدثان.
(٢) الحفيف الصوت من حفت الشجرة أبدت صوتاً.
(٣) جبريل أحد الملائكة المقربين الى الله منه تلقّى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسالته ووحيه، والسرادق الخيمة.

مِصرُ الأبيّة

في نهضتها للحرية والاستقلال

قُلْ ما أردتَ، فما عليك جُناحُ[1]   أَسُدىً كذلك تذهبُ الأرواحُ ؟

يا للضحايا الحاملاتِ جِراحَها   يُغدَى بها محمولةً ويُراحُ

فتكَ السلاحُ بها حواسِرَ[2]، ما لها   غيرُ النُّفوسِ الواهباتِ سلاحُ

هتفتْ تُحيّي مِصرَ في أتراحها   فتُخرِّمَتْ[3]، وتوالتِ الأتراحُ

أودى رَصاصُ القاذفين بفتيةٍ   هُمْ بالنُّفوسِ لَدَى الفداءِ سِماحُ

غضِبوا لِمصرَ تُصابُ في آمالها   ولِحقِّها الغالي المَصُونِ يُباحُ

عصفتْ بهم أيدي الرَّدى ، فكأنّما   عصفتْ بريحانِ الرِّياضِ رياحُ

يتساقطون مُهذَّباً فمهذَّباً   غضُّ الشّبابِ ، جبينُهُ وضّاحُ

النُّور في دمِه المُطهَّرِ مُشرِقٌ   والطِّيبُ مُنتشِرُ الشَّذَى فوّاحُ

يا للشبابِ، جرى على آمالهِ   قَدَرٌ من الموتِ الزُّؤام مُتاحُ

ذُخْرُ البلادِ أضاعه أبناؤُها   فمضى يُشيِّعُهُ أسًى ونُواحُ

خطبٌ تبيتُ له المدائنُ والقُرى   شتّى الجراحِ ، وما درى الجرّاحُ

لا الليلُ ليلٌ مِن تَطاوُلِ همّها   للغائبين ، ولا الصَّباحُ صباحُ

تبكي على الفتيانِ ، في آنافِهم   شَمَمٌ ، وفيهم نَخوةٌ وطِماحُ

(١) الجناح الإثم والجناية والجرم .

(٢) الحاسر من لا درع له ولا بيضة على رأسه .

(٣) اقتطعت واستُئْصِلتَ .

بِيضُ الصّحائفِ والمواقفِ، ما بهم   خَوَرٌ ، ولا هُمْ بالنّفوسِ شِحاحُ

شهداءُ حربٍ، ليس من أبطالها   مَنْ سِلْمُه حَربٌ لنا وكِفاحُ

يُوحي ، فتنطلقُ السِّهامُ ، وما رمى   أيدي الرُّماةِ سِهامُه والرّاحُ

مَلَكَ السّواعدَ والمناكبَ ، فهي في   يدِهِ سُيوفٌ للأذى ورِماحُ

تلك الحلومُ النّازعاتُ إلى الهوى   ما للقضيَّةِ أو تثوبَ نجاحُ

***

يا قومُ جِدُّوا ، لا حياةَ لمن يرى   أنّ الحياةَ مجانةٌ ومِزاحُ

أنظلُّ شتّى، والبلادُ أخيذةٌ[1]   يُودَى بها من حولنا ويُطاحُ ؟

أفما لكم إن قام شعبٌ ناهضٌ   إلاّ خلافٌ قائمٌ وصياحُ ؟

فيمَ الخلافُ وقد تبيَّن أمرُكم   أفتُنكِرون الحقَّ وهو صُراحُ ؟

مصرُ الحياةُ، فما لمن لا يتّقي   فيها الأُبوَّةَ والبنينَ فلاحُ

داءُ الشعوبِ الفردُ ليس يُضيرُه   شعبٌ يُضامُ ، وأُمّةٌ تُجتاحُ

ما عذرُ من يأبى الحياةَ لقومه   ويقول : مُوتوا ، والنفوسُ صِحاحُ ؟

الموتُ للمرضى الضِّعافِ ، وهذه   مِصرُ الأبيّةُ قوّةٌ ومِراحُ

نهضتْ تَسُدُّ على المُغيرِ مجالَه   وتُريه سَدَّ الموتِ كيف يُزاحُ

لم يَثْنِها ، والظلمُ يَهدِرُ حولها   كالرَّعدِ صَوْبٌ[2] للردى سَحّاحُ

تمشي كما مَشَتِ العروسُ ، يَزينها   مِن ساطعِ الدَّمِ مِطرَفٌ[3] ووِشاحُ

أغلى اللآلئِ قيمةً ما ضمَّ من   تلك القذائفِ تاجُها اللمّاحُ

نَشْوَى ، ولا غيرَ النُّفوسِ مُراقةً   مِن حولها خمرٌ ولا أقداحُ

***

(١) الأخيذة ما اغتصب من شيء فأُخذ .

(٢) الصوب المطر .

(٣) المطرف واحد المطارف وهي أردية من خزّ مربّعة لها أعلام .

أَهِـيَ المآتـمُ فِي البـلادِ مُقامةٌ لِشبـابِ مصرٍ ، أم هي الأفراحُ ؟

ضَرَمُ الحميّةِ يُطفـىء الضَرَمَ الذي يَجِـدُ الحـزينُ ، ويشتـكـي المُلتاحُ[1]

أَتُهـانُ مصرُ ونحـن حول لوائها؟ الموتُ أكرمُ ، والقبـورُ فِساحُ

مهـلاً فلا (الحجّـاجُ) في جَبَروته يهـوِي بنـا صبيـاً[2] ، ولا (السّفاحُ)

إنّـا انطلقنـا صاعِـدينَ لغايةٍ للمجـد مُنطلَـقٌ بهـا وسَراحُ

ماذا يُرادُ بنـا وأين حُلومُنا؟ فَسَـدَ الزمـانُ ، فما يُرام صلاحُ

أَيَظـلُّ (هُـورُ)[3] على الكِنانـةِ نَاعِياً فيُقـالُ: غَنَّـى البُلبـلُ الصَّدّاحُ ؟

أَنَـروحُ صُماً ، والحـوادثُ رُجَّفٌ ؟ أَنظـلُّ بُكماً ، والخُطـوبُ فِصَاحُ ؟

لَسْنَـا مِن الضّـأنِ الـذّليلِ فترتوِي مِنّـا المُدَى ، ويُبِيدُنـا الذبّاحُ

لا تَنعـمُ الأرواحُ في عَليائِها إلاّ إذا شَقِيَتْ بهـا الأشباحُ[4]

ما لِلسياسـةِ ، لا المثالـبُ[5] عِندَها سُـودُ الوُجـوهِ ، ولا الذُّنـوبُ قِباحُ

عِرْضٌ يَشـقُّ على الرُّمـاةِ، وَراءَهُ وَجـهٌ يُبـرِّحُ بالهُـداةِ وَقاحُ[6]

تَلِـدُ المظالـمَ ثُمَّ تَزعُـمُ أنهّا لِلعـدلِ بـينَ العـالَمِينَ لَقاحُ[7]

(١) المشفق .

(٢) الصبب تصوُّب نهر أو طريق في حدور .

(٣) صمويل هور وزير خارجية انجلترا ، عندما قامت في مصر حركة سنة **١٩٣٥** مطالبة حكومة نسيم باعادة دستور **١٩٢٣** أعلن هور أن الحكومة البريطانية نصحت بألاّ يعاد دستور **١٩٢٣** أو دستور ١٩٣٠، وقد اعتبر ذلك تدخلاً سافراً في شؤون مصر فقامت المظاهرات واستشهد فيها بعض طلبة الجامعة ، وأعلن الحداد العام على الشهداء في **٢٨** نوفمبر سنة **١٩٣٥** وأغلقت المصانع والمتاجر واحتجبت الصحف ، وكان شعار المظاهرات الاستقلال والحرية والدستور .

(٤) الأشخاص .

(٥) جمع المثلبة وهي العيب .

(٦) قليل الحياء .

(٧) ما تُلقح به النخلة وأيضا ما يُلقح به الانسان مثل لقاح الجدري وغيره .

حكمُ (الشرّيعةِ) من حَبائـلِ مكرِها و(السُّـورةُ) الغَـرّاءُ و(الإِصحاحُ)

خَجلتْ مَسابِحُهـا ، وَتِلكَ مُسوحُها كادت لِطـولِ عَذابهـا تَنْصاحُ[1]

زيدوا (مَلائـكةَ الحضـارةِ) إنّه عَمـلٌ لَكم ولِعصرِكم فَضّاحُ

أنتم (مَصـابيحُ الشُّعـوبِ) ، وهذه (دُنيا الظّـلامِ) أَنارهـا المِصباحُ

الشّرقُ أَبصرَ في الحياةِ سَبيلَهُ ومَضَى ، فَنِعـمَ العامـلُ الكدّاحُ

اللهُ أكبـرُ ، من يُكذّبُ وعده ويظـنُّ أن الضّيقَ لا ينداحُ ؟[2]

بابُ الحياةِ هدايةٌ من نُورهِ ولِمَنْ يلـوذُ بِبابِـهِ المِفتاحُ

ربِّ أهدنـا ، واجمـع قُوى زُعمائِنا فلعلَّنـا نُكفَـى الأذى ونُراحُ

أنظـلُّ صرعَـى ، والمصائـبُ حولنا سُـودٌ رواكدُ مالهـنّ بَراحُ؟

***

الأهرام ٦/ ١٢/ ١٩٣٥

(١) المسابح جمع مسبحة وهي السُّبحة للتسبيح ،والمسوح جمع مسح وهو الكساء من شعر يلبس تقشُّفاً وقهراً للجسد ، وتنصاح تنشق .

(٢) انداح الشيء انبسطمتسعاً .

رقد الرجاء كما رقدت

في ذكرى مصطفى كامل

حَسْبُ البلادِ سكوتُك المُتمادِي / أتُرى حراماً أن تقولَ بلادي ؟

قُلْها محُبَّبَةَ الرَّنينِ شهيّةً / تمضي فتبعثُ من رجاءِ الوادي

رقدَ الرّجاءُ كما رقدتَ ، وكنتما / إلفينِ ما خُلِقا لغيرِ سُهادِ

مِصرُ التي كنتَ الحياةَ لشعبها / مَرْضى الحياةِ ، قليلةُ العُوّادِ

تدعوكَ والهةً، وتنظرُ هل لها / من راحمٍ، أو مُنقذٍ، أو فادِ ؟

أمستْ تَبوءُ بكلِّ خطبٍ مُنكرٍ / وتنوءُ بالأغلالِ والأصفادِ[٢]

ما زالتِ الأهواءُ باستقلالها / حتّى استقلَّ بها المُغيرُ العادي

ويحَ الأُلى ضلّوا السبيلَ: أمالهم / من ناصحٍ، أو مُرشدٍ، أو هادِ ؟

هم خيّبوا أملَ البلادِ ، وعطّلوا / دينَ الجهادِ ، ولاتَ حينَ جهادِ

خدعوا السَّوادَ، فراح يَنعقُ حولهم / فَرِحاً ، ويُمعِنُ في أذىً وفسادِ

عكفوا على أعراسهم ، وبلادُهم / في مأتمٍ من همّها وحِدادِ

تلك (المعاهدةُ)[٣] التي هتفوا بها / من ساجعٍ طَرِبِ الفُؤادِ وشادِ

أوَ لم تكن للقومِ فتحاً آمنت / فيه السّيوفُ بقوّةِ الأغمادِ ؟

وطنٌ يُطيحُ به الكلامُ ، وأُمّةٌ / تهوي ممزّقةً بغيرِ جِلادِ[٤]

(١) هي الذكرى الثامنة والعشرون .

(٢) تبوء تُقتَل ، وتنوء تنهض مُثقلةً .

(٣) المعاهدة المصرية الإنجليزية التي جعلت مصر تدور في فلك السياسة البريطانية .

(٤) الجلاد الضرب

كانوا العدوَّ فأصبحوا في ظلِّها / أَوْلى الشُّعوبِ بأُلفةٍ ووِدادِ

يحمون ما نحمِي ، ويرمون الأُلى / نرمِي من الأعداءِ والأضدادِ[١]

لولا بَسالَتُهم ، وشِدّةُ بأسهم / لم يبقَ منّا رائحٌ أو غادِ

زُورٌ يُردِّدُهُ الغَويُّ، وباطلٌ / يشدو به من لايعي ، ويُنادي

أرأيتَ أخسرَ صفقةً من جاهلٍ / يرجو الحياةَ على يدِ الجلاّدِ ؟

يا مَن وصفتَ لنا الحياةَ رشيدةً / ماذا ترى من حكمةٍ ورشادِ ؟

الشّعبُ بعدكَ في يَبابٍ مُوحِشٍ / حارَ الدليلُ به ، وضلَّ الحادي[٢]

سلكَ المحجّةَ[٣] حينَ كُنتَ دليلَهُ / ومضى لحاجتهِ بأطيبِ زادِ

الحقُّ معروفُ المعالمِ ساطعٌ / والنُّجْحُ وضّاحُ البشائرِ بادِ

نَبِي (الجلاءَ) فما يمرُّ بخاطرٍ / منه ، ولا يهفو له بفؤادِ

ولقد يكون وفيه ساعةُ ذِكرهِ / روحُ الحزينِ ، وريُّ قلبِ الصّادي

وارحمتالكَ ، ذُبْتَ من حرِّ الجَوي / في حُبِّ مِصرَ ، ولم نَفُزْ بمُرادِ

إنّا جُنودُك نبتني لبلادِنا / مجداً من الأرواحِ والأجسادِ

***

فبراير ١٩٣٦ -

(١) الأضداد جمع ضد وهو العدو .

اليباب الخراب ، والحادي الذي يسوق الإبل وتنبغي لها .

(٣) جادة الطريق أي وسطه .

شهداء الحق(١)

أَعَلى المآتمِ تخفقُ الأعلامُ ؟ … أَمْ مجدُ مصرَ على الدّماءِ يُقامُ ؟

قُلْ لِلشّبابِ الجازعينَ: رُوَيْدَكم(٢) … مضَتِ الهُمومُ ، وزالتِ الآلامُ

لم يَبْقَ إلاَّ الحقُّ يشهدُ عيدَهُ … وطنٌ لكم مُتهلّلٌ بسّامُ

أَوْحى إلى شُهدائكم ، فتقدَّموا … إنَّ الحياةَ عِمادُها الإقدامُ

كيفَ القرارُ لمن يُحِبُّ بلادَهُ … والشّعبُ يُنْكَبُ ، والبلادُ تُضامُ ؟

إنّا لنعلمُ حينَ يُهضَمُ حقُّنا … أنّ الحياةَ على النُّفوسِ حرامُ

من كانَ يسألُنا السّلامَ ، فمالَنا … من دُونِ مصرَ وحقِّ مصرَ سَلامُ

نحمي حِمى استقلالِها ، ونَصونُها … حتّى تدينَ لعزِّها الأقوامُ

ونفي بذمّتِها(٣) ، وإنْ كرِهَ العِدى … ما في الوفاءِ على الرّجالِ مَلامُ

***

لا تُنكري يا مصرُ حُسْنَ بلائنا … إنّا لقومٌ صادقونَ كِرامُ

لَكِ ما أردتِ منَ الفِداءِ، وهذهِ … أرواحُنا ، إن لم تَفِ الأجسامُ

هل كانَ يومَ دعَوْتِ: هَل مِن ناصرٍ … إلاّ دمٌ مُتدفِّقٌ وضِرامُ ؟(٤)

نهضَ الشّبابُ ، فما تحيدُ صُفوفُهم … ومَضَوا ، فلا فَرَقٌ ولا إحجامُ(٥)

(١) ألقيت في حفل تأبين الشهداء الذين سقطوا في دمنهور دفاعاً عن وطنهم .
(٢) الجازع المشفق ، ورويد مصدر أرود مصغرا تصغير الترخيم أي مهلا .
(٣) الذمة العهد .
(٤) الضرام اشتعال النار واتقادها .
(٥) حاد عن الطريق مال عنه وعدل ، والفرق الخوف ، والاحجام النكوص هيبةً .

يتقدّمونَ مُغامرينَ(١) أعِزّةً … والنّارُ سَيْلٌ ، والرّصاصُ رُكامُ

ما بالمشاهدِ يومَ ذلكَ ريبةٌ … (عِزريلُ) يَرْمي ، والمَنونُ سِهامُ(٢)

***

أَمصارعَ الشُّهداءِ : أين دماؤُهم؟ … وهَل اشْتَفى مِنها ومنكِ أُوامُ؟(٣)

هَل أطفأَ العدلُ الغليلَ؟(٤) وهل سما … للحقِّ رُكنٌ، واستتبَّ نِظامُ ؟

ذِكراكِ باقيةُ الرّنينِ ، وهل لها … ناسٌ ومن شُعرائكِ الأيّامُ ؟

***

جريدة النبراس ٢٦/ ٢/ ١٩٣٦

مجلة الفتح ٤ من ذي الحجة ١٣٥٤هـ

(١) أي يُقاتلون غير مبالين بالموت .
(٢) عزرائيل اسم ملاك الموت ، والمنون الموت لأنه ينقص العدد ويقطع المدد .
(٣) الأوام شدة العطش وحرّه .
(٤) الغليل حرارة الحزن .

حماة الرّافدين

تحية للضيوف العراقيين

في دار الرابطة العربيّة

صِلُوا إخوانكم واقضوا الذِّماما … وبُلّوا من جوانحنا الأُواما[١]

رُوَيْداً بالقلوبِ بَني أبينا … أما تَسْقُونها إلاّ ضِراما[٢]

لَعمرُ (الرّافِدَيْنِ) لقد لَبِثْنا … نُعلَّلُ بالمُنى عاماً فعاما[٣]

نُذادُ عن الحِياضِ ونحن هِيمٌ … فما نَرِدُ النِّطافَ ولا الجِماما[٤]

رُويداً قومَنا إنّا وَجدنا … قطيعةَ قومِنا داءً عُقاما[٥]

وما نبغي إذا رُمْنا انتصافاً[٦] … إلى شيءٍ سوى الكرمِ احتِكاما

عَهِدناكم على الأحداثِ أهلاً … ذوي حَسَبٍ، وإخواناً كراما

فزوروا أرضَنا ، أو فاجعلوها … وإن غضِبَ (العراقُ) لكم مُقاما

أيَغضَبُ أن يُحِبَّ أخٌ أخاه؟ … وهل يأبى لِشملِها التئاما؟[٧]

وجدنا الرِّيَّ يُنكِرُه علينا … وإن أودى الغليلُ بنا ، حراما[٨]

---

(١) الأوام العطش .

(٢) رويد مصدر أرود مصغرا تصغير الترخيم أي مهلاً ، والضرام الاشتعال والاتقاد والاضطرام .

(٣) الرافدان هما نهرا دجلة والفرات ، ونعلل نُشغَل ونُلهى .

(٤) نُذاد نُدفَع ونُطرَد ، والحياض جمع حوض وهو مجتمع الماء ، وهيم جمع أهيم وهو الشديد العطش ، والنطاف جمع نطفة الماء القليل ، والجمام جمع جم وهو الكثير .

(٥) لا يُرجَى البرءُ منه .

(٦) رُمنا أي أردنا ، والانتصاف طلب الانصاف .

(٧) الشمل ما اجتمع من الأمر ، والالتئام الانضمام والالتصاق .

(٨) الريّ إطفاء العطش بشرب الماء ، والغليل العطش الشديد .

ما تُفارِقُها قلوبٌ … لنا كالطّيرِ رفرف ثُمَّ حاما[١]

مضت أسرابُها ، فهفت رِياحاً … ومَرَّتْ في مَسابحِها غَماما[٢]

فلما أوفَتْ على (النَّهرَيْنِ) حتّى … تخطَّفَها الهوى ، فهوت رُكاما[٣]

***

(حُماةَ الرّافِدَيْنِ) لوِ استَطَعْنا … جعلنا النيِّرَيْنِ[٤] لكم سلاما

سلامٌ مِن شُعاعِ الشِّعرِ صافٍ … أُرَقرِقُه ، فيَنْسَجِمُ انْسِجاما[٥]

يَظَلُّ سَناهُ مِلءَ الأرضِ يجري … فيكشف عن جَوانبهِ الظّلاما

وَفدْتُمْ في مَواكبَ من عُصورٍ … أُعيدَ جلالُها فَبدتْ عِظاما[٦]

عُصورٌ أَقْبلَتْ مِنّا ومنكم … تحَدَّثُ عن أُبُوَّتِنا القُدامى

تُجَرِّدُ من أَسِنَّتِهم لِساناً … وتُرسِلُ من أعِنَّتِهِمْ كلاما[٧]

ذَكرناهم ، فحرّكهم مَطيفٌ … مِن الذّكرى وإن أَمْسَوا رِماما[٨]

وكبّرتِ (العُروبةُ) إذ رَأَتْنا … فهبُّوا مِن مَضاجعِهم قياما

---

(١) رفرف الطائر بسط جناحيه وحركهما ، وحام حول المكان داربه .

(٢) الأسراب جمع سرب وهو القطيع من الطير وغيرها ، وهفت ذهبت وارتفعت ، والغمام السحاب .

(٢) الركام المتراكم بعضه فوق بعض .

(٤) الشمس والقمر .

(٥) رقرق الماء صبه رقيقاً وأجراه ، وانسجم الماء انصب والكلام انتظم .

(٦) جمع عظيمة .

(٧) تجرّد تَسُلّ ، والأسنّة جمع السنان وهو نصل الرمح والمقصود الرمح ، والأعنّة جمع عنان وهو سير اللجام .

(٨) المطيف من الذكرى ما يلمّ بالانسان منها ، والرمام جمع رميم وهو البالي .

أراهُـمْ يَرفعُـونَ كما عَهِدْنا ... وَراءَ الجمـعِ أعناقـاً وهاما[١]
عِمُـوا آباءَنـا طَفَـلاً[٢] ، وَطِيبُوا ... فـإنّ لكم لَعِـزّاً لن يُضاما

***

أَعَدْنـا الشَّرقَ سيرتَـهُ ، وقُمْنا ... نُعالِـجُ أمـرَهُ حتّـى استقاما
أهـابَ بنـا الزّمـانُ، وأيقظتنا ... قـوارعُ[٣] تُوقِـظُ الأُمَـمَ النّياما
نَذودُ الـوحشَ تطلُبنـا جياعاً ... ونأبَـى أن نكون لهـا طعاما
ولـولا أن نُدافِعهـا لأفنتْ ... بقيَّتنـا اقتنـاصـاً والتهـاما[٤]
أراهـا حولنـا عَجْلَى ترامَى[٥] ... كمـوجِ البحـرِ تزدحـمُ ازدحاما
وراءَكِ، واطْلُبِـي قَنَصـاً سوانا ... فـإنّ لحُومَنـا أمسـت سِماما[٦]
متـى تَعصِي النّصيـحَ فَتُطْعَميها ... كعهـدِكِ ، تُطعَمِـي الموتَ الزُّؤاما
أبى (لِبَنِـي العُروبـةِ) أن يهونوا ... قُـوىً لن تُستطـاعَ ولن تُراما
لَئِـنْ أخذتهـمُ الغـاراتُ تَتْرَى[٧] ... فما وَهَنُـوا ، ولا مَلُّـوا الصِّداما

---

(١) الهام جمع هامة وهي الرأس .
(٢) عموا أصلها انعموا وكثر حذف الهمزة والنون لكثرة الاستعمال ، والطفل وقت غروب الشمس وهو الوقت الذي أقيمت فيه الحفلة .
(٣) أهاب بنا : دعانا أو زجرنا ، والقوارع جمع قارعة وهي الداهية والنكبة المهلكة .
(٤) ندافعها أي ندفعها ، واقتناصاً صيْداً ، والتهاماً ابتلاعاً .
(٥) عجلى مؤنث عجلان أي مسرعه ، وترامى تترامى .
(٦) وراءك أي تأخري ، والقنص المصيد ، والسمام جمع سم .
(٧) تتوالى ويتبع بعضها بعضاً .

مُضيًّا في الجهـادِ (بَنِـي أبينا) ... وضَنًّـا (بالعُـروبـةِ) واعتصامـا
(بِدجلَـة) و(الفـراتِ) إذا نزلتُمْ ... فحيّوا فيهما الشَّعبَ الهُماما
وإن عَدَتِ العـوادِي فاذكرونا ... وقولـوا : أُمَّـةٌ ترعـى الذِّماما

***

نشرت في ٢٣/ ٣/ ١٩٣٦ وبالعدد الصادر من مجلة الفتح غرة المحرم ١٣٥٥ .

في تحية العام الهجري ١٣٥٥

طالَ التحجُّبُ(١)، فارْفَعِ الأستارا … أَفَما ترانا نَرفعُ الأبصارا ؟

أطلُعْ على الدُّنيا بوجهٍ ضاحكٍ … وانْشُرْ على أقطارِها الأنوارا

بَشِّرْ شُعوبَ المسلمينَ بنهضةٍ … تَدَعُ الشُّعوبَ النّاهضينَ حَيارى

فَزِعُوا إليكَ تهزُّهم أوطارَهم(٢) … فانظُرْ: أَتَقضي تِلكُمُ الأوطارا ؟

سَئِموا حياةَ القاعِدينَ ، وأقبلوا … يتلمَّسُون مع النُّسورِ مَطارا

لمّا رَأوْكَ تذكَّروا آباءَهم … وتفزَّعوا ، لا يملكون قَرارا(٣)

قالوا : أَنَهْدِمُ مجدَهم ، وهُمُ الأُلى … هدموا العُروشَ ، وزلزلوا الأقطارا؟

حملوا إلى الدُّنيا الحياةَ كبيرةً … تَلِدُ الممالكَ والشُّعوبَ كِبارا

أَنُضيعُ ما تركوا لنا ونخونُهم؟ … لسنا إذَنْ مِمَّن يخاف العارا

***

(١) التستُّر .

(٢) الأوطار جمع وطر وهو الحاجة .

(٣) تفزّعوا هبّوا ، والقرار الاستقرار والسكن .

يا طلعةَ العامِ الجديدِ تحيّةً … مِن قائمينَ على الذِّمارِ غَيارَى(١)

إنّا غَضِبنا للأمانةِ، فاشهدِي … وتقبَّلي من قومنا الأعذارا(٢)

لا نومَ بعدَ اليوم عن أسلابنا(٣) … فَخُذِي العُهودَ، وردِّدي الأخبارا

***

هذا شبابُ الشّرق يطلبُ حقَّه … ويُطيعُ فيه شُيوخَه الأبرارا

هتفوا ، فأقبلَ كلُّ غضٍّ ناضرٍ … صُلبِ العزيمةِ ، يركب الأخطارا

يُلقِي إلى الموتِ الزُّؤامِ(٤) بنفسِه … ويراه مجداً عالياً وفخارا

***

يا (إخوةَ الإصلاح)(٥) بُورِكَ سعيُكم … مِن فِتْيَةٍ زانوا الشَّبابَ وَقارا

لا يذهبَنَّ بناؤُكم ، فبقاؤُه … أن تجعلوا الأخلاقَ فيه جِدارا

صُونوا الذخائرَ، واحفظوا الآثارا … إنّا نُحِبُّ الفِتيةَ الأحرارا

***

٣٠/ ٣/ ١٩٣٦

(١) الذمار كل ما يلزم حمايته وحفظه والدفاع عنه ، وغياري جمع غيران وغيور وهو من يأنف من الحميّة ويكره شركة الغير في حقّه .

(٢) الأمانة كل ما إئتمن عليه الشخص عموماً ، والأعذار جمع عذر الحُجة التي يُعتذر بها .

(٣) الأسلاب جمع سَلَب وهو ما يُسلب .

(٤) الزؤام السريع .

(٥) جماعة الإصلاح الإجتماعي وقد ألقيت القصيدة في دارها .

مصر انهضي

نشيد مصر الناهضة

مصرُ لنا منذُ القِدَمْ   رمزُ الجلالِ والعِظَمْ[1]

مصر انهضي ، يحيا العَلَمْ

ذابت عصورٌ ودُوَلْ   مُنذُ الفراعينَ الأُوَلْ

ومصرُ مصرُ لم تَزلْ   قائمةٌ منذ الأزلْ

تروي أحاديثَ الأُمَمْ

أُمُّ العُلومِ والفنونْ   ساد بنوها الأوّلونْ

وكما كانوا نكونْ   إنّا عليها قائمونْ

نرعى العهود والذِّمَمْ

مِصرُ العَتادُ والسَّندْ   لوالدٍ وما وَلَدْ

ما خانَها منّا أحدْ   عاشت لنا إلى الأبدْ

عاشت لنا تُسدي النِّعَمْ

مصر لنا منذ القِدَمْ   رمز الجلال والعِظَمْ

مصر انهضي ، يحيا العَلَمْ

نُحبُّ مصرَ مُخلصينْ   ونفتديها أجمعينْ

فيها حَيِينا مُكرَمين   وهي الحياةُ للبنينْ

هي الوُجودُ والعدَمْ

(١) العظمة والزهو .

نبني لها خيرَ البناءْ   نعلو بها إلى السّماءْ

ندينُ فيها بالوفاءْ   ومصرُ أولى بالفداءْ

هي الحِمَى ، وَهْيَ الحَرَمْ

المجدُ عِلمٌ وعَمَلْ   نطلبُهُ بلا مَلَلْ

قال السُّها[1]: على مهل   هيهاتَ ، فالأمرُ جَلَلْ

النَّسرُ جَدَّ واعْتَزَمْ

مِصرُ لنا مُنذ القِدَمْ   رَمزُ الجِلال والعِظَمْ

مِصرُ انْهَضي ، يحيا العَلَمْ

نَصدُقُ في آمالنا   نَجِدُّ في أعمالنا

نحمي حِمَى استْقلالِنا   ليس لدى أبطالنا

سِوَى الإباءِ والشَّمَمْ

نقضي لمصرَ سُؤْلَها   نُولي الجميلَ مِثلها

وكيف نَنْسى فَضلَها   نحن لها ، نحن لها

نحن لها خيرُ الخَدَمْ

دُستورُنا الحِصنُ المنيعْ   وجيشُنا فوقَ الجميعْ

نرعاه جُهدَ المُستطيعْ   في جاهِهِ العالي الرّفيعْ

يعلو ويعتزُّ الهَرَمْ

مِصرُ لنا منذ القِدَمْ   رَمزُ الجَلالِ والعِظَمْ

مِصرُ انهضي ، يحيا العَلَمْ

***

٣/ ٤/ ١٩٣٦

(١) كوكب خفيّ من بنات نعش الصغرى .

لغة السيوف

في ذكرى المولد النبوي ١٣٥٥هـ

مِنْ هَيْبَةٍ يُغضي القريضُ ويُطرِقُ
ويَميلُ فيكَ إلى السُّكوتِ المنطقُ

إئذنْ يَفِضْ هذا البيانُ، فإنّه   ممّا يُفيضُ بيانُكَ المتدفّقُ
ما في النّوابغِ من لبيبٍ حاذقٍ   إلاّ وأنتَ ألَبُّ منه وأحذقُ
إن يَلْبِسِ الشّعرُ الجمالَ مُنوَّراً   عَبِقاً(١)، فأنتَ جمالُهُ والرّونقُ
والقولُ مُستلَبُ المحاسنِ عاطلٌ   حتّى يقولَ العبقريُّ المُفلِقُ(٢)
رُضْتَ الأوابدَ(٣) لي أقودُ صِعابَها   ورضيتني ، إنّي إذن لَمُوفَّقُ
هي مِدحتي انطلقتْ إليك مَشُوقةً   والسُّبلُ تَسطعُ، والمنازلُ تَعبقُ(٤)
أنت المجالُ الرَّحبُ تُعتصَرُ القُوَى   فيه ، وتُمتَحنُ العِتاقُ السُّبَّقُ(٥)
(حسّانُ) مُنبهِرٌ ، و(كعبٌ) عاجزٌ   و(الشّاعرُ الجعديُّ) عانٍ مُوثَقُ(٦)

(١) تفوح منه رائحة الطيب .
(٢) عاطل أي باطل ، والمفلق المُبدع .
(٣) ذلّلت وطوّعت الشوارد من القوافي .
(٤) تسطع ينتشر نورها ، وتعبق تنتشر رائحة الطيب فيها .
(٥) العتاق جمع العتيق وهو هنا الجواد الرائع .
(٦) حسّان بن ثابت من الشعراء المخضرمين ، أول من نظم الشعر الديني في الإسلام، لقّب بشاعر النبيّ ، والمنبهر المنقطع نفسه من الإعياء ، وكعب بن زهير هجا النبيّ والإسلام لما اسلم أخوه بُجَيْرٌ فأهدر دمه ولكنّه اعتذر إلى النبي وأنشد قصيدته « بانت سعاد » في مسجد المدينة ، والنابغة الجعدي شاعر مخضرم دخل الإسلام على رأس قبيلته .

أطمعتَهم ، فتنازعوا(١) فيك المدى   وأبَيْتَ ، فانقلبوا وكلٌّ مُخفِقُ
لي عُذرُهم ، ما أنتَ من عِدَةِ المُنى   إلاّ وراءَ مَخيلةٍ ما تصدُقُ(٢)
أنتَ احتملتَ الأمرَ تَنصدِعُ القُوى   ممّا يَشُقُّ على النُّفوسِ ، وتَصعَقُ(٣)
وسننتَ للمُتعسِّفينَ سبيلَهم   مُتبلِّجاً سمحاً يُضيءُ ويُشرِقُ(٤)
يمشي الهُدَى فيه على يدِكَ التي   هِيَ للهُدَى عَضُدٌ أبرُّ ومِرفقُ(٥)
ذُعِرَتْ (قُريشُ) هل يُبدِّلُ دينَها   رجلٌ ضعيفٌ في العشيرةِ مُملِقُ؟(٦)
لا المالُ يَنصرُه، ولا هُوَ إنْ دعا   خفَقَ اللّواءُ له ، وخَفَّ الفيلقُ(٧)
ينهَى عن الأصنامِ ، وَهْيَ بموضعٍ   تُمحَى حواليْهِ النُّفوسُ وتُمحَقُ(٨)
المالُ والعِرضُ المُمنَّعُ سُورُه   والمجدُ والشَّرفُ الصَّميمُ المُعرِقُ(٩)
مِنْ وَصْفِه الأُسْدُ الضَّواري تَدَّعي   والخيلُ تَصهَلُ، والقواضِبُ تَبْرُقُ

***

الحقُّ أقبلَ في لواءِ (إمامه)   والحقُّ أوْلَى أن يسودَ وأَخْلَقُ
يرمِي به سُودَ الغياهبِ ساطعاً   تَنْجابُ حول سَناهُ ، أو تَتشقَّقُ(١٠)

(١) تنازعوا تجاذبوا .
(٢) العدة والوعد بمعنى ويكونان مصدراً وإسماً ، والمخيلة المظنّة .
(٣) تنصدع تنشقّ ، ويشق على النفوس يُوقِعها في المشقّة .
(٤) المتعسِّف الذي يركب الأمر بلا روِيّة ، والمتبلّج المشرق ، والسمح السهل .
(٥) العضد غليظ الذراع وهو من المرفق إلى الكتف .
(٦) العشيرة القبيلة ، والمملق الفقير .
(٧) الفيلق الجيش العظيم .
(٨) محقه أبطله ومحاه .
(٩) المعرق والعريق الأصيل ، والصميم الخالص المحض .
(١٠) الغياهب جمع غيهب وهو الظلمة ، وتنجاب تنكشف ، والسنا الضياء ، وتتشقّق تتفرّق .

حَارَ الظَّلامُ ، فما يلوذُ بجانبٍ | إلاّ يُحيطُ به الضّياءُ ويُحدِقُ

الوحيُ مُطّرِدٌ[1] ، وبأسُ محمّدٍ | جارٍ إلى غاياتهِ لا يُلحَقُ

لا الضّعفُ يأخذُ من قُواه، ولا الونَى | بأولئكَ الهِمَمِ الدّوائبِ يَعْلَقُ[2]

بَغْيٌ[3] الأُلى خَذَلُوه من أنصارِه | والبَغْيُ نصرٌ للهُداةِ مُحقّقُ

زَعَموا الأذى ممّا يَفُلُّ مَضاءَه | فمضى البلاءُ بهِ ، وجَدَّ المَصْدَقُ[4]

يأوي إلى النّفرِ الضّعافِ، وإنّه | لأشدُّ منهم في النِّضالِ وأوثقُ

هُمْ في حِمى الوَحْيِ المُنزَّلِ صخرةٌ | تُعيي الدُّهاةَ، وجُذوةٌ[5] تتحرّقُ

وَهبوا لربّهمُ النُّفوسَ كريمةً | لا تُفتدَى منه، ولا هي تُعتَقُ[6]

المؤمنون الثّابتون على الهُدَى | والأرضُ ترجفُ، والشّوامخُ تخفِقُ[7]

رُزِقوا اليقينَ ، فلا ذليلٌ ضارعٌ | يطوي الجناحَ ، ولا جبانٌ مُشفِقُ

جُندُ النّبيِّ، إذا تقدّمَ أقبلوا | والموتُ يفزَعُ، والمصارعُ تَفْرُقُ[8]

صدعوا بناءَ الشّركِ تحتَ لوائهِ | فهوى ، وطار لواؤه يتمزّقُ

***

(١) متتابع .

(٢) الونى الضعف والفتور والكلال والإعياء ، والدوائب جمع دائبة أي مستمرة لا تكلّ ، ويعلق ينشب ويستمسك .

٣) البغي الظلم .

٤) يفلّ السيف يثلمه ، ويقال إنّه ذو مصدق أي شجاع صادق الحملة .

٥) الجذوة الجمرة الملتهبة .

٦) لاتفتدى منه أي لا يُقبل منها فدية لتتحرر منه، وتعتق أي تُخرَج من الرق والعبودية .

٧) رجفت الأرض زُلزِلَت ، والشوامخ الجبال المرتفعة ، وتخفق تضطرب وتتحرك .

٨) يفزع وتفرق بمعنى .

إنّ الذي جعلَ الرّسالةَ رحمةً | لم يَرحَمِ الدّمَ في الغوايةِ يُهرَقُ[1]

بعثَ الرّسُولَ مُعلّماً ومُهذّباً | يبني الحياةَ جديدةً يتأنّقُ[2]

يتخيّرُ الأخلاقَ ينظمُ حُسْنَها | في كلِّ رُكنٍ قائمٍ ويُنسّقُ[3]

عفَتِ الرُّسومُ ، وأخلقَتْ، فأقامها | شمّاءَ لا تعفو، ولا هي تَخْلُقُ[4]

قُدسيّةَ الأرجاءِ ، ما برحابها | عَنَتٌ، ولا فيها مكانٌ ضَيّقُ[5]

تَسَعُ الممالكَ والشُّعوبَ بأسرها | وتفيضُ خيراً ما بَقِينَ وما بَقُوا

عَرفتْ لحاجاتِ العُصورِ مكانَها | فلِكُلِّ عصرٍ سُؤلُه والمَرْفِقُ[6]

مَنعتْ مَغالِقُها[7] الشُّرورَ، وما بها | للخيرِ والمعروفِ بابٌ مُغلَقُ

فيها لِدُنيا العالمين مَثابةٌ[8] | لولا التّباعدُ والهوى المُتفرِّقُ

(المُصلِحُ الأعلى) أتمَّ نِظامَها | فانظُرْ: أينقُضُه الغبيُّ الأخرقُ؟[9]

أوْفى على الدُّنيا ، وملءُ فِجاجِها | بَغْيٌ يُزلزِلُها، وظُلمٌ مُوبِقُ[10]

(١) الغواية الضلالة ، ويهرق يُراق .

(٢) يتأنّق في العمل يعمله بالاتقان والحكمة .

(٣) ينظم وينسّق بمعنى .

(٤) عفت : درست ، والرسوم جمع رسم وهو الأثر ، وخلق وأخلق الثوبُ بَليَ ، وشماء مرتفعة .

(٥) قدسية مُطهّرة مُباركة ، والعنت الشدّة والهلاك والمشقّة .

(٦) السؤل ما يُسأل ، والمرفق ما يُنتفع به .

(٧) المغالق والمغاليق جمع مِغلاق ومِغلق ومُغلُوق ما يُغلق به الباب .

(٨) المثابة الموضع الذي يُثاب إليه الناس مره بعد أخرى أي يرجعون إليه ويجتمعون فيه ومنه سمى المنزل مثابة .

(٩) ينقض الأمر يفسده بعد إحكامه ، والأخرق هو الأحمق الذي لا يحسن عمله .

(١٠) أوفى : أشرف ، والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، ومُوبق مُهلِك من أوبقه أهلكه .

والنّـاسُ فوضَى في البـلادِ يغرُّهم ... دِينٌ من الخَبَـلِ المُضِـلِّ مُلفَّقُ(1)
النّفسُ مُغلقـةٌ على أوهامِها ... والعقـلُ مُضطَهَـدٌ يُضـامُ ويُرهَقُ(2)
سَجَدوا لِـمَا صَنعوا، فأين حُلومُهم؟ ... ولِمَنْ جِبـاهٌ بالمهانـةِ تُلصَقُ؟(3)
أهـيَ التـي رَفعـوا وظنّـوا أنهم ... قـومٌ لهـم فوق السِّماكِ مُحلَّقُ؟
مَن يَدَّعِـي شرفَ الحياةِ لمعشرٍ ... كَفَـروا بمَـن يهَـبُ الحياةَ ويَخلُقُ؟

***

إن تَنْبُ (مـكّةُ) بالرسـول فما نبا(4) ... عَـزْمٌ تُهَـدُّ به الصِّعـابُ وتُسحَقُ
كذبَ الطُّغـاةُ: أيرجُفـون بقتلهِ ... والوَحْـيُ سُورٌ، والملائـكُ خَنْدقُ؟
وَرَدَ (المدينـةَ) زاخـراً، فجرى بها ... آذيُّهُ وطما العُبـابُ المُغْرِقُ(5)
بطـلٌ توسّـعَ في ميادينِ الوغَى ... لما تضـايقَ عن مَداهُ المَأزِقُ(6)
ساسَ الحـوادثَ والنُّفـوسَ، فتارةً ... يَقِصُ(7) الرِّقـابَ، وتـارةً يترفَّقُ
يدعـو إلى الحُسنَى، فإن جَمَحَ الهوَى ... فـالسّيفُ مَسنـونُ الغِـرارِ مُذلَّقُ(8)

---

(1) الخبل فساد العقل ، وملفّق مُزيّن ومموّه بالباطل .
(2) يُضام يُقهر ويُظلَم ، ويُرهق يحُمل على مالا يطيق .
(3) الحلوم جمع حِلم العقل ، والمهانة الذل والخزي .
(4) تَنْبُ به أي لم يجد بها قراراً ، ومكة المكرمة عاصمة الحجاز وبها الحرم المكي كانت في الجاهلية محطة مهمة لتجارة القوافل بين اليمن والشام وأصبحت في الإسلام مركز الحج السنوي وقبلة المصلين ، ونبا عزمه أي كلّ من نبا السيف .
(5) المدينة هي المدينة المنورة ، والزاخر من زخر البحر امتلأ وأيضا الكريم لأن عرقه يزخر بالكرم ، والآذي الموج ، وطما العباب ارتفع .
(6) الوغى الحرب ، والمأزق المضيق ويستعار للدلالة على الموقف الحرج .
(7) يقص يكسر والماضي وقص .
(8) الغرار حدّ السيف ، ومذلّق محدّد .

يَرمِـي العَـوانَ بكلِّ أغلـبَ باسلٍ ... يهفـو إلى غَمَراتِها يَتشوَّقُ
لمسَ العُـروشَ، فما يزال يَهزُّها ... ذُعْـرٌ يطـوفُ بهـا، وهَمٌّ مُقلِقُ
صَدعَـتْ قُوى الإسـلامِ شامخَ عِزِّها ... فـإذا المُلـوكُ أذلّـةٌ تَتملَّقُ(1)
وإذا الممالكُ ما يُهلِّلُ مَغرِبٌ ... إلاّ استجـاب له ، وكبَّـر مَشرِقُ(2)

***

هذا تُراثُ المسلمـينَ ، فبعضُه ... يُزجَـى علانيةً، وبعضٌ يُسرَقُ(3)
عَجـزَ الحماةُ، فنائـمٌ مُتقلِّبٌ ... فـوق الحشيّةِ ، أو مَغيظٌ مُحنَقُ(4)
القـومُ صُمٌّ في السِّلاحِ ، وقومُنا ... مُسـتصرِخٌ يَعـوِي ، وآخـرُ ينعقُ(5)
إن كنـتَ ذا حقٍّ فخُـذْهُ بقوّةٍ ... الحـقُّ يخذلُـه الضَّـعيفُ فيَزهَقُ(6)
لغـةُ السُّيوفِ تَحُـلُّ كلَّ قضيّةٍ ... فَـدَعِ الـكلامَ لجاهـلٍ يتشدَّقُ(7)
وكُنِ اللّبيبَ ، فليس من كلماتِها ... (شَرْعٌ يُداسُ)، ولا (نِظامٌ يُخْرَقُ)(8)

---

(1) العوان الحرب التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى ، الأغلب الذي يفوق قرنه في القهر والمنازعة ، والباسل الشجاع ، والغمرات جمع غمرة وهي الشدّة .
(2) تتملّق تتذلّل وتبدي من التودّد .
(3) هلّل قال لا اله إلا الله ، وكبّر قال الله أكبر .
(4) التراث الميراث ، ويُزجى يجُبى بسهولة .
(5) الحشيّة الفراش المحشو ، والمحنق هو الذي أحنقه غيره أي أغضبه وحقد عليه حقداً لا ينحلّ .
(6) صُمٌّ جمع أصمّ وهو الصلب المتين ، والمستصرخ المستغيث ، ويعوي يصوت مثل الكلب ، وينعق يصيح مثل الغراب .
(7) يزهق يبطل .
(8) يتشدّق يتوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز .
(9) يخرق النظام يخالف مقتضاه وينقضه ، وهو تمثيل لما تقوله الأمم الضعيفة تعبيرا لمن يفعل بها ذلك من الأقوياء .

الخيلُ والرَّهَـجُ المُثـارُ حُروفُها … والنّـارُ، والـدمُ، والبـلاءُ المُطبِقُ[1]

فَتَشتُ ما بين السُّطورِ فلم أَجِدْ … أنّ الأُسودَ بِصَيْدِها تتصدَّقُ

أرأيتَ أبطالَ الكِفاحِ وما جَنَى … أمـلٌ بأجنحةِ الرّياحِ مُعلَّقُ؟

لا يَأْسَ من نَفحاتِ[2] ربّكَ، إنّني … لأرى السّنا خَلَلَ الدُّجى يتألّقُ

***

مجلة الرسالة عدد ٨/ ٦/ ١٩٣٦

(١) الرَهج الغبار ، والبلاء الغم كأنه يُبلي الجسم ، والمطبق الذي يغشى الناس ويعمهم ح .

(٢) النفحات العطايا جمع نفحة ، والسنا الضياء ، وخلل وخلال أي بين ، والدجى جمع دُجية وهي الظلمة .

راحل عظيم[1]

لمّا رأيتُكَ والقلوبُ خوافقٌ … تَلتاعُ حولكَ ، والنُّفوسُ حيارَى

والنّيلُ من هَوْلِ الفِراقِ كأنّما … يَسْقِي البلادَ دماً ويقذفُ نارا

أيْقنتُ أنّ اللهَ غيَّرَ ما بنا … وأرادَ أمراً بالبلادِ كُبارا

وإذا أراد اللهُ نجدةَ أُمّةٍ … نصرَ الحُماةَ ، وأيّدَ الأنصارا

***

١٩٣٦

(١) إرتجلها الشاعر في جنازة بطل وطني .

ضاعت ثغور المسلمين

في تحية مجلة الفتح في سنتها الحادية عشرة

حملت سناكِ[1] مواكبُ الأعوامِ ... فَخُذي سبيلَكِ واضحَ الأعلامِ

ما أنتِ إلاّ موكبٌ جمعَ الهُدَى ... فيه جلالَ العلمِ والإلهامِ[2]

سيري على نورِ (الكتاب)[3] فإنَّهُ ... لكِ إن أردتِ الرُّشدَ خيرُ إمامِ

أَرْخِي زمامَكِ، لا عِثارَ[4] لآخذٍ ... من ربّه وكتابهِ بزمامِ

هذي المنازلُ أُزلِفتْ لكِ فاسْحَبي ... بُرديْكِ من أمنٍ بها وسلامِ[5]

وَصِفي لهذا الجيلِ أيّامَ الأُلى ... سبقوكِ من صحبٍ عليكِ كِرامِ

رفَعُوا على الحقِّ الحياةَ فأعجزت ... أقْوى البُناةِ، وأقْدرَ الهُدّامِ

لمّا أقاموا بالسّيوف أساسَها ... جعلوا البناءَ من الطُّلى[6] والهامِ

كم رُكنِ مملكةٍ تصدّعَ إذ رمت ... آطامَها العُليا بركنٍ دامِ[7]

زخرت حواليْها الفتوحُ، فغيّبت ... غرقى الممالكِ في العُبابِ الطّامي[8]

(١) السنى الضياء .

(٢) الإلهام هو أن يُلقي اللهُ في نفس الإنسان أمراً يبعثه على فعل الشيء أو تركه .

(٣) القرآن الكريم .

(٤) أرخى الستر وغيره أرسله ، والزمام المقود ، والعثار السقوط والزلّة .

(٥) هذي لغة من هذه ، وأزلفت قُدِّمت ، والبرد الثوب المخطط .

(٦) الأعناق واحدتها طُلْيَة وقيل طُلاة .

(٧) كم هنا خبرية بمعنى كثير ، وآطام جمع أطمُ وهو الحصن .

(٨) زخرت طمت وجاشت ، والعباب الطامي الموج المرتفع .

تهوي جوانبُها على الأُممِ التي ... حَمَلتْ، وما مِن عاصمٍ أو حامِ

من يَعصِمُ الأقطارَ من ديّانها[1] ... ويَرُدُّ غارتَهُ عنِ الأقوامِ ؟

***

يا غارةً تمضي إلى غاياتِها ... تَطوي المدى، وترومُ كلَّ مَرامِ[2]

ضاعت ثُغورُ المُسلِمينَ، فأَدركي ... سُؤرَ الهُدَى، وبقيّةَ الإسلامِ[3]

عزّ الذّليلُ من الثعالبِ، وانقضى ... عِزُّ الأُسودِ، وسُؤددُ الآجامِ

ما أكثرَ الأبطالَ.. إلاّ أنّهم ... أبطالُ وَهْمٍ في سلاحِ كلامِ

لم يَرْقَ شعبٌ بالكلامِ، ولم يَقُمْ ... مُلكٌ على ضَعْفٍ ولا استسلامِ

***

(الفتحُ) حدّثني، وما بحديثهِ ... كِذبٌ، وحسبُكَ أن تقولَ (حذامِ)[4]

شيخُ الثّقاتِ، له على أعلامهم ... حقُّ الولاءِ، وواجبُ الإعظامِ

حكمَ العُقولَ، فما استبدَّ ولا رأى ... رأيَ الأُلى فَسَقوا من الحُكّامِ

اللهُ أَلهمهُ الصّوابَ، وخصَّهُ ... بأعزِّ منزلةٍ، وخيرِ مَقامِ[5]

نعمَ الصفيُّ رُزِقْتَه من مُنعِمٍ ... صافي الصَّنيعةِ، صادقِ الإنعامِ[6]

***

(١) الديّان القهّار وهو الله سبحانه وتعالى .

(٢) المرام المطلب .

(٣) الثغور جمع ثغر وهو المدينة القائمة على شاطىء البحر ، والسؤر البقيّة .

(٤) علم لامرأة في الجاهلية يضرب بها المثل في حدّة البصر وتُلقّب بزرقاء اليمامة وفيها قول الشاعر

« اذا قالت حذام فصدقوها ... فانّ القول ما قالت حذام » .

(٥) منزلة .

(٦) الصفيّ الصديق المخلص ، والصنيعة الإحسان .

قُلْ يا نَجِـيَّ[١] النَّفسِ : ما بالُ الأُلى ... مَـلأُوا المصـارعَ من ذوي الأرحام ؟
ألقـوا سِهـامَ اللهِ من أَيْمانهم ... فتناولوهـا من يمـينِ الرّامي
هل كُنتَ تعرفُ قبـلَ مصرعِ قومنا ... لُغَـةَ الجـراحِ ، ومنطـقَ الآلامِ ؟
باللهِ إن طلبـوا الأُسـاةَ فكن لهم ... مَثَـلاً من الـرُّوحِ البـديعِ السّامي
بُوركتَ من آسٍ يُترجِـمُ طِبُّه ... لُغَـةَ الشّفـاءِ لحـامِلي الأسقام[٢]
إحفَـظْ بقيَّتَهـم ، وإن هم ضَيَّعوا ... مـا اسْتُحفِظُـوا من حُرمـةٍ وذمامِ
ما أنتَ بابـنِ (العَشْرِ) أنـت أبـو الأُلى ... وَلَـدوا شُيوخَ الصُّـحفِ والأقلامِ
إرفَـعْ من الأَعْـوامِ صَرْحَ هِدايةٍ ... بَـرَّ الشُّهـورِ ، مُبـارَكَ الأيّامِ
واجْمَـعْ على دينِ الحقائـقِ أُمَّةً ... عَصَفَـتْ بهـا دُنيا من الأوهامِ

***

مجلة الفتح عدد ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ .

(١) النجيّ الذي تختصّه بالمناجاة والاطّلاع على سرّك .

(٢) جمع سَقَم وسُقْم وسقام وهو المرض .

قضيّة فلسطين[١]

تلك القضيّةُ ، هل لهـا ميعادُ ؟ ... شرطُ القضيَّةِ أن يطـولَ جِهادُ[٢]
كم للشُّعـوبِ قضيّةٌ من دُونها ... تمضي القُـرونُ، وتنقضي الآمادُ[٣]
هل دانَ للهِمَـمِ الـرَّواكدِ مَطْلَبٌ؟ ... أم صَحَّ للأُمَـمِ الضِّعـافِ مُرادُ؟[٤]
لا تَحْسَبَـنَّ الحـقَّ صَيْحَـةَ عاجزٍ ... الحـقُّ عَزمٌ صادقٌ وجِلادُ[٥]
صُوني (فلسطينُ) الذِّمارَ[٦] ، وجَاهِدي ... مـا للحياةِ سوى الجهـادِ عِمادُ
صُونِـي ذِمـارَكِ ، إنّـه لكِ موقفٌ ... فَصْـلٌ[٧] ، ويومٌ مِنـكِ ليس يُعادُ
هو آخـرُ الأيّامِ ، إمّـا مَطْلَعٌ ... عـالٍ ، وإمّـا مَصْرَعٌ وحِدادُ
طَغَـتِ الخطـوبُ عليكِ، لا مُتوقّدٌ ... يَخْبُـو، ولا مُتَمَـرِّدٌ ينقادُ[٨]

(١) ألقيت في احتفال المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين في القاهرة بمرور مئة يوم على جهاد فلسطين .

(٢) الجهاد القتال محاماةً عن الوطن والدين .

(٣) القرون جمع قرن وهو مائة سنة ، والآماد جمع الأمد وهو الأجل .

(٤) دان له طاع وانقاد ، والهمم جمع هِمّة وهي العزم ، والرواكد جمع الراكد وهو الثابت في مكانه لا يريد أن يبرحه ، والمراد والمطلب بمعنى .

(٥) الجلاد الضراب والصراع .

(٦) الذمار كل ما يلزم حمايته وحفظه والدفاع عنه .

(٧) الفصل الذي يفصل بين الحقّ والباطل .

(٨) المتوقد المشتعل ، وخبت النار خمدت وسكنت وطفئت ، والمتمرّد العاتي العاصي ، وانقاد خضع وأذعن .

وَتحيَّفَتْ[1] فيكِ الحياةَ حوادثٌ ... مـرّت بهـا مِئـةٌ عليكِ شِدادُ
الكَسْبُ عُطِّلَ، والمتاجِرُ طُلِّقَتْ ... فـالعيشُ ضَنْكٌ، والحياةُ كَسادُ[2]
نِعـمَ الجهـادُ لمن يضـنُّ بحقِّهِ ... لـو كان للشّعبِ المُجاهدِ زادُ[3]
في نُصرةِ الآجامِ[4] يُحتَمـلُ الأذَى ... ولهـا تَجُـوعُ وتَشْبَـعُ الآسادُ
هِمَـمُ النُّسـورِ النّاهِضيـنَ دوائبٌ ... ومخالـبُ الأُسْـدِ الغِضـابِ حِدادُ[5]
عَرَبٌ إذا غضِبـوا لأمـرٍ طارقٍ ... غَضِبَتْ على بيضِ الظُّبَى الأغمادُ[6]
وتفـزّعَ الآبـاءُ في أجداثِهم[7] ... وتطلَّعـتْ من ذُعرِهـا الأجدادُ
واهْتاجـتِ الجُـرْدُ العِتـاقُ، وأقبلتْ ... صُـوَرُ المنـايا ما لهـنَّ عِدادُ[8]
وجَرَى الـدّمُ المسفـوحُ، يَشْهَـدُ أنهم ... سُئِلوا الجـزيلَ مِنَ الفِـداءِ[9] فجادوا
جُودوا (حُمـاةَ القُـدسِ) ما بِكِرامِكُمْ ... بُخـلٌ، ولا للمكرُمـاتِ نَفادُ[10]

---

(١) تحيّف الشيء تنقّصه وأخذ من جوانبه .
(٢) ضنك أي ضيّق ، وكسدت السوق لم يُنفق ما فيها .
(٣) يضن يبخل ، والزاد ما يتخذ من الطعام للسفر .
(٤) الآجام جمع الأجمة وهي مأوى الأسد .
(٥) الهمم جمع همة وهي العزم القوي ، ودوائب جمع دائبة أي جادّة مستمرة ، وحداد جمع حديد أي قاطع .
(٦) الأمر الطارق القارع والذي يأتي ليلا ، والظبي جمع ظبة حد السيف والمراد السيوف ، والأغماد جمع غمد وهو جفن السيف .
(٧) فزع وتفزّع ذعر وخاف ، والأجداث جمع جدث وهو القبر .
(٨) اهتاجت ثارت ، والجرد جمع أجرد وهو من الخيل السبّاق ، والعتاق جمع العتيق وهو الفرس الرائع ، والمنايا جمع المنية وهي الموت .
(٩) الفداء هو بذل المال والنفس .
(١٠) القدس عاصمة فلسطين ، والمكرمات جمع مكرمة وهي الجود والكرم ، والنفاد الانقطاع والفناء .

ذُودوا العَـدُوَّ[1] عنِ البـلادِ، وناضِلوا ... إنّ العـدوَّ عن البـلادِ يُذادُ
اللهُ أكبـرُ يا خلائفَ (يَعْرُبٍ)[2] ... أتضيعُ أوطـانٌ لكم وبلادُ ؟
صُنْتُـم ودائـعَ ربّـكم ، ما راعَكُمْ ... في الحـقِّ طُغيانٌ ولا استبدادُ[3]
تلك الذّخائـرُ ما لكم من بَعْدِها ... في المُؤمِنيـنَ الصّادقيـنَ عَتادُ[4]
تلك الذّخائـر يأنفُ (الاسلامُ) أن ... تُؤذَى كرائِمُهـا ، وتأبـى (الضّادُ)[5]
إنّـا لَنَذْكُرهـا جوازعَ جُفَّلاً[6] ... فتبيتُ تَجْفُـلُ حوْلَهـا الأكبادُ
(أبَنِي العُمومـةِ) ما سَهِرْتُـم وحْدَكم ... (مصرُ الشّقيقـةُ) لوعـةٌ وسُهادُ[7]
إن ساءَكُمْ ألاّ تزالَ هُمومُكم ... تَتْـرَى[8]، فتلك همومُنـا تزدادُ
لَيْتَ الألَى نَصَبُـوا المَصائِـدَ جمَّةً ... سَألـوا عنِ العَنْقـاءِ: كيفَ تُصادُ؟[9]

---

(١) ذاده دفعه وطرده .
(٢) خلائف جمع خليفة وهو من يخلف غيره ويقوم مقامه ، ويعرب بن قحطان بن هود قيل إنه كان سلطانا من سلاطين اليمن وجدّ ملوك حمير وقيل إنه أول من تكلم باللغة العربية فسمي يعرب .
(٣) الودائع جمع الوديعة ما أُودِع ، وراعه أفزعه ، والطغيان الإسراف والغلو في الظلم والمعاصي .
(٤) الذخائر جمع الذخيرة ما ذخُر ، والعتاد ما أُعدّ لأمرٍ ما .
(٥) أنِفَ ترفّع وتنزّه ، وكرائمها جمع كريمة أي نفائسها وخيارها ، والضاد هي اللغة العربية لأنها تنفرد من دون اللغات بهذا الحرف .
(٦) جوازع جمع جازعة أي حزينة كدرة ، وجفّل جمع جافلة أي نافرة شريدة.
(٧) اللوعة حرقة الحزن والوجد والهوى ، والسهاد الأرق .
(٨) تتوالى ويتبع بعضها بعضاً
(٩) الألى وردت عوضاً عن الأُولى جمعاً للذي من غير لفظة .
(١٠) نصبوا وضعوا وأقاموا ، وجمّة كثيرة ، والعنقاء طائر مجهول الجسم لم يوجد .

يا قومُ تلك شريعةٌ ما سَنها   مـن قبـلُ ذبّـاحٌ ولا جَلاّدُ

(بلفـورُ)[1] أنزلهـا، وَبـاءَ بإثْمِها   والظُّلـمُ إثـمٌ كلُّـه وفسادُ

هلاّ[2] تبـيَّنَ وهـو يقضي أمرَه   أَيُبـاعُ شعـبٌ أم يُبـاعُ جمادُ ؟

شَرُّ الخلائِـقِ مَن يَسـوسُ فلا يَرى   أنّ السياسـةَ حِكْمـةٌ وسَدادُ

لا تُنكروا الـدَّمَ في المَصـارع يلتقي   إنّ الرّجـالَ بمثـل ذلكَ سادوا

***

مجلة الفتح عدد ١٠ جمادى الآخرة ١٣٥٥هـ

(١) صاحب وعد بلفور المشئوم الذي منح اليهود وطنا قوميا لهم في فلسطين .

(٢) هلاّ كلمة تحضيض مركبة من هل ولا وتدخل على الماضي إذا كانت للّوم كما هو الحال في البيت .

يا فلسطين

في رثاء الشهيد محمد سعيد بن العاص[1]

نظم المجدَ لأبطالِ الحمى   ونظمتُ الشّعرَ ناراً ودما

بطلٌ أبصرتُ مجرى دمهِ   في جبينِ الشّرقِ لمّا وجما

رفع السّيفَ على هامِ السُّهى   أفلا أرفع فيه القلما ؟

يا له من عبقريٍّ مُلهَمٍ   هاج منّي عبقرياً مُلهَما

ردِّدي صوتي يا بِيضَ الظُّبى   إنّما أرثي الكمِّي المُعلَما

ردِّديه غِبطةً أو أسفاً   وابعثيه لذّةً أو ألما

إجعلي دُنياكِ في رنّاتهِ   تارةً عُرساً ، وآناً مأتما

إنّما أرعى لقومي ذِمّةً   في كريمٍ كان يرعى الذِّمما

***

يا لِواءً كان للحقّ حِمىً   حين لا يرجو حِمًى أو حَرَما

هل طَواكَ الموتُ عنّا أم طوى   بأسُكَ العاصفُ منه الهِمَما ؟

أنتَ أوهنتَ قُواهُ ، كلّما   كَرَّ أقدمتَ ، فولّى مُحْجِما[2]

(١) أحد قواد الثورة السورية ، كان يقوم بنقل السلاح الى المجاهدين في فلسطين فضلاً عن المعارك التي كان يخوضها داخل أراضي فلسطين ضد الانجليز والصهاينة ، وقد استشهد في معركة الخليل التي استمرت ثلاث ليال رهيبة بين ستين من المجاهدين وبين ألفي جندي بريطاني بأسلحتهم ودباباتهم وطائراتهم .

(٢) كرّ أي رجع وعاد للقتال ، وولىّ مُحْجِماً أي أدبر ونكص هيبةً .

يا شهيداً من مواضِي (هاشمٍ) ... كان في الهيجاءِ عَضباً مِخذما[1]

أنتَ علّمتَ تلاميذَ الوغى ... كُلَّ فنٍّ غاب عمّن علّما

أخذوها عنكَ ديناً قيّماً ... وتلقّوها كِتاباً مُحكَما

كشفت آياتُها الكُبرى لنا ... عن أعاجيبَ تناهت عِظَما[2]

***

إيه يا (ابن العاصِ) أشبهتَ الأُلَى ... زلزلوا الدُنيا ، وهزّوا الأُمما

يا لها من شِيَمٍ (بدريّةٍ)[3] ... ما ارتَضَى اللّهُ سواها شِيَماً

ما الجهادُ الحقُّ إلاّ لمحةٌ ... من سناها حين يجلو الظُّلَما[4]

ليس بالحيِّ وإن طال المدى ... مَن يخافُ الموتَ فيما اعتزما

بعثوا (الألفَين) في نيرانهم ... ضَرماً للبَغْيِ يُزجي ضرما[5]

يأخذُ (الستّينَ) في أنقابها ... وهي ما تنفكُّ تمضِي قُدُما[6]

أرأيتَ الرُقْشَ في أوكارها ... يتبع الأرقمُ منها الأرقما[7]؟

(١) المواضي السيوف ، والهيجاء الحرب ، والعضب المخذم السيف القاطع .

(٢) تناهت بلغت نهايتها ، والأعاجيب جمع أعجوبة اسم لما يتعجب به ، والعظم الكبر والعظمة .

(٣) الشيم جمع شيمة الخُلُق والطبيعة ، وبدرية نسبة الى غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون على المشركين وكانت سبباً لانتشار الاسلام بعد ذلك .

(٤) اللمحة الومضة ، ويجلو يكشف ويزيل ، والظلم جمع ظلمة .

(٥) كان عدد الذين حملوا على الشهيد ورجاله الفين ، والضرم الحطب يرمى به في النار .

(٦) كان عدد رجال الشهيد ستين وكانوا معه في رؤوس الجبال ، والأنقاب جمع نقب وهو الطريق في الجبل ، وتمضي قُدُما أي تمضي أمامَ لم تُعرِّج ولم تَنْثَنِ .

(٧) الرقش من الحيّات المنقّطة بسواد وبياض ، والأرقم أخبثها .

طَلَبُوهم ، أو أراهم نَقَّبوا ... عنهمُ الهَضْبَ[1] ، وشَقُّوا القِمَما

أَبْصَروهُمْ بِعُيونٍ[2] حَلَّقتْ ... تكشفُ السِّرَّ ، وتَهدِي ذَا العَمى

أرسلوها ، فتَوالى صَيِّبٌ ... من جَحيمٍ أرسلته فَهَما[3]

يا لقومي ، أغرَقَتْهم دِيَمٌ[4] ... للمنايا الحُمرِ تحدو دِيَما

جاشَ مِن كلِّ النَّواحي سَيْلُها[5] ... فَطغَى السَّيلُ عليهم وطما

قِيلَ يا (ابنَ العاصِ) دَعْها غَمرةً ... ضجَّ فيها الهَوْلُ ممّا ازدحما[6]

إمْضِ لا تُشمِتْ بنا القومَ الأُلَى ... مارسوا مِنكَ القضاءَ المُبرما

إن ينالوا منك ما يُفجِعُنا ... فَتَحوا الفتحَ ، ونالوا المغنما

ذاك غولُ الحتفِ[7] يدنو، أفَلا ... تنظرُ المخلبَ منه والفَما ؟

قال: كلاّ ، لستُ ممّن يَتّقي ... عاصفَ الموتِ إذا الموتُ ارتمى

أيقولُ النّاسُ مَنّاعُ الحِمَى ... ضنَّ بالنّفسِ عليه ، فاحتَمى ؟

مَرْحباً بالموتِ يغشاه الفتى ... فيراهُ للمعالي سُلَّما

وطنِي الأكرمُ أَوْلَى بِدَمِي ... فاذكروا مَن ماتَ حُرّاً مُكْرَما

***

(١) نقّبوا عنهم الهضب أي فحصوها فحصاً دقيقاً بحثاً عنهم ، والهضب جمع هضبة .

(٢) العيون هنا الطائرات .

(٣) الصيّب المُنصب من أعلى ، وهما يهمو الماء لغة في همى يهمي أي سال .

(٤) جمع ديمه وهي المطر يدوم في سكن

(٥) جاش السيل هاج واضطرب وتدفق .

(٦) هكذا قال له رجاله وهو يوشك أن يقتل فأبى إلاّ الاستشهاد فداءً لوطنه .

(٧) الغول حيوان لا وجود له ، والحتف الموت .

أذكروهُ عَرَبيًّا ماجداً … نابهَ الذِّكرِ، كريمَ المُنْتمى[1]

صادِقَ البأسِ حميًّا أنفُه … يَمْنَعُ الحَوْضَ، ويحمِي العلما[2]

تلكَ ذِكرَى المجدِ في مَوْسِمِه … فاذْكروهُ، وأقيموا المَوْسِما

***

يا (فلسطينُ) إرفعي تاجَيْكِ في … دولةِ البأسِ، وزيدي شَمَما

صخرةٌ صمّاءُ تحمِي (صخرةً)[3] … علّمتها كيف تشفي الصَّمَما

أسْمَعَتْ (بلفورَ)[4] نجوى وعدِه … ترتمِي حُزناً، وتمضي نَدَما

فإذا (الرُّسلُ) على أبوابها … تطلب الإذنَ، وتُلقِي السَّلَما[5]

أدخلوها خُشّعاً إن رَضِيَتْ … لِثراها الحُرِّ منكم قدما

(هادمُ الأصنامِ) من عُمّارِها[6] … كيف تبني مِن ذويكم صنما؟

---

(١) الماجد الحسن الخلق، ونابه الذكر شهير الصيت، والمنتمى النسب من انتمى إلى أبيه انتسب واعتزى.

(٢) حمِي الأنف أي لا يحتمل الضيم، والحوض مجتمع الماء ويكنى به عن الوطن.

(٣) الصخرة المباركة ببيت المقدس.

(٤) صاحب وعد بلفور الذي ينص على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وكان ذلك عام ١٩١٧.

(٥) الرسل الذين جاءوا فلسطين من قبل الانجليز للنظر في أمرها، والسلم والسلام بمعنى.

(٦) هادم الأصنام هو سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام، والعمّار جمع عامر وهو الساكن الدار.

بُورِكَتْ من حُرَّةٍ مُؤمنةٍ … كذَّبتْ (بِلفورَ) فيما زعما

لا ومجرَى الوَحْيِ من مَقْدِسِها … لن تَرَوْها ليهودٍ مطعما[1]

إنّ فيها من (قُرَيْشٍ) نجدةً … تُنصِفُ المظلومَ ممّن ظَلما

إحذروا الأُسْدَ إذا ما غَضِبتْ … واتّقوا أشبالَها والأَجَما[2]

***

مجلة الفتح ٢١ من دي الحجة ١٣٥٥ هـ

---

(١) المقدس حرم القدس الشريف، واليهود هم بنو اسرائيل، والمطعم موضع الأكل.

(٢) الأشبال جمع شبل وهو ولد الأسد إذا أدرك الصيد، والأجم جمع أجمه مأوى الأسد.

يا مطلع العهد الجديد (1)

خَلُّوا سبيلَ الشّاعرِ المُتدفِّعِ   وخُذوا بيانَ العبقريِّ المُبدِعِ

النّيلُ يُصغِي في مواكبِ عِزِّهِ   ويَهُزُّ عِطفَ(2) الشّيِّقِ المُتطلِّعِ

لبّيكَ ، جئتُ وأنطقتنِي حُرمةٌ   لكَ لم تزَلْ منّي بأكرمِ موضعِ

لكَ من زَعيمِكَ ما أردتَ ، وهذه   نجوى زعيمِ الشّعرِ فانظرْ واسمعِ

أحببتُ مصرَ بقلبهِ ويقينهِ   فبيانُه عِندي ، وحكمتُه معي

وعَرفتُها تشكو إليه غليلَها   وتطوفُ من يدهِ بأطيبِ مشرعِ

حامت(3) على إستقلالها ، وتوجّعتْ   للمُشفِقِ الحاني على المُتوجِّعِ

فمَضى يخوضُ إليه كُلَّ مخوفةٍ   غبراءَ تعصِفُ بالكميِّ الأروعِ

ومَشى يحدِّثُ هالكاً عن هالكٍ   فيها ، ويسألُ مَصرعاً عن مصرعِ

نستنطقُ الغمَراتِ أين مكانه   ونظلُّ ننظرُ في القَتامِ الأسفعِ(4)

مُتطلِّعينَ نرى تقلُّبَ وجههِ   في مثلِ إيماضِ البُروقِ اللُّمَّعِ

ونَراهُ يستبِقُ المطالعَ صاعداً   حتّى يَمُرَّ من السِّماكِ بمطلعِ

يبغِي لُبانةَ(5) مصرَ في مُستشرِفٍ   صَلْبِ الجوانبِ ، بابُه لم يُقرَعِ

(1) قيلت في تحيّة السياسي محمد محمود .

(2) العطف الإبط ومن كل شيء جانبه .

(3) دافعت .

(4) الغمرات الشدائد والمكاره ، والقتام غبار الحرب ، والأسفع الأسود اللون الى حمرة .

(5) حاجة .

أتتِ الغوائلُ(1) دونها ، فكأنّما   هي من كُهوفِ الجنِّ في مُستودَعِ

كانت كأحلامِ النّيامِ ، فأصبحتْ   مِلءَ العيونِ سناً ، ولمّا تهجعِ

أمُذلِّلَ الأحداثِ أنتَ جعلتَها   مِنّا بمنزلةِ الذَّلولِ(2) الطيِّعِ

لولا حِجاكَ وطُولُ باعِكَ(3) جاوزتْ   باعَ الرجاءِ ، ومُستطاعَ المطمعِ

لمّا اصطفاكَ الشّعبُ كُنتَ له أباً   يرعاهُ في الحَدثِ الجليلِ المُفظِعِ

دَفَعَ اللّواءَ إليكَ لم يُؤثِرْ به   غيرَ الأعزِّ من الحُماةِ الأمنعِ

جرّدتَ صَحبَك للكفاحِ مواضياً   خُذُماً متى تضرب بكفِّكَ تَقْطَعِ

مِن كلِّ مُقتحِمٍ يرى الدّمَ حوله   فيخوضُه ويكِرُّ غيرَ مُروَّعِ

أبطالُ مصرَ تداركوا آمالَها   واليأسُ مِلءُ فؤادِها والأضلعِ

وعَجِبتُ للشُّهداءِ حولَ زعيمهم   جزِعَ الرَّدى ، ونفوسُهم لم تجزعِ

كتبَ الشّبابُ لمصرَ من مُهجاتِهم   عهدَ الفِداءِ ، فقُلْ لِنفسكَ : وقِّعي

يا مطلعَ العهدِ الجديدِ تحيّةً   كسناهُ إن تظْفَرْ بنُوركَ تَسطعِ

أخرجتَ قومَكَ مِن غياهبِ أزمةٍ   لولاكَ لم تَنْجَبْ ولم تتقشّعِ(4)

لولا غُلوُّكَ في المطامعِ ما انْبرى   يَبغِي الزِّيادةَ طامعٌ لم يقنعِ

مَا ليسَ مِن أدبِ الحياةِ وحقّها   فضَلالةٌ أو باطلٌ لم يُشْرعِ

أحداثُ دهرٍ مَن يَسُسْها تستقِمْ   بعدَ الجُنوحِ ، ومَن يرُضْها تخضعِ

وأمورُ دُنيا ما لَوتْ يدُ طالبٍ   لَبِقٍ ، ولا ضاقتْ على مُتوسِّعِ

ذُو الجهلِ يُقتَلُ بالدَّواءِ ، وذُو النُّهى   يجني الشفاءَ مِن الذُّعافِ المُنْقَعِ

(1) جمع غائلة وهي الداهية .

(2) السهلة الانقياد .

(3) الحجى العقل والفطنة ، والباع قدر مدّ اليدين .

(4) يقال انجابت السحابة وانقشعت أي انكشفت وزالت .